

تأليف: أ. أ. نيهاردت

الملحمة الأغريقية القديمة

ترجمة: د. هاشم حمادي

الملحمة الإغريقية القديمة

* الملحة الإغريقية القديمة

* تأليف: أ. أ. نيهاردت ـ ترجمة: د. هاشم حمادي

* الطبعة الأولى ـ ٦ / ١٩٩٤

* الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ـ هاتف: ٣٣٢٠٢٩٩ ـ ص.ب ٩٥٠٣ ـ تلكس: ٤١٢٤١٦

فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧

* التوزيع:

قسم التوزيع ـ الأهالي للنشر والتوزيع

دمشق ـ هاتف: ٢٢١٣٩٦٢ ـ ص.ب: ٩٢٢٣ ـ تلكس: ٤١٢٤١٦

تصميم الغلاف: عوض عمايري

تأليف: أ. أ. نيهاردت

الملحمة الإغريقية القديمة

ترجمة: د. هاشم حمادي

مقـــدمـــة المتـرجـم

اشتهر قدماء الإغريق بالنشاط وحب المعرفة، والتوق إلى اكتشاف العالم، مهما كانت العواقب ومهما بلغت التضحيات. وتعتبر مغامرات أوذيس (أوديسيوس)، ورحلة الأورغونيين في طلب الجزة الذهبية من بلاد الكولشيد، تجسيداً لتطلعات الانسان نحو التعرف على العالم، الذي يعيش فيه. وتكوين صورة صحيحة عن هذا العالم.

يتناول هذا الكتاب بالدراسة أشهر الملاحم الاغريقية القديمة:

رحلة الأرغونيين،

ملحمة طروادة،

مغامرات أوديسيوس،

ملحمة طيبة.

في ملحمة الأرغونيين يطالعنا وصف حي لرحلة جازون مع عدد من أقرانه الأبطال إلى كولشيد البعيدة، للحصول على الجزة الذهبية، ومايصادفهم في هذه الرحلة من أهوال ومخاطر. ومايجترحون من مآثر وبطولات.

وإذا كانت الجزة الذهبية هي هدف رحلة الأرغونيين، فإن استعادة هيلين الحسناء كان الهدف من تجريد الإغريق لحملتهم المشهورة ضد طروادة، تلك

الحملة التي اشترك فيها جميع أبطال الإغريق، والعديد من آلهتهم، بعض الآلهة إلى جانب الإغريق، والبعض الآخر إلى جانب الطرواديين.

استمر حصار طروادة تسع سنوات، وفي العام العاشر، فقط استطاع الإغريق فتحها. وخلال هذه الأعوام العشرة دارت رحى الكثير من المعارك والمبارزات، وتكبد الطرفان الكثير من الخسائر، وسقط من الطرفين العديد من الأبطال، بمن فيهم هكتور وآخيل.

أما الأوذيسة، فتصف رحلات أوديسيوس، ملك إيثاكه، العائد من حصار طروادة استمرت هذه الرحلات، عشر سنوات خرى، واكتنفتها الأخطار والمصاعب، وليس أدل على مدى شهرة هذه الرحلات من أن اسم أوديسيوس أصبح مرادفاً للرحلات الطويلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر والأهوال. إن قصة أوديسيوس الإغريقي تذكرنا برحلات السندباد.

فبعد سقوط طروادة أبحر أبطال اليونان عائدين إلى ديارهم. وكان أوديسيوس في عداد من أبحر، قافلاً إلى إيثاكه، لكن طريق العودة كان طويلاً ومحفوفاً بالأهوال، فقد هلك جميع رجاله، وبالكاد استطاع النجاة بجلده، ليجد نفسه أسير الحورية كاليبسو، التي أبقته في جزيرتها ثمانية أعوام، ولولا تدخل الآلهة لما أفرجت عنه.

يعود أوديسيوس إلى موطنه إيثاكه، بعد عشرين عاماً، فيجد الخطاب يعيشون فساداً في قصره، يريدون إكراه «أرملته» بنلوبه على الزواج من أحدهم. وقد استطاع أوديسيوس بفضل قوته ودهائه ومساعدة الآلهة له، والربة أثينا بشكل خاص، أن يتغلب على أعدائه، ويفتك بهم عن بكرة أبيهم.

أما الملحمة الأخيرة، فتصور مأساة الملك أوديب، وكيف كان له القدر بالمرصاد، فقتل أباه، وتزوج أمه، وانفض عنه الجميع، حتى ولديه. ابنته أنتيغون وحدها وقفت إلى جانبه، وشاركته المحن والأرزاء.

لقد كانت الأساطير والملاحم اليونانية القديمة، ولازالت مصدر إلهام للأدباء والشعراء والمسرحيين والفنانين، ومعيناً لاينضب لاستسقاء المواضيع، التي تصور حياة الانسان بأفراحها وأتراحها، وترسم لنا صورة حية للكثير من العادات والتقاليد، التي كانت سائدة في تلك الأزمنة الغابرة، وتعيد إلى أذهاننا العديد من الأساطير العربية، التي تستحق منا اهتماماً أكبر. ولعل هذا الكتاب يذكرنا بضرورة تجميع موروثنا الأسطوري من حكايات وملاحم، وإصداره في سلسلة متكاملة، على غرار موروث الأمم الأخرى. سيما وأن موروثنا لايقل عن ذاك، لا كماً ولا نوعاً، بل ويتفوق على الكثير منه نواحٍ ومجالات شتى. من المؤسف أن بعضاً من مثقفينا ينظرون إلى هذا النوع من الأدب على أنه دون الأدب منزلة، ويصنفونه في خانة لاتليق به، في الوقت الذي ينكب فيه المتخصصون في معظم البلدان على دراسته، ووضعه في متناول القراء، الذين يقبلون عليه بكل حماسة واهتمام، ويطالعونه بكل متعة وشغف.

المترجم

الأرغـونيــــون

فريكــوس وهيلـه[1] :

كان أثاماس، ابن ايولوس إله الريح يحكم في مدينة أورشومين الميسينية في بيوتيا[2]. وكان لديه ولدان من نيفيله «ربة الغيوم» إنهما فريكوس الابن وهيلة الابنة. وقد خان أثاماس نيفيله، فتزوج إينو ابنة قدموس. وكانت اينو تكره ولدي زوجها من زواجه الأول، فقررت القضاء عليهما. وقد أقنعت الأورشومينيات بتجفيف البذار المخصصة للزراعة. وزرع الأورشومينيون الحقول بالبذار المجففة، لكن شيئاً لم ينبت في حقولهم الخصبة أبداً. وحينذاك قرر أثاماس إرسال سفارة إلى دلفي المقدسة لسؤال عرّافة أبولون النبّال عن سبب جدب الحقول. لكن إينو الداهية رشت المبعوثين فعادوا من دلفي يحملون جواباً مزيفاً.

ويقول المبعوثون المتواطئون لأثاماس:

- هاك الجواب الذي أعطته العرافة بيثيا: ضحِ بابنك فريكوس للآلهة، يعد الآلهة للحقول خصبها.

ولتفادي الكارثة العظيمة، التي تتهدد أورشومين قرر أثاماس أن يضحي بابنه المحبوب. واغتبطت إينو، فقد نجحت خطتها في القضاء على فريكوس.

كان كل شيء قد أصبح جاهزاً للتضحية، وكان على فريكوس الشاب أن يقع تحت سكين الكاهن، لكن فجأة ظهر الخروف، ذو الجزة الذهبية، هدية الإله هرمس. وكانت الربة نيفيله، أم فريكوس، هي التي أرسلت الخروف لكي تنقذ ولديها. امتطى فريكوس وهيله ظهر الخروف ذهبي الجزة، فحملهما في الجو بعيداً نحو الشمال.

كان الخروف ينطلق مسرعاً. وبعيداً في الأسفل كانت تنبسط الحقول والغابات، وبينها تتلوى الأنهار الفضية.

ها هو البحر. ويندفع الخروف فوق البحر. خافت هيله ووقعت في البحر، فابتلعتها أمواجه المصطخبة أبداً. لم يستطع فريكوس إنقاذ أخته، التي قضت نحبها. ومنذ ذلك الحين والمكان، الذي غرقت فيه هيله يعرف باسم هيليسبونت (بحر هيله)[٣].

وتابع الخروف طريقه حاملاً فريكوس إلى أن حط أخيراً على ضفة تاسيس في كولشيدا[٤] البعيدة، حيث كان يحكم الساحر آييتيس، ابن الاله هيليوس. قام آييتيس بتربية فريكوس، وحين أصبح شاباً زوجه ابنته هالكيوب. أما الخروف، ذو الجزة الذهبية، والذي أنقذ فريكوس، فقد قدم قرباناً لزوس سائق الغيوم. وعلق آييتيس الجزة الذهبية في خميلة آريس إله الحرب المقدسة. وكلف بحراسة الجزة التنين الفظيع، قاذف اللهب، الذي لاتغمض له عين.

طبقت شهرة الجزة الذهبية أرجاء اليونان، وعرف أحفاد أثاماس، والد فريكوس، أن نجاة ورفاهية ذريتهم يتوقفان على امتلاك الجزة، فأرادوا الحصول عليها بأي ثمن.

ولادة جازون وتربيته:

بنى كريتيس، أخو الملك أثاماس، مدينة ايولكس، على ساحل الخليج

البحري الأزرق في تساليا[٥]. وقد نمت المدينة وازدهرت بفضل الثروة، التي درتها عليها حقوله الخصبة والتجارة والملاحة. بعد موت كريتيس أصبح ابنه إيزون حاكماً للمدينة، لكن أخاه من أمه، بيلياس، ابن بوزيدون، انتزع السلطة منه، مما اضطره للعيش في المدينة كأي مواطن عادي.

وبعد وقت قصير رزق إيزون بصبي في غاية الحسن والجمال. خاف إيزون أن يقوم بيلياس المتعجرف والظالم بقتل ولده، الذي كان صاحب الحق الشرعي في حكم إيولكس، فقرر إخفاءه. وهكذا فقد أعلن أن ولده توفي حال ولادته، حتى أنه أقام قداساً فاخراً على روحه، ثم حمله إلى سفوح جبل بيليون، إلى القنطور الحكيم شيرون. وهناك في الكهف، داخل الغابة، نما الصبي وترعرع، وتلقى تربيته على يد شيرون وأمه فيليرا وزوجته شاريكلو. أعطاه شيرون الحكيم اسم جازون، وعلمه فن استخدام السيف والرمح والرمي من القوس المشدود. ولم يكن ثمة من يجاري جازون في المهارة والقوة والجرأة، أما من حيث الجمال فكان يعادل سكان السماء.

عاش جازون لدى شيرون حتى سن العشرين. وأخيراً قرر مغادرة سفوح بيليوي المعزولة، قاصداً إيولكس ليطالب بيلياس بإعادة مقاليد حكم إيولكس إليه.

جازون في إيولكس[٦]: حين وصل جازون إلى إيولكس قصد الساحة مباشرة، حيث كان كل سكان المدينة مجتمعين. راح سكان المدينة ينظرون إلى جازون وقد عقدت ألسنتهم الدهشة. فقد اعتقدوا أن هذا الشاب إن هو إلا أبولون أو هرمس ـ فقد كان في منتهى الجمال. ولم يكن لباسه شبيهاً بلباس سكان مدينة إيولكس: من على كتفيه كان يتدلى جلد نمر مرقط، وكانت إحدى قدميه فقط ـ اليمنى ـ في صندل. وكان شعر جازون الكثيف يتدلى على كتفيه، كان

كله يتألق جمالاً وقوة كما الإله الشاب. وكان يقف هادئاً بين جمهور المواطنين، الذين يتأملونه بإعجاب، وهو يستند على رمحين.

وفي هذا الوقت وصل الساحة بيلياس في عربة فاخرة. ولم يكد يلقي نظرة على الشاب حتى اقشعر بدنه، إذ لاحظ أنه لايرتدي سوى فردة صندل واحدة.. خاف بيلياس فقد سبق للعراف أن تنبأ له أن الهلاك يتهدده من شخص سيأتي إلى إيولكس من الجبال، لاينتعل إلا فردة حذاء واحدة. ولسوف يقضي هذا الشخص، إبن إيزون، عليه بالقوة أو الحيلة، ويجب أن يكون هذا الهلاك حتمياً.

أخفى بيلياس فزعه، وسأل الشاب المجهول بصلف:

- من أين أصلك يافتى، ولأي القبائل تنتسب؟ لكن لاتقل إلا الصدق، ولا تدنس نفسك بالكذب، فأنا عدو الكذب المكروه.

وأجابه جازون بهدوء:

- لم يعلمني شيرون الحكيم سوى الصدق والنزاهة، وأنا مخلص دائم لتعاليمه. لقد عشت عشرين عاماً في كهف شيرون، ولم أجانب الحق مرة واحدة، ولم أخطيء في شيء. لقد عدت إلى هنا. إلى بيتي، إلى إيولكس، مسقط رأسي، إلى والدي إيزون إنني أريد المطالبة بأن يعاد لي حكم إيولكس، وقد سمعت أن بيلياس الداهية انتزعه من أبي. خذوني أيها المواطنون إلى بيت أسلافي العظام. لست بغريب بالنسبة لكم، فقد ولدت في إيولكس. إنني جازون بن إيزون.

دل سكان إيولكس جازون على دار والده. لم يكد جازون يدخل الدار حتى تعرف عليه أبوه، وراحت دموع الفرح تتدحرج من عيني العجوز إيزون، كان فرحاً أن ابنه أصبح شاباً قوياً وجميلاً.

لم يلبث نبأ عودة جازون أن وصل مسامع أخوي إيزون ـ فيريتوس، ملك

فيريس، وأمشاونوس من ميسيئيا. فجاءا إلى إيزون مع ولديهما أدميتوس وميلامبودوس.

ظل إيزون وجازون يولمان لهم خمسة أيام بلياليها. وفي حديثه معهم كشف لهم جازون عن نيته في استرداد السلطة على إيولكس. وقد باركوا رغبة جازون هذه، ورافقوه إلى بيلياس. طالب جازون بيلياس بإعادة السلطة له، واعداً إياه بأن يترك له كل الثروات، التي انتزعها من إيزون. وقد خاف بيلياس أن يرد جازون خائباً، فأجابه:

- حسناً، إنني موافق، لكن بشرط واحد: إن عليك قبل ذلك أن ترضي آلهة العالم السفلي. إن شبح فريكوس، الذي لقي حتفه في كولشيد البعيدة يتوسل إلي أن أذهب إلى كولشيد، وأستولي على الجزة الذهبية. هذا ماكشفه لي ظل فريكوس في الحلم. وفي دلفي أمرني النبّال أبولون نفسه بالسفر إلى كولشيد. لكنني بلغت من العمر عتياً، ولا أستطيع اجتراح مثل هذه المأثرة العظيمة، بينما أنت شاب مفعم بالقوة. فقم بهذه المأثرة أرد لك السلطة على إيولكس.

هكذا أجاب بيلياس جازون وهو ينوي الشر في قلبه. كان على يقين أن جازون سيهلك إن هو تجرأ على السفر إلى كولشيد في طلب الجزة الذهبية.

جازون يجمع مرافقيه، ويستعد لغزو كولشيد: بعد الحديث مع بيلياس مباشرة بدأ جازون يستعد لغزو كولشيد. فطاف على كل بلدان اليونان، وفي كل مكان راح يدعو الأبطال، المعروفين بمآثرهم، للمشاركة في الحملة من أجل الجزة الذهبية. وقد لبى العديد من الأبطال دعوته. حتى هرقل نفسه وافق على المشاركة في هذه الحملة. اجتمع جميع الأبطال في إيولكس، ولم يتخلف منهم أحد، مفخرة أثينا اجتمعوا هنا: ثيسيوس الجبار، ابنا زوس وليدا - كاستور وبولوكس وأخواهما إيداس ولنسيوس، والبطلان المجنحان كالاييس وزيتيس ابنا

بورياس (ريح الشمال) وأوريفيا، وميلياغروس من كاليدونيا وإنسيوس الجبار وأديمتوس وتيلامون والكثيرون غيرهم[٧]. كما كان بين الأبطال المغني أورفيوس. كان الأبطال الجبابرة والرائعون كالآلهة يجذبون إليهم أنظار جميع سكان إيولكس المفعمة بالإعجاب.

أصبح المركب جاهزاً ليقل الأبطال. وكان أرغوس: ابن اريستور هو الذي بنى هذا المركب، وقد ساعدته الربة أثينا بنفسها. وقد وضعت في كوثل المركب قطعة من شجرة البلوط المقدسة، من خميلة عراف زوس في دودون. كان رائعاً هذا المركب ذو العشرة مجاذيف، والذي أطلق عليه اسم «أرغو». كان سريعاً وخفيفاً، وكان يندفع عبر أمواج البحر مثل طائر النورس. هذا وقد عرف الأبطال، الذين شاركوا في الحملة باسم الأرغونيين، على اسم المركب (بحارة «أرغو»). ولم تكن أثينا وحدها هي التي شملت الأرغونيين برعايتها، بل إن هيرا شملتهم بحمايتها أيضاً. فقد كانت تتقد كراهية لبيلياس، لأنه لم يقدم لها الأضاحي. وكان جازون يتمتع بعطف خاص لدى هيرا. ففي ذات مرة امتحنت هيرا البطل الشاب بأن ظهرت له في هيئة عجوز حيزبون على ضفة نهر جبلي، وراحت تتوسل إليه باكية أن ينقلها إلى الضفة الأخرى. رفع البطل العجوز على كتفيه بكل حرص، ثم نقلها عبر النهر السريع الجريان. وفي أثناء عبور النهر أضاع جازون فردة صندله. ومنذ ذلك الحين أحبت هيرا جازون، وراحت تساعده في كل شيء. ثم أن أبولون النبّال كان بدوره يشمل الأرغونيين برعايته، فهو الذي دفع الأبطال للقيام بالحملة، وهو الذي تنبأ لهم بالسعادة والنجاح.

أراد المجتمعون في إيولكس أن يختاروا هرقل قائداً لهم، لكن هرقل رفض، واقترح اختيار جازون. واختير تيثيوس رباناً للمركب «أرغو»، وفي المقدمة وقف لينسيوس، الذي كان بنظره الثاقب يرى كل شيء، ليس على الأرض فقط، بل وحتى في جوفها.

كل شيء أصبح جاهزاً للإقلاع. كان «أرغو» الذي أنزل إلى الماء، يتمايل بهدوء على الأمواج، وقد حملت المؤونة اللازمة من الطعام والماء العذب، وقدمت القرابين الأخيرة لأبولون وجميع الآلهة. وقد أعطى التقرب بالأضاحي فأل خير. وفي المساء أقيمت حفلة مرحة. حان الوقت لبدء الرحلة البحرية البعيدة، المحفوفة بالمخاطر.

لم يكد طرف السماء يتوهج بلون الشفق الأرجواني حتى أيقظ الربان تيثيوس الأرغورنيين. صعد الأرغونيون متن المركب، وجلسوا إلى المجاذيف، اثنان في كل مقعد. وفي تناغم تام بدأ الأبطال الجبابرة تجذيفهم. وبكل اعتزاز أقلع «أرغو» من الميناء إلى عرض البحر. ورفع السباحون الشراع الناصع البياض. نفخت الريح المواتية الشراع، فاندفع المركب الخفيف عبر الأمواج، التي تصطخب ببشاشة. وهاهو هيليوس الساطع، إله الشمس، يصعد إلى السماء في مركبة تجرها جياد ناصعة البياض، واصطبغ شراع «أرغو» باللون الوردي، وتلألأت أمواج البحر تحت أشعة شمس الصباح.

داعب أورفيوس أوتار قيثارته الذهبية، فترددت أغنيته الشجية عبر رحابة البحر. وأصغى الأبطال إليه بإعجاب. ومن أعماق البحر خرجت الأسماك والدلافين السريعة مفتونة بغناء أورفيوس، وانطلقت في إثر «أرغو»، الذي يشق الأمواج، مثل القطيع يقتفي أثر الراعي، مسحوراً بأصوات المزمار الحلوة.

الأرغونيون في ليمنوس

بعد رحلة موفقة قصيرة وصل الأرغونيون إلى جزيرة ليمنوس[٨] المزدهرة، التي كانت تحت حكم الملكة الشابة هيبسيبيل. لم يكن في ليمنوس كلها رجل واحد. فقد قتلت الليمنوسيات جميع أزواجهن بسبب خيانتهم. ولم ينج إلا الملك

ثاوس، والد هيسيبيل. وكانت ابنته هي التي أنقذته من الموت.

حين رسا الأرغونيون إلى ساحل ليمنوس، وأرسلوا مبعوثهم إلى المدينة، عقدت الليمنوسيات اجتماعاً في ساحة المدينة، وكانت نصيحة هيسيبيل الشابة ألّا يسمح للأرغونيين بدخول المدينة. فقد كانت تخاف أن يكتشف الأبطال الفعلة التي ارتكبتها الليمنوسيات. لكن بولوكو العجوز اعترضت على رأي الملكة، وأصرت على السماح للأرغونيين بدخول المدينة.

وقالت بولوكو:

- من سيدافع عنكن إذا ماأغار الأعداء على ليمنوس؟ ومن الذي سيعتني بكن عندما تشخن، إذا مابقيتن وحيدات؟ كلا، فليدخل الغرباء المدينة، وليبقوا هنا.

عملت الليمنوسيات برأي بولوكو العجوز. وللتو أرسلن إحداهن مع المبعوث، القادم من «أرغو» لدعوة الأبطال لدخول المدينة.

ارتدى جازون لباساً أرجوانياً مزخرفاً، كانت أثينا ـ بالاس قد حاكته له بنفسها، وسار إلى المدينة. استقبلته هيسيبيل بالترحاب، وعرضت عليه النزول في قصرها. ثم جاءت بقية الأرغونيين إلى المدينة. ولم يبق على متن «أرغو» سوى هرقل وعدة أشخاص.

خيم المرح والفرح على الجزيرة. وفي كل مكان اندلعت المحارق، وعليها القرابين المقدمة للآلهة، وتتابعت الاحتفالات، وتوالت المآدب. وكان يبدو وكأن الأبطال قد نسوا تلك المأثرة، التي تنتظرهم، فراحوا يحتفلون، ولاهم لهم، في جزيرة ليمنوس الغنية. وأخيراً قام هرقل خفية باستدعاء الأرغونيين إلى ساحل البحر، حيث يرسو «أرغو»، وراح بطل الأبطال يوبخهم غاضباً، لأنهم نسوا المآثر بسبب اللذة وبسبب حياة المرح والتسلية. وقف الأبطال خجلين، وهم يصغون باهتمام إلى اللوم الذي يستحقون. وقرروا مغادرة ليمنوس على جناح السرعة.

وللحـال أصبـح «أرغـو» جاهـزاً للإقـلاع . وأصبح الأبطال جاهزين للصعود إلى المركب والجلوس إلى المجاذيف حين وصل جمهور الليمنوسيات الشاطيء . ورحن يتوسلن إلى الأبطال ألا يغادروهن ، وأن يبقوا معهن . لكن الأبطال لم يُستمالوا . بل صعـدوا متن «أرغـو» ، وجلسـوا خلف المجاذيف ، فأرغت الأمواج وأزبدت تحت وقع ضربات المجذفين الأبطال ، ومثل الطائر اندفع «أرغو» يشق عباب البحر الشاسع .

الأرغونيون في شبه جزيرة كيزيك

في أثنـاء الطـريق عبر بروبـونتيـد[٩] رسا الأرغونيون في شبه جزيرة كيزيك ، حيث كان يقطن الدليون ، أحفاد بوزيدون ، وكان يحكمهم الملك كيزيك . وغير بعيـد عن قصـره كانت توجـد هضبـة الدب ، التي كان يعيش عليها المردة ، ولكل منهم ست أيد ، ولولا حماية بوزيدون لما كان بمقدور الدليون أن يعيشوا آمنين مع جيران كهؤلاء . استقبـل الملك كيـزيك الأرغونيين بحفاوة ، وأقام لهم مأدبة مرحة ، استمـرت يومـاً كامـلاً . ولم يكـد الصبـاح يتنفس حتى استعد الأرغونيون للسفر . وكـانـوا قد صعـدوا متن «أرغـو» حين ظهر المردة بغتة على ساحل الخليج المقابل . راح المـردة يلقـون في البحـر الأحجـار الضخمـة ، ويقتلعـون الصخـور الهـائلة ، ويضعونها الواحدة فوق الأخرى . لكي يقطعوا على الأرغونيين طريق الخروج من الخليـج إلى عرض البحـر . تناول هرقل قوسه ، وراح يطلق سهامه القاتلة الواحد تلو الآخـر نحـو المـردة . وانقض الأرغـونيـون على المردة والرماح في أيديهم ، وهم يحتمون بالتروس . لم تستمر المعركة طويلاً ، فقد سقط المردة الواحد تلو الآخر على الأرض وفي البحر . لقد قتلوا جميعهم ، ولم ينج منهم أحد .

استأنف الأرغونيون رحلتهم ، نفخت الريح المؤاتية الشراع ، وظل «أرغو»

يمخر عباب اليم بهدوء طيلة النهار. وحل المساء، ونزل هيليوس، إله الشمس من السماء، ودثر الليل الأرض والسماء بالعتمة، وتغيرت الرياح، فراحت تدفع بـ«أرغو» على أعقابه، نحو تلك الشواطيء، التي غادرها لتوه. ورسا الأرغونيون إلى كيزيك في عتمة الليل. لم يعرفهم سكانها، ظنوا أنهم قراصنة، فأغاروا عليهم وعلى رأسهم ملكهم الشاب. وبدأت معركة ليلية فظيعة. في ظلمة الليل راح الأبطال يقتتلون مع أصدقاء الأمس. وطعن جازون الملك الشاب كيزيك برمح ثاقب، فوقع هذا على الأرض يئن. لكن هاهي أشعة الفجر إيوس تلون الشرق باللون القرمزي. ويتعرف المقاتلون بعضهم على بعض فيستبد بهم الهول. لقد اقتتل الأصدقاء مع الأصدقاء. وقد بقي الأرغونيون مع سكان كيزيك ثلاثة أيام يقيمون التر يزنا[١٠] على أرواح القتلى، وظلوا ثلاثة أيام يندبون الملك الشاب. أما زوجته كليتو الحسناء، ابنة ميروبه، فلم تتحمل موته، فطعنت نفسها بسيف قاطع في صدرها.

الأرغونيون في ميزيا

بعد رحلة قصيرة بلغ الأرغونيون سواحل ميزيا[١١]. وهناك رسوا إلى الساحل، كي يتزودوا بالماء والطعام. أما هرقل الجبار فقد اتجه إلى الغابة المجاورة ليصنع لنفسه مجذافاً جديداً بعد أن انكسر مجذافه. وقد عثر على شجرة آس عالية، فلف ذراعيه القويتين حولها، ثم اقتلعها من جذورها. ألقى هرقل بشجرة الآس على كتفيه، وسار نحو الشاطىء. وفجأة رأى صديقه بوليفيم[١٢] يجري نحوه، ويخبره بوليفيم أنه سمع للتو صراخ هيلاس[١٣] الشاب، وهو يناديهم. انطلق هرقل يبحث عن هيلاس، لكنه لم يستطع العثور عليه في أي مكان. وتملك الحزن هرقل. واستمر مع بوليفيم في البحث عن هيلاس، لكن عبثاً.

أمـا الأرغـونيـون فقد استأنفوا رحلتهم مع شروق نجمة الصبح الساطعة، التي تبشر بقرب حلول الصباح، دون أن يلاحظوا في غبش الشفق غياب هرقل، بوليفيم وهيـلاس. ولاتسـل عن حزن الأبطـال حين حل الصباح واكتشفوا غياب رفاقهم الأماجد.

كان جازون جالساً مطـرق الـرأس، وكأنـه لايسمـع تذمر رفاقه، لكأنه لم يلاحـظ غيـاب هرقـل وبـوليفيم. واقترب تيلامون، صديق هرقل المخلص، من جازون، وقال له لائماً:

- أنت وحـدك تجلس هادئاً، بوسعك الآن أن تفرح، فهرقل ليس بيننا، ولم يعد من يستطيع كسف مجدك. كلا لن أرافقكم إن لم تعودا وتعثروا على هرقل وبوليفيم.

انـدفـع تيـلامون نحو الربان تيثيوس، وأراد أن يجبره على العودة بـ«أرغو» على أعقـابـه. وعبثـاً راح الأخـوان بوريـاد[14] يحاولان تهدئته، فلم يكن تيلامون الغـاضب يريـد الإصغـاء لأحد، وكان يتهم الجميع بترك هرقل وبوليفيم في ميزيا عن عمد. وفجأة ظهر من بين أمواج البحر رأس غلافكوس[15] إله البحر العراف، وقد التفت عليه النباتات المائية. قبض غلافكوس على «أرغو»، وأوقفه قائلاً:

- بمشيئة زوس العظيم، قاذف الصواعق، بقي هرقل وبوليفيم في ميزيا. فعلى هرقل أن يعود إلى اليونان ويجترح اثنتي عشرة مأثرة عظيمة في خدمة أورستيه. أمـا بوليفيم فقـد كتب عليـه أن يؤسس في بلاد الهاليب مدينة كيوس المجيدة. لقد بقي البطلان في ميزيا لأنهما يبحثان عن هيلاس الجميل، الذي خطفته الحوريات.

لم يكـد غلافكـوس ينتهي من كلامـه حتى غطس في البحـر من جديـد، واختفى عن أعين الأرغونيين.

أطمأن الأبطـال، وتصـالـح تيـلامـون مع جازون. وجلس الأبطال خلف

المجاذيف، وانطلق «أرغو» يمخر عباب اليم من جديد، تسوقه تجذيفات الأبطال القوية المتناغمة.

الأرغـونيـون في فيثينيـا[١٦]:

في صبـاح اليـوم التـالي رسـا الأرغـونيـون إلى سواحل فيثينيا. ولم يستقبلوا بالحفاوة، التي استقبلوا بها في كيزيك. كان يقطن سواحل فيثينيا أقوام تعرف باسم البيـبريس، يحكمهم الملك أميكـوس. وكـان هذا الملك يزهـو بقوته الخارقة، وقد اشتهر كملاكم لا يقهر. فكان يرغم جميع الغرباء على منازلته، ويقتلهم دون رحمة بضـربـة جبـارة من قبضتـه. استقبل أميكوس الأرغونيين متهكماً ووصف الأبطال العظام بالصعاليك، وتحدى أكثرهم قوة لمنازلته، إذا ماكان أي منهم يتجاسر على اختبـار قوتـه معـه. غضب الأبطال، وخرج من بينهم بولوكس، ابن زوس وليدا. وقبل تحدي ملك البيبريس بكل هدوء. كان أميكوس يقف، مثل تيفون الفظيـع[١٧] في ردائـه الأسود، والهراوة الضخمة على كتفيه. وبنظرة متجهمة قاس بولـوكس، الـذي كان يقف أمامه. وهو يتألق بجماله، لكأنه نجم ساطع. استعد المقاتلان للمبارزة. وألقى أملكوس على الأرض بسيور[١٨] الملاكمة. أما بولوكس فرفع أقرب السيور إليه بشكل عشوائي، ثم ربط بها يده. بدأت المعركة. انقض ملك البيـبريس على بولـوكس كالثـور الهـائج، لكن بولوكس رد ضرباته بمهارة، دون أن يتراجع خطوة واحدة أمام ضغط أميكوس. توقف القتال لحظة كي يأخذ المتبـارزان قسطـاً من الـراحـة. وهـاهما من جديـد يتقاتلان، فتتساقط الضربات الـواحـدة تلو الأخـرى. لوح أميكـوس بيـده، وهم بتوجيه ضربة هائلة إلى رأس بولوكس، لكن البطل الشاب تفاداها، وسدد لأميكوس لكمة على أذنه كانت من القوة بحيث حطمت جمجمته.

سقـط أميكـوس على الأرض، وأطلق الأرغـونيـون صيحـات الإعجـاب والتحية لبولوكس.

ما إن رأى البيـبر يس ملكهم ميتـاً حتى هجمـوا على بولوكس. وبلكمتين من قبضتـه طرح أول اثنـين أرضـاً. امتشق الأرغـونيـون السلاح، وانقضوا على البيــبر يس. وكـما الـزوبعـة راحت هراوة أنكيـوس الثقيلة تصفـر في صفـوف البيـبر يس، وواحـداً إثر آخر يجندل الأعداء سيف كاستور المتلالىء. كان الأبطال يقاتلون كالأسود. وقد لاذ البيبر يس بالفرار، وطاردهـم الأبطال طويلاً، ثم عادوا إلى ساحـل البحـر ومعهم الكثـير من الغنـائم. أمضى المتصـرون الليـل بطوله يحتفلون على السـاحـل، وتـردد عالياً نشيد أورفيوس، نشيد النصر، وعلى إيقاع القيثـارة الـذهبية راح يمجد قاهر ملك البيبر يس، الشاب الجميل بولوكس، ابن زوس، قاذف الصواعق.

الأرغونيون عند فينيوس (Phinée)

وفي صبـاح اليـوم التالي استأنف الأرغونيون طريقهم البعيدة. ولم يلبثوا أن بلغـوا سواحـل تراقيـا[١٩]. خرج الأبطـال إلى الشـاطىء كي يتمـونـوا. وعلى الشـاطىء رأوا منـزلاً فاتجهـوا نحـوه. ومن البيت خرج للقـاء الأرغـونيـين عجوز أعمى، كان بالكـاد يقف على قدميـه، ويـرتجف بكل جسمه من شدة ضعفه. لم يكـد العجـوز يصل عتبة بيته حتى جلس على الأرض منهكاً. ومن كلام العجوز عرف الأرغونيون أنه فينيوس، ابن أجينور، ملك تراقيا سابقاً. لكن أبولون عاقب فينيوس لأنه أساء استخدام القدرة على العرافة، التي وهبه إياها أبولون، وكشف للنـاس أسـرار زوس. أصـاب أبـولـون فينيـوس بالعمى، أما الآلهة فسلطوا عليه الهاربيات، أشباه الفتيات، أشباه الطيور، اللواتي كن يأتين إلى بيته فيلتهمن كل

مافيه من طعام، ثم ينشرن في أرجائه رائحة نتنة، وقد كشف الآلهة لفينيوس أنه لن يستطيع التخلص من هذا العقاب إلا حين يأتيه الأرغونيون وبينهم زيتوس وكالاييس ابنا بورياس. راح العجوز يتوسل إلى الأبطال أن يخلصوه من محنته، وإلى ولدي بورياس أن يطردا الهاربيات، فهو ليس بغريب بالنسبة لهما - كان فينيوس متزوجاً بأختهما كليوباترة.

وافق الأبطال على مساعدة فينيوس. وقد أعدوا مائدة عامرة. لكن لم يكد فينيوس يرقد[20] خلف المائدة، لكي يسد رمقه حتى حطت الهاربيات، ودون أن يولين صيحات الأرغونيين أي اهتمام التهمن الطعام كله، ورحن ينشرن الرائحة النتنة في كل أرجاء البيت. ومن ثم غادرت الهاربيات منزل فينيوس. وانطلق في أثرهن ولدا بورياس على أجنحتهما الجبارة. وقد أمضيا فترة طويلة في مطاردة الهاربيات، إلى أن لحقا بهن قرب جزر بلوتيس. امتشق ابنا بورياس سيفيهما، وهما بطعن الهاربيات، لكن فجأة جاءت إيريس[21]، رسولة الآلهة، على جناحيها القوس قزحيين، إنها قادمة من الأولمب العالي. أوقفت إيريس ابني بورياس وقالت لهما أن الآلهة أمرت الهاربيات بعدم العودة إلى فينيوس لاحقاً. وهكذا طار ولدا بورياس على أعقابهما، إلى تراقيا.

ومنذ ذلك الحين أصبحت صخور بلوتيس تسمى باسم ستر وفاد[22]، أي جزر العودة.

لم تكد الهاربيات، اللواتي طاردهن ولدا بورياس، تطرن حتى عمد الأرغونيون إلى إعداد سفرة جديدة لفينيوس، وتمكن العجوز أخيراً من إخماد جذوة جوعه الرهيب. وفي أثناء تناول الطعام كشف العجوز للأرغونيين المخاطر، التي سيتعرضون لها في طريقهم إلى كولشيد، وأسدى لهم النصائح الكفيلة بتذليلها. كما نصحهم فينيوس بأن يستعينوا، حال وصولهم كولشيد، بأفروديت الذهبية. لأنها وحدها القادرة على مساعدة جازون في الحصول على الجزة

الـذهبيـة . أصغى الأرغـونيـون للشيخ العراف بانتباه ، وهم يحاولون أن يحفروا في ذاكرتهم كل ماقال لهم .

لم يلبث ابنـا بورياس أن عادا وتحدثا عن مطاردتهما للهاربيات ، سر فينيوس الكهل أنه تخلص إلى الأبد من ظهور الهاربيات .

السمبـليغـادات[٢٣] :

لم يمكث الأبطـال عنـد فينيـوس طويـلاً . واستأنفوا رحلتهم على عجل . انـدفـع «أرغـو» مسرعاً عبر أمواج البحر . وفجأة سمع ضجيج بعيد أمامهم . كان الضجيـج شبيهـاً بهديـر العـاصفـة القـادمة ، وبين الفينة والأخرى يتخلله مايشبه هـزيم الـرعـد . وهـاقـد ظهرت صخور السمبليغادات . ورأى الأبطال الصخور وهي تتبـاعـد ، ثم لاتلبث أن تتصادم بعضها ببعض بهدير هائل . وكان البحر من حولها يصطخب ، كان الرذاذ يتطاير عالياً عند كل تصادم . وحين كانت الصخور تتباعد من جديد كانت الأمواج تندفع بينها وهي تدور في دوامة مجنونة .

تذكـر الأبطـال نصيحة فينيوس بأن يطلقوا الحمامة أمامهم فإن مرت الحمامة بين الصخـور فإن «أرغـو» سيمر أيضاً بين الصخور سالماً . ضاعف الأرغونيون من تجذيفهم . هاهم قد أصبحـوا عنـد الصخـور تمامـاً . اصطـدمت الصخـور بقوة ، وتباعدت من جديد . أطلق ايفيموس[٢٤] الحمامة ، ومن جديد التصقت الصخور . رشّ الرذاذ المالح الأرغونيين ، وراح «أرغو» يدور بين الأمواج لكأن زوبعة أمسكت به . مرت الحـمامـة بسـلام بين الصخـور ، ولم تنتزع منها الصخور المتصادمة سوى طرف ذيلهـا . صاح الأرغـونيـون مسـرورين ، فضاعفوا من تجذيفهم . تباعدت الصخـور . وجـاءت موجـة عاتيـة ، فحملت «أرغـو» ، وقـذفت به عبر المضيق . وجـاءت للقـاء «أرغـو» موجـة أخـرى ، ردت المركب على أعقـابـه . وتنحني

المجاذيف، ويصر «أرغو» لكأنه يئن من ضغط الأمواج. وهاقد ارتفعت موجة أخرى، عالية كالجبل، وانقضت على «أرغو»، فراح يدور كالسكران، وتقترب الصخور، ولن تلبث أن تتصادم، ويصبح الهلاك لا مفر منه. وحينذاك جاءت أثينا ـ بالاس لنجدة الأرغونيين. فقد أمسكت بيدها إحدى الصخور، ودفعت بالأخرى «أرغو» بكل قوة، جعلته يندفع مثل السهم عبر المضيق. ولم تحطم السمبليغادات المتصادمة إلا طرف الدفة. ومن جديد تباعدت الصخور، وأصبحت ثابتة إلى الأبد على طرفي المضيق. وتحققت مشيئة القدر بأن السمبليغادات لن تصبح ثابتة إلا بعد أن يمر بينها مركب. والآن أصبح بوسع الأرغونيين أن يكونوا على يقين من أن حملتهم ستنتهي نهاية سعيدة.

جزيرة أريتياد، والوصول إلى كولشيد

أبحر الأرغونيون طويلاً على امتداد سواحل بونت إيفكسين[٢٥]. وقد مروا بالعديد من البلدان، ورأوا الكثير من الشعوب. أخيراً ظهرت جزيرة في البعيد. راح «أرغو» يقترب من الجزيرة بسرعة، وأصبح الشاطىء على بعد قوسين، وفجأة طار من الجزيرة طائر كبير، كان جناحاه يتلألآن تحت أشعة الشمس. حلق الطائر فوق «أرغو»، وألقى بريشة على أحد الأبطال ـ أويليوس. ومثل السهم انغرزت الريشة في كتف أويليوس، فتدفق الدم من الجرح، وسقط المجذاف من يدي البطل الجريح. استأصل رفاق أويليوس الريشة من الجرح، راح الأرغونيون ينظرون إلى الريشة بدهشة فرأوا أنها نحاسية وحادة كالسهم. وها قد حلق طائر آخر فوق الجزيرة، وانطلق باتجاه «أرغو»، لكن كليتيه كان له بالمرصاد والقوس في يديه. فلم يكد الطائر يقترب من «أرغو» حتى أطلق كليتيه سهمه، فسقط الطائر ميتاً في البحر. ماإن رأى الأرغونيون هذا الطائر، المغطى بالريش النحاسي حتى

أدركوا أنها طيور الستيمفاليد، وأن هذه الجزيرة، التي تقطنها هذه الطيور، هي جزيرة أريتياد. نصح أمفيدامنت الأبطال بارتداء الدروع والاحتماء بالتروس. وقبل الرسو إلى الشاطىء راح الأرغونيون يصرخون، ويقرعون التروس بالرماح والسيوف. فحلقت الطيور سرباً هائلاً فوق الجزيرة، ثم طارت عالياً فوق «أرغو»، وانهمر فوق الأبطال مطر من الريش ـ السهام. لكن التروس حمتهم من خطرها. أما الطيور فبعد أن رسمت دائرة فوق «أرغو»، اختفت في البعيد خلف الأفق.

نزل الأرغونيون إلى الشاطىء، وهموا بأخذ قسط من الراحة، لكنهم رأوا أربعة شبان يتجهون ناحيتهم. كان الفتيان في غاية الهزال، وكانت ثيابهم معلقة عليهم أسمالاً رثة، وهي بالكاد تستر أجسادهم. إنهم أولاد فريكوس. وكانوا غادروا كولشيد، عائدين إلى أورشومين، لكن سفينتهم تحطمت في ليلة عاصفة، ولحسن حظهم أن الأمواج قذفت بهم إلى أريتياد، حيث عثر عليهم الأرغونيون. سر الأبطال بهذا اللقاء، وكان جازون أكثرهم سروراً، فالفتيان كانوا أقرباء له. أطعم الأرغونيون الفتيان، وأعطوهم لباساً جديداً، وأخبروهم أنهم في طريقهم إلى مملكة آييتيس لجلب الجزة الذهبية. وعد أرغوس ـ أكبر الفتيان ـ بتقديم المساعدة للأرغونيين. وحذرهم من أن الملك آييتيس جبار وظالم، لا يرحم أحداً. لكن أي شيء لم يكن بقادر على منع الأرغونيين من التصميم على الحصول على الجزة الذهبية.

في صباح اليوم التالي استأنف الأرغونيون رحلتهم. وقد أبحروا طويلاً، أخيراً ازرورقت في البعيد ذرى القوقاز، كالسحب المتجمعة في الأفق. والآن لم تعد كولشيد بعيدة.

كان «أرغو» ينطلق بسرعة تدفعه ضربات المجاذيف المنتظمة. وها قد بدأت الشمس تختفي، وهي تنزل إلى البحر، وجرت ظلال المساء عبر الأمواج.

وعـاليـاً فوق «أرغـو» تردد خفق الأجنحـة. إنـه النسـر العملاق، الذي كان يطير قاصـداً الصخـرة، التي قُيِّـد إليـه المـارد بروميثيـوس، وقد هبت الريح فوق البحر بسبب خفق جنـاحي النسـر الهـائلين. اختفى النسر في البعيد، وتناهى إلى سمع الأرغونيين أنين بروميثيوس الثقيل والحزين.

أصبـح الشـاطىء قريبـاً جداً. وهـاهـو مصب نهر فازيس. وبمسـاعـدة المجـاذيف صعـد الأرغـونيـون عبر مجرى النهـر، ثم ألقوا المرساة في خليجه المليء بالقصب الكثيف. أدى جازون صلاة الشكـر للآلهـة، ودعـا آلهة كولشيد وأرواح الأبطـال المـوتى إلى مسـاعـدته في قضيته الخطيرة. استسلم الأبطال على «أرغو» للنوم. فقد بلغوا هدفهم، ووصلوا كولشيد، عاصمة الملك آرييتيس. لكن الكثير من الأخطار كانت بانتظارهم.

هيـرا وأثينـا عند أفـروديـت:

حين وصـل الأرغـونيـون إلى كولشيد بدأت الربتان هيرا وأثينا تتشاوران، حول كيفية مساعدة جازون في الحصول على الجزة الذهبية.

جاءت الـربتـان كلتاهما إلى أفروديت، فوجدتاها وحيدة في البيت. كانت أفـروديت جالسـة على عرش ذهبي فاخر، تسرح شعرها الكثيف بمشط ذهبي. ولم تكـد أفـروديت ترى الـربتين داخلتين عليها حتى نهضت لاستقبالهما، وراحت ترحب بهما بلطف. وسألتهـما ربـة الحب عن سبب قدومهـما، بعد أن أجلستهما في مقعـدين ذهبيـين من صنـع هيبـايستوس. فحدثتها الربتان عن نيتهما في مساعدة البطل جازون، وطلبتا منها أن تأمر إيروس أن يصيب بسهمه قلب ميديا. وافقت أفـردويت، وراحت تبحث عن ولـدهـا الكثيـر الشيطنـة، وفي هذا الـوقت كان إيروس يلعب بالعظام مع غانيميد. تغلب إيروس المحتال على غانيميد البسيط،

وراح يضحك منه بصوت عال . وفي هذا الوقت دنت منها أفروديت ، وقد عانقت ولدها وقالت له :

- اسمع ياشيطان! . أريد أن أكلفك بمهمة . خذ بسرعة قوسك وسهامك ، وانطلق إلى الأرض . وهناك في كولشيد أصب بسهمك قلب ميديا . ابنة الملك آييتيس ، دعها تحب البطل جازون . وإذا مانفذت طلبي هذا أهديتك تلك اللعبة ، التي سبق أن صنعها أدراستيه لزوس حين كان صغيراً . لكن هيا وانطلق الآن ، فيجب أن يتم ذلك بأسرع وقت .

طلب إيروس من أمه أن تعطيه اللعبة حالاً ، لكن أمه كانت تعرف دهاءه ، فلم توافق على إعطائه اللعبة قبل أن ينفذ المهمة التي كلفته بها . وإذ اقتنع إيروس أنه لن يحصل على أي شيء من أمه تناول على عجل قوسه وسهامه ، وانطلق على عجل من على الأولمب العالي إلى كولشيد ، وجناحاه الذهبيان يتلألآن تحت أشعة الشمس .

جازون عند آييتيس :

استيقظ الأرغونيون في الصباح الباكر ، وقرروا في اجتماعهم أن على جازون أن يذهب برفقة أبناء فريكوس إلى الملك آييتيس ، ويرجوه أن يعطي الجزة للأرغونيين . ولن يلجأوا إلى استخدام القوة إلا في حال رفض الملك المغرور طلبهم .

اتجه جازون إلى قصر الملك ، حاملاً عصا السلام . وقد عمدت الربة هيرا إلى حجب جازون ورفاقه بغيمة كثيفة ، كي لايوجه سكان كولشيد الإهانة للأبطال . وحين اقترب الأبطال من القصر تلاشت الغيمة ، كان قصر آييتيس في غاية الفخامة . وكانت أسواره عاليةً ، وله الكثير من الأبراج . وإلى القصر كانت

تقـود بوابـة عريضـة، مزدانـة بالمرمر. وكانت صفوف الأعمدة البيضاء تسطع في الشمس مكونة منظراً رائعاً.

كل هذا الأثـاث الفـاخـر صنعـه هيبـايستـوس للملك آييتيس كتعبير عن امتنانه لاله الشمس هيليوس، والد آييتيس، لأنه نقله وقد أضناه القتال ضد المردة من حقـول فليفـريا[26] في مركبته الذهبية. كان القصر يضم الكثير من الأجنحة، وكـان الملك وزوجتـه يعيشـان في أفخمهـا، وفي جنـاح آخـر كان يعيش ولـده أبسـيرتـوس، الذي لقبه الكولشيديون بأبسيرتوس فائيتون (المتألق) لشدة جماله. وفي أجنحـة القصـر الأخرى كانت تعيش هاليكوب، ابنة إيتيس ووالدة فريكوس الراحل، وابنته الصغرى ميديا، الساحرة العظيمة وصيفة الربة هيكات[27].

حين دخـل جازون مع رفـاقـه الباحة، التي تقود إلى جناح آييتيس خرجت ميـديـا من جنـاحها. كانت في طريقها لزيارة هاليكوب. وصرخت ميديا من فرط الدهشة إذ رأت الغرباء. وعلى صراخها خرجت هاليكوب فرأت أبناءها. جرت هاليكوب نحوهم وهي سعيدة بعودتهم. وخرج آييتيس ليرى سبب هذه الضجة. دعا الغرباء إلى قصره، وأمر الخدم بإحياء وليمة فاخرة. وفي الوقت الذي كان فيه جازون يتبـادل التحيـات مع آييتيس نزل إيـروس من على الأولمب العـالي على جناحيه الذهبيين. اختبأ إيروس خلف العمود، ثم شد وتر قوسه، وأخرج سهمه الذهبي. ومن ثم وقف إيروس، دون أن يراه أحد، خلف جازون، وأطلق سهمه في قلب ميديا مباشرة. أصاب السهم فؤادها، وشعرت فوراً بحب جازون.

دخـل جازون مع رفـاقـه قصـر آييتيس. وهنـاك دعاهم ملك كولشيد إلى مائـدة عامـرة. وفي أثنـاء المأدبـة راح أرغـوس يروي لآييتيس كيف تحطمت سفينتهم، وكيف قذفت بهم الأمـواج العـاتيـة إلى جزيـرة أريتيـاد، ثم كيف عثر عليهم الأرغونيون هناك، وهم يشرفون على الموت جوعاً. كما أخبره أرغوس عن سبب قدوم جازون والأبطال إلى كولشيد. لم يكد آييتيس يسمع أن جازون يريد

الحصـول على الجـزة الـذهبية حتى قدحت عينـاه شرراً من فرط غضبـه . لكن آبيتيس لايصدق أن الأبطال جاءوا في طلب الجزة الذهبية . كان يتساءل : ترى ألا ينـوي أبنـاء فريكوس السيطرة على كولشيد بأسرها ، فجاءوا بأبطال الاغريق لهذا الغـرض؟ ويـروح آبيتيس يوبخ جازون ، إنـه يريـد طرده من القصـر ، ويهـدده بالإعدام . وهم تيلامون بصب جام غضبه على الملك ، رداً على تهديداته ، لكن جازون أوقفه . وراح يحاول طمأنة آبيتيس ، ويؤكد له أنهم لم يأتوا كولشيد إلا من أجـل الجـزة ، ويعـد الملك بأن يقدم له الخدمة التي يريد ، وينفذ المهمة التي يكلفه بها ، مهما كانت ، إذا ماكافأه الملك على ذلك بالجزة الذهبية . وفكر آبيتيس ملياً . ثم قال أخيراً ، وفي نيته القضاء على جازون :

- حسناً ، سوف تحصل على الجزة ، لكن عليك قبل ذلك أن تنفذ مهمتي التالية : احـرث الحقـل المنـذور لآريس ، بمحـراثي الحـديـدي ، واربـط إلى المحراث الثـورين نافثي اللهب وقـوائمهـما من النحـاس ، وازرع هذا الحقـل بأنيـاب التنـين ، وحـين ينبت من أنيـاب التنـين المحـاربون المدرعون قاتلهم واقتلهم . ولسوف تحصل على الجزة إذا مانفذت ذلك .

لم يرد جازون على آبيتيس فوراً ، لكنه تمتم أخيراً :

- إنني موافق ياآبيتيس ، لكن يجب أن تنفـذ وعـدك ، فأنت تعرف أنني لاأستطيع رفض تنفيـذ المهمـة التي تكلفني بها ، مادمت قد جئت إلى هنـا ، إلى كولشيـد بإرادة القدر .

ما إن قال جازون ذلك حتى غادر مع رفاقه .

الأرغـونيون يطلبون المساعدة من ميديا :

بعـد عودتـه إلى «أرغـو» أخبر جازون رفاقه بما جرى في قصر آبيتيس وبأي

مهمة كلفه الملك. وغرق الأرغونيون في التفكير، ماذا يفعلون، وكيف لهم بتنفيذ مهمة آييتيس؟ أخيراً قال أرغوس:

ـ أيها الأصدقاء إن ميديا ابنة آييتيس تعيش في القصر. وهي ساحرة عظيمة، وهي وحدها القادرة على مساعدتكم. ولسوف أطلب من والدتي أن تقنع ميديا بإسداء العون لنا. وإذا ماساعدتنا ميديا فإن كل المخاطر ستهون علينا.

لم يكد أرغوس ينتهي من كلامه حتى طارت فوق «أرغو» حمامة بيضاء، يتعقبها صقر. حطت الحمامة عند جازون، ثم اختبأت في طيات ردائه، أما الصقر فقد سقط على «أرغو».

وصاح العراف موبسوس[٢٨]:

ـ هذه إشارة فأل حسن من الآلهة. إن الآلهة أنفسهم يأمروننا بطلب المساعدة من ميديا. انظروا إن هذا الطائر المنذور لأفروديت قد كتبت له النجاة على صدر جازون. تذكروا ماقاله فينيوس. ألم ينصحنا بطلب المعونة من أفروديت؟ فليذهب أرغوس إلى أمه على عجل، ولسوف تقنع ميديا بمديد العون لنا.

أصغى الأرغونيون لكلام العراف موبسوس، وعملوا به: فقد قدموا قرباناً لأفروديت، بينما أسرع أرغوس إلى قصر آييتيس، حيث والدته.

وفي هذا الوقت استنفر إيتيس جميع الكولشيديين. وقد أخبر الشعب بقدوم الأرغونيين، وأوعز بحراسة «أرغو» كي لايتمكن أي من الغرباء من الهرب والنجاة بجلده. كان آييتيس قد قرر إحراق «أرغو» وجميع من عليه من الأبطال، بعد أن يهلك جازون في الحقل المنذور لآريس. أما أولاد فريكوس فقد قرر أن ينزل بهم الاعدام المضني.

حل الليل. وخيم الهدوء في كل مكان، إلا في مخدع ميديا. ففوق رأسها كانت تحوم الأحلام بأعداد كبيرة، وكل منها أفظع من الآخر وأشد هولاً. تارة ترى ميديا أن جازون يقاتل الثيران، أما مكافأة تغلبه عليها فستكون ميديا نفسها.

وتارة ترى أنها تقاتل الثيران، قاذفة اللهب، وتتغلب عليها بسهولة، وأخرى ترى أن والـــديهـــا يرفضـان تزويجهـا من جازون: فليس هو من تغلب على الثـيران. ويشب الخـلاف بين جازون وآييتيس وعلى ميـديا نفسها أن تفض هذا الخلاف. وحين فضته لصالح جازون أثارت غضب أبيها، الذي صرخ فيها بشكل فظيع. استيقظت ميـديـا غارقـة في الدموع، وتريد أن تجري إلى هاليكوب، لكنها تخجل من ذلـك. ثلاث مرات أمسكت قبضـة الباب، لكنها في كل مرة كانت تعود على أعقـابهـا. وقعت ميديا على سريرها، وأجهشت بالبكاء. سمعت إحدى جواري ميـديـا سيـدتهـا تبكي فأخـبرت هاليكـوب بذلـك. وتسرع هاليكوب إلى أختها فتجدها في سريرها تنتحب.

وتقول هاليكوب لها:

- مابـالـك تبكين ياأختاه؟ هل تذرفين الدمع على مصير أولادي ياترى؟ هل نبا إليك أن والدنا يريد القضاء عليهم؟

فأجابت ميديا أختها بقولها:

- لقـد روادتني أحـلام فظيعـة ياأختي. إن الهلاك يتهدد أولادك وذلك الغريب، الذي عادوا برفقته. آه لو أن الآلهة يعطونني القوة لمساعدتهم.

اقشعـر بدن هاليكـوب رعباً وهي تسمع كلام ميديا، ثم عانقتها، وراحت تتـوسـل إليهـا أن تسـاعـدهم. فهـاليكـوب تعـرف أن ميديا قادرة على مساعدة جازون. وقالت ميديا لهاليكوب:

- اسمعي ياأختـاه، سوف أسـاعـد الغريب. فليأت صباحاً إلى معبد هيكات، ولســوف أعطيـه تعـويـذةً تسـاعده في اجتراح المأثرة. لكن عديني أن تبقي كل شيء طي الكتمان، وإلا فإن والدي سيقضي علينا جميعاً.

انصـرفت هاليكـوب، وبقيت ميـديـا لوحـدهـا. كانت المشـاعر المتناقضة تتصـارع في صدرهـا. تارة تخاف أن تخرج على إرادة أبيهـا، وأخـرى تعقد العزم

على مساعدة جازون، الذي أحبته. حتى أنها أرادت أن تنتحر. فقد أخذت علبة السم، وفتحتها، لكن الربة هيرا أثارت لديها التعطش الجامح للحياة. فدفعت ميديا بعلبة السم بعيداً، ونسيت كل شكوكها، ولم تعد تفكر إلا بجازون وحده، وقررت أن تساعده.

مع إطلالة الفجر واصطباغ ذرى القوقاس الثلجية البعيدة باللون الوردي، جاء أرغوس إلى الأرغونيين، وأخبرهم أن ميديا وافقت على مساعدة جازون، وتطلب منه القدوم إلى معبد هيكات. وحين أشرقت الشمس ذهب جازون برفقة أرغوس إلى العراف موبسوس في معبد هيكات. وكانت الربة هيرا قد جعلت جازون جميلاً لدرجة أن الأرغونيين أنفسهم راحوا يتأملونه بإعجاب.

نهضت ميديا في الصباح الباكر، وأخرجت علبة المراهم السحرية، وأخذت منها مرهماً، يعرف باسم «زيت بروميثيوس». لقد صنع هذا المرهم من عصير جذور النباتات، التي نبتت من دم بروميثيوس. وكان كل من يطلي جسمه بهذا المرهم يصبح محصناً ضد الحديد والنحاس والنار. كما كان يكتسب قوة لاتقهر، ويبقى طيلة اليوم محتفظاً بمفعوله. لقد قررت ميديا إعطاء هذا المرهم لجازون. نادت ميديا جواريها، ثم انطلقت إلى معبد هيكات. كانت ميديا تشعر بقلبها يرقص فرحاً، وقد نسيت كل مخاوفها، ولم تعد تفكر إلا بلقاء جازون.

ها هو معبد هيكات. دخلت ميديا المعبد. ولم يلبث أن جاء جازون، ولم تكد ميديا تنظر إليه حتى ازدادت ضربات قلبها شدة في صدرها.

وقف جازون وميديا صامتين لفترة طويلة، إلى أن قطع البطل حبل الصمت أخيراً. فقد تناول ميديا من يدها وقال:

- مابالك أيتها العذراء الجميلة أطرقت بلحاظك إلى الأرض؟ مابالك تخافين مني؟ هل يعقل أنك تعتقدين أني أخفي نية سيئة؟ كلا إنني لم آت إلى هنا بنية سيئة. بل جئت أتوسل إليك أن تساعديني. لكن أرجوك أن تقولي لي

الصدق، وتذكري أن هيكات لن تصبر على الكذب في معبدها، كما لن يصبر عليه زوس، حامي كل من يطلب المساعدة. اخبريني: هل ستمدين لي يد المساعدة؟ إن كان نعم فلسوف يمجد اسمك في اليونان كلها الأبطال العظام، الذين جاؤوا معي إلى هنا، إلى كولشيد. تذكري كم كانت عظيمة شهرة أريادنا، ابنة مينوس، التي ساعدت تيسيوس العظيم.

لم تحر ميديا جواباً، فقط راحت تنظر إلى جازون بعينين مفعمتين بالحب. لكم كانت رائعة في حيائها. وبيد مرتجفة أخرجت ميديا المرهم السحري من تحت نطاقها، وناولته لجازون، وقالت له بصوت بالكاد يسمع:

- اسمع ياجازون، سوف أخبرك كيف ستكون مساعدتي: تطهر في النهر ليلاً. وأنت في ثوب أسود، ثم احفر حفرة عميقة على الشاطىء، ثم قدم فوق الحفرة نعجة سوداء قرباناً لهيكات، بعد أن تبللها بالعسل. وبعد ذلك اذهب إلى المركب، لكن إياك أن تلتفت. ولسوف تسمع الأصوات ونباح الكلاب القوي، لكن تابع تقدمك ولاتخف. وحين يحل الصباح اطلِ جسمك، رمحك وترسك وسيفك بهذا المرهم. ولسوف يعطيك المرهم قوة لاتقهر، وتنفذ المهمة التي كلفك بها آييتيس، لكن تذكر: حين ينبت المحاربون من الأرض ارم عليهم حجراً، وحينذاك سيقتتلون فيما بينهم، فاهجم عليهم. خذ المرهم فلسوف تحصل على الجزة بفضله. واحمل الجزة عند ذاك إلى حيث تريد.

لاذت ميديا بالصمت، وحطت غشاوة الحزن على عينيها من مجرد التفكير بفراق جازون. كانت ميديا تقف مطرقة الرأس، حزينة، وتمتمت أخيراً:

- سوف تسافر ياجازون إلى وطنك، لكن لاتنساني، وتذكر ميديا بين الفينة والأخرى: فلقد أنقذتك.

وسألت ميديا جازون عن أصله. فحدثها جازون عن إيولكس، وعن الوادي المزهر، الذي تقع فيه. ودعا ميديا للسفر معه إلى اليونان، واعداً إياها

بالاحترام الكبير، وأن الشعب في إيولكس سيعبدها، كما تعبد الربات.

وصاح جازون:

- آه لو أن آييتيس يوافق على عقد حلف صداقة معي! لو أنه يتركك تذهبين معي إلى وطني.

وقالت ميديا، وهي تتنهد بحزن وأسى:

- كلا، لن يحدث هذا، فوالدي قاسٍ صارم. عد إلى بلادك بمفردك، لكن لاتنساني. أوه لكم سأكون سعيدة لو أن الريح العتية تحملني على أجنحتها إلى إيولكس لكي أذكرك بي، حين تنساني، حين تنسى أنني أنقذتك.

اغرورقت عينا ميديا بالدموع. وينظر جازون إليها فيشعر بالحب نحوها يسيطر عليه. ويروح يتوسل إليها أن تغادر منزل أبيها خفية وتهرب معه إلى إيولكس. إن ميديا مستعدة لمغادرة كولشيد، ففراق جازون يثير خوفها، إنها تخشى أن لاتستطيع تحمل هذا الفراق. وتبكي ميديا من مجرد التفكير بفراق جازون، وأوحت لها هيرا بالرغبة في أن تقتفي أثره حيثما يذهب. كانت هيرا تريد أن تذهب ميديا إلى إيولكس: فقد قررت الربة أن تستعين بها في القضاء على بيلياس، الذي تكره.

ودعت ميديا جازون، وقد وعد بالعودة إلى معبد هيكات، لكي يلتقي بها من جديد، ويقررا ماذا يعملان. وعادت ميديا إلى البيت في مركبتها مرحة: كانت تعرف أن جازون يحبها.

جازون ينفذ مهمة إيتيس:

مع حلول الليل ذهب جازون إلى ضفة فازيس، في ثوبه الأسود، وهناك استحم في منتصف الليل الساكن في مياهه السريعة. ومن ثم حفر حفرة عميقة،

وقـدم فوقهـا ، كما أمـرت ميـديـا ، قرباناً لهيكات . وما إن تـم تقديم القربان حتى مادت الأرض ، وظهــرت الـربـة هيكـات وفي يديهـا مشعـلان يدخنـان . كانت الـوحـوش المخيفـة والتنينات قاذفة النار تحيط بهيكات ، وكانت الكلاب الجهنمية الفظيعـة تنبـح وتعوي من حولها . وجرت الحوريات من المناطق المجاورة ، إذ رأين هيكـات ، وهن يطلقن الصراخ القوي . تملك جازون الفـزع ، لكنـه تذكر كلمات ميديا ، فسار ـ دون أن يلتفت ـ باتجاه «أرغو» حيث كان أصدقاؤه بانتظاره .

ومـع انبـلاج الصبـاح أرسـل الأرغونيون تيلامون وميلياغروس إلى إيتيس لجلب أسنـان التنـين . فأعطاهم إيتيس أسنان التنين ، الذي قتله قدموس ، وراح يستعـد للذهـاب إلى حقـل آريس ، لكي يشـاهـد جازون وهو ينفذ المهمة ، التي كلفـه بها . ارتـدى جازون الـدروع ، وغطى رأسـه بالخوذة ، الساطعة كالشمس ، وأخـذ في يديـه الرمح والترس ، الثقيلين اللذين لا يقدر على حملهما إلا هرقل ، ثم ركب المركبة ، التي يقودها ولده أبسيرتوس . وبدورهم كان الأرغونيون قد استعدوا للذهـــاب إلى حقـــل آريس . طلى جازون الـــرمـــح والسيف والـترس بالمـرهم السحري ، ومن ثم طلى جسمـه به . وقـد شعـر بقـوة هائلة في جسمه كله . لكأن عضـلاتـه أصبحت حديـديـة . وحـين وصـل الأرغونيون على مركبهم السريع ، «أرغو» إلى حقل آريس كان إيتيس بانتظارهم ، وفي كل مكان كانت الحقول على سفوح الجبال تغص بالكولشيديين .

نزل جازون إلى الشـاطىء ، وهـو يتلألأ بدروعه مثل النجم الساطع . وفي الحقـل عثـر على المحـراث الحـديدي والنير النحاسي ، وراح يبحث عن الثورين نافثي النـار ، محتميـاً بالـترس . وفجأة وثب كلا الثورين من المغارة ، وانقضا على البطـل بخـوار مجنـون . كانت ألسنـة اللهب تتطـايـر من شدقيهـما . وراح البطـل ينتظرهما محتمياً بالترس . انقض الثوران عليه ، وضربا الترس بقرونهما بقوة هائلة . ولم يكن بمقـــدور أي انســان تحمـل مثـل هذه الضـربـة ، لكن جازون ظل ثابتـاً

كالطود. وعاود الثوران الكرة مرة ثانية فثالثة، وهما يخوران. ويثيران أعمدة الغبار. لكن جازون قبض بيديه الجبارتين على الثورين من قرونهما، وجرهما إلى حيث المحراث. ويحاول الثوران التملص، ويصبان النار على جازون، لكنه ظل سليماً معافى، ولايستطيع الثوران المجنونان من يديه فكاكاً. ربطهما جازون إلى المحراث بمساعدة كاستور وبولوكس. راح جازون يسوق الثورين برمحه، إلى أن انتهى من حراثة حقل آريس، وزرعه بأسنان التنين. وبعد إنجاز عملية البذار فك جازون الثورين، وصاح بهما صيحة مرعبة، ثم ضربهما برمحه. وانطلق الثوران، كأنهما مسعوران. ثم اختفيا داخل المغارة العميقة. والآن كان لابد من انتظار نمو المحاربين في الحقل. ذهب جازون إلى ضفة فازيس، وغرف الماء بخوذته، ثم روى غليله.

لكن استراحة جازون لم تستمر طويلاً. فمن الأرض ظهرت في الحقل أسنة الرماح، رمحاً إثر آخر، إلى أن بدا الحقل وكأنه قد التحف غطاء نحاسياً. ومادت الأرض، وظهرت على سطحها خوذات المحاربين ورؤوسهم. وهاقد تغطى الحقل كله بالمحاربين في دروع ساطعة. وهنا تذكر جازون وصية ميديا، فتناول حجراً كبيراً، يعجز عن تحريكه أربعة من أقوى الأبطال، لكن جازون رفعه بيد واحدة، وقذف به بعيداً في وسط المحاربين، الذين أنجبتهم الأرض من أسنان التنين. امتشق المحاربون أسلحتهم، وبدأت بينهم معركة طاحنة. وانقض جازون على المحاربين، وراح يطعن فيهم ذات اليمين وذات الشمال، ولم يلبث الحقل كله أن تغطى بجثث المحاربين، ولم يبق منهم واحد حياً، كلهم سقطوا بيدي جازون الجبارتين، فغطوا الحقل كله، مثل سنابل القمح، التي حصدها منجل قاطع.

كان إيتيس ينظر ذاهلاً إلى جازون، وهو في دهشة من قوته الخارقة. قطب الملك حاجبيه، وراحت عيناه تقدحان شرراً من شدة الغضب. ودون أن ينبس

ببنت شفـة انطلق على مركبتـه قاصـداً المـدينـة، وليس في ذهنه إلا فكرة واحدة - كيف له بالقضاء على الغريب الفاتن. أما جازون فقد عاد إلى «أرغو» يرتاح بين أصدقائه، الذين راحوا يمجدون مأثرته العظيمة.

ميديا تساعد جازون في سرقة الجزة الذهبية:

بعد عودته إلى القصر عقد إيتيس اجتماعاً ضم كبار أعيان كولشيد. واستمر اجتـماعهم إلى مابعـد منتصف الليـل بكثير، وهم يتشاورون حول كيفية القضاء على الأرغـونيـين. كان آييتيس قد أدرك أن جازون لم يكن ليستطيـع تنفيـذ المهمـة لولا مسـاعـدة ميـديـا له. وشعرت ميديا أن الخطر الكبير يتهددها هي وجازون. وهـرب النـوم من عينيهـا. وفي ظلمـة الليل نهضت من سريرها، ثم غادرت قصر إيتيس بهدوء، سالكة درويـاً، لايعرفها أحد غيرها، نحو ضفة فازيس، إلى هناك حيث النـار السـاطعـة، التي أوقدها الأرغونيون. وإذ دنت من النار نادت جازون وفـرونتيسـوس، ابن فريكـوس الأصغر، وحدثت جازون بالهواجس السوداء التي تقض مضجعها، وأقنعته بأن يذهب معها على جناح السرعة لأخذ الجزة. ارتدى جازون دروعه، وسار إلى خميلة آريس المقدسة. كان الظلام يخيم على كل شيء في الجـوار، فقـط في الخميلة كانت الجـزة تتألق كما الذهب، وهي تتدلى من على الشجرة المقدسة. لم يكد جازون وميديا يدخلان الخميلة حتى هاجمهما تنين هائل، وهـو يقـذف اللهب. ونـادت ميـديـا هيبنوس، إله النوم العظيم، وراحت تهمس بتعـاويـذ مخيفـة، وتصب على الأرض عقـارات سحـريـة. ويسقـط التنين على الأرض، ثم يرفـع رأسـه الخـائـر، لكن ميـديـا رشتـه بعقـار منوّم، فينطبق فكه، وتغمض عينـاه النـاريتـان، ويخلد إلى النـوم، متمدداً قرب الشجرة، التي علقت الجزة عليها. ويسحب جازون الجزة، إنه يريد العودة إلى «أرغو» على جناح السرعة.

تحلق الأبطال من حول جازون وميديا، وراحوا يتأملون الجزة الذهبية، ذاهلين. لكن كان لابد من مغادرة كولشيد قبل أن يعرف إيتيس بسرقة الجزة. قطع جازون الحبال، التي ربط بها «أرغو» إلى الضفة، وأمسك الأبطال بالمجاذيف، ومثل السهم انطلق، «أرغو» عبر مياه فازيس، نحو الأسفل، باتجاه البحر. وهاهو ذا البحر. ويضاعف الأبطال. تجذيفهم، وكما الطائر يندفع «أرغو» عبر الأمواج، مبتعداً أكثر فأكثر عن كولشيد.

وفي الصباح الباكر عرف إيتيس بسرقة الجزة الذهبية، وبهرب ميديا برفقة الأرغونيين. ولاتسل عن غضبه. وقد استدعى الكولشيديين إلى ساحل البحر. لكن «أرغو» كان بعيداً، ولم يعد مرئياً بين أمواج البحر. وأصدر إيتيس أوامره بالمطاردة، ويهدد الكولشيديين بالموت إن لم يلحقوا بالأرغونيين. أنزل الكولشيديون مراكبهم، وانطلقوا لمطاردة الأرغونيين وعلى رأسهم أبسيرتوس، ابن إيتيس.

عودة الأرغونيين:

مع خروج «أرغو» إلى عرض البحر هبت ريح مواتية. فحل الأبطال الأشرعة، وانطلق «أرغو» بسرعة يمخر عباب بونتس ايفكسين. ظل الأبطال مبحرين ثلاثة أيام، وأخيراً ظهرت سواحل سيثيا. قرر الأرغونيون الإبحار نحو الأعلى عبر نهر ايستر، لكي ينزلوا فيها بعد عبر أحد فروعه إلى البحر الأدرياتيكي[٢٩]. حين بلغ الأرغونيون مصب نهر إيستر رأوا أن كل المصب وكل الجزر مغطاة بجيوش الكولشيديين، وصلوا إلى هناك سالكين الطريق الأقصر. وإذ رأى الأرغونيون جيش الكولشيديين العرمرم اقتنعوا أنهم غير قادرين على التغلب عليهم، فقد كان عددهم ضيئلاً جداً، لايسمح لهم بخوض القتال ضد

آلاف الكولشيديين الأشاوس، ذوي التسليح الرائع . وقرر الأرغونيون اللجوء إلى الحيلة . فبدأوا المفاوضات مع أبسيرتوس، قائد القوات المعادية، ووعدوه بسجن ميديا في المعبد، وتسليمها في حال قرر ملك المدينة المجاورة أن على ميديا أن تعود إلى كولشيد؛ أما الجزة الذهبية فكان يجب أن تبقى مع الأرغونيين لأن جازون قد نفذ المهمة، التي وعده إيتيس بالجزة مقابل تنفيذها . لكن كل هذه المفاوضات لم تجر إلا من أجل كسب الوقت. أما ميديا فقد وعدت جازون بأن تستدرج أبسيرتوس إلى المعبد في إحدى الجزر.

أرسل جازون إلى ابسيرتوس بالهدايا الثمينة، وكأنها من ميديا، طالباً منه القدوم إلى المعبد المنفرد، لكي يلتقي هناك بميديا . وجاء أبسيرتوس إلى المعبد، لكنه لم يكد يظهر في بوابة المعبد حتى انقض جازون عليه، وجندله بسيفه . لقد ارتكب جازون وميديا جريمة نكراء : فقد قتلا أبسيرتوس الأعزل في المعبد . ورمى جازون جثة أبسيرتوس في إيستر . واستبد بالكولشيديين الرعب حين عرفوا بموت قائدهم. أما الأرغونيون فقد أبحروا على عجل نحو أعالي إيستر .

استمرت رحلة الأرغونيين طويلاً، إلى أن نزلوا أخيراً عبر فرع إيستر إلى البحر الأدرياتيكي وشواطىء ايلليريا . وهناك هبت عليهم عاصفة هوجاء . كانت الأمواج المغطاة بالزبد ترتفع عالياً كالجبال، أما الرياح فكانت تبدو وكأنها أفلتت من عقالها، وراحت تدوم فوق البحر، وتمزق شراع «أرغو» . كان الهلاك يتهدد الأرغونيين، وحينذاك تردد صوت من المؤخرة . وكان مصدره قطعة البلوط المقدسة، النامية في دودون، والتي وضعها الأرغونيون في مؤخرة مركبهم . كان الصوت يأمر الأرغونيين بالتوجه إلى الساحرة كيركة[٣٠]، لكي تطهر جازون وميديا من أدران جريمة قتل أبسيرتوس . ولم يكد الأبطال يديرون، «أرغو» نحو الشمال حتى هدأت العاصفة، أدرك الجميع أن تلك كانت مشيئة الآلهة .

وصل الأرغونيون إلى جزيرة كيركة (أخت إيتيس) السحرية. طهرت

كيركة جازون وميديا من رجس جريمة القتل. فقد قدمت قرباناً لزوس، وصبت دم القـربـان على يدي جازون، وراحت تتـوسل ـ عند المذبح ـ للايرينات[٣١] أن لايسلطن سخطهن على القـاتلين. ولم ترفض كيركـة طلب ميـديـا في التطهر من الجـريمـة الفظيعـة، لأن السـاحـرة عرفت من بريق عيني ميديا أنها مثلها تتحدر من صلب هيليوس إله الشمس.

استأنف الأرغونيون طريقهم، وواجهوا الكثير من المخاطر، لكنهم ذللوها كلها. فقد مروا بين سيلا وخاريبدس[٣٢]، حيث كان الهلاك سيحيق بهم حتماً لولا أن هيرا، زوجـة زوس، أنجـدتهم. كما مروا بجـزيـرة السـيرينـات[٣٣]، وسمعوا غنـاءهن الجـذاب، الـذي راح يجذبهم نحو السيرينات بقوة لاتقاوم. لكن المغني أورفيـوس راح يداعب أوتـار قيثـارتـه الـذهبيـة فتغلب إنشـاده على لواحـظ السـيرينـات. أخـيراً وصـل الأرغـونيـون إلى ممر ضيق، ترتفع من فوقه الصخور الهـائلة على شكـل قنطـرة. كان البحـر يصطخب بين الصخـور، وتحت القنطرة كانت الأمـواج تتـلاطم وتـدور في دوامـة فظيعـة، وتـرتفـع أحياناً حتى تصل إلى أعـلاهـا. حتى الحـمام الـذي يجلب الأمبر وزيا لزوس لم يكن يمر سالماً تحت هذه القنطرة. وفي كل يوم كانت تموت حمامة من هذا الحمام. وحتى هنا ساعدت هيرا الأرغونيين. فقد طلبت من أمفيتريت[٣٤] أن تكبح جماح الأمواج عند البلانكات، فمر بها الأرغونيون بسلام.

بعـد رحلة طويلة وصـل الأرغونيون جزيرة الفياسيين[٣٥]. وهناك استقبلهم الملك الكينـووس (Alcinooc) بكـل حفـاوة، وكـان بوسعهم أن يرتـاحوا من وعثاء السفـر، لكنهم لم يمكثـوا يومـاً واحـداً عنـد الفيـاسيـين حتى ظهـر مقابل الجزيرة أسطول الكولشيديين، الذين راحوا يطالبون بتسليم ميديا. وكان يمكن أن تدور بين الطرفين معركة طاحنة لو لم يتوسط الكينووس بينهم، ويصلح ذات البين. قرر الكينـووس أنـه يجب أن تسلم ميـديـا للكولشيديين إن لم تكن زوجة جازون. وقد

قامت هاريتا، زوجة الكينووس، ليلاً بإرسال رسول إلى جازون ينقل إليه قرار زوجها.

وفي الليلة نفسها أقام جازون وميديا مراسم الزفاف، وفي اليوم التالي أدى جازون القسم المهيب أمام الفياسيين والكولشيديين المجتمعين بأن ميديا زوجته. وحينذاك قرر الكينووس أن على ميديا البقاء مع زوجها، واضطر الكولشيديون إلى العودة إلى ملكهم إيتيس خالبي الوفاض.

أما الأرغونيون فقد استأنفوا رحلتهم، بعد أن أخذوا قسطاً من الراحة لدى الفياسيين المضيافين. وبعد أن أبحروا طويلاً تراءت في أفق البحر الأزرق سواحل البلوبونيز. وفجأة هبت زوبعة مخيفة، وأندفع «أرغو» في عرض البحر. ظلت الزوبعة تحمل «أرغو» طويلاً، إلى أن قذفت به أخيراً إلى ساحل مهجور. انغرز «أرغو» في طين الخليج، المغطى بالنباتات المائية كله. ودب اليأس في نفوس الأرغونيين. جلس الربان لينسيوس مطرق الرأس في مؤخرة المركب، وقد فقد الأمل في العودة إلى اليونان. أما الأرغونيون فقد راحوا يجوسون الشاطىء وقد سيطر عليهم الحزن، لكأن قواهم قد خارت وفقدوا رباطة جأشهم. كان يبدو وكأن الهلاك يتهددهم جميعاً. لكن الحوريات سارعن لنجدة جازون. فقد كشفن لجازون أن الزوبعة ساقت «أرغو» إلى ليبيا[٣٦]، وأن على الأرغونيين أن يحملوا «أرغو» على أكتافهم، وينقلوه عبر الصحراء الليبية، بعد أن يرفعوه من الطمي في الوقت الذي تقوم فيه أمفيتريت بفك الخيول من مركبتها. لكن متى ستفك أمفيتريت جيادها؟ هذا مالم يكن الأرغونيون يعرفونه. وفجأة رأوا حصاناً ناصع البياض يثب من البحر، وينطلق على عجل عبر الصحراء، وأدرك الأرغونيون أن هذا حصان أمفيتريت، فرفعوا «أرغو» على أكتافهم، وحملوه عبر الصحراء على مدى اثني عشر يوماً، وقد أضناهم القيظ والعطش، وأخيراً وصلوا بلاد الهسبيريدات[٣٧].

وهنـاك دلتهم الهسبـير يـدات على النبـع، الذي فجره هرقل في الصخر. ويعـد أن روى الأبطـال غليلهم، وتمـونـوا بالماء، انطلقوا قاصدين بلادهم. لكن الأرغـونيـين لم يتمكنـوا من العثـور على مخرج إلى البحـر، لأنهم كانـوا في بحيرة تريتـون. وبنـاء على نصيحـة أورفيـوس نذروا حاملاً بثلاث قوائم لإله البحيرة. وتجلى أمـام الأرغـونيـين شاب جميل، أعطى البطل ايفثيموس قبضة من التـراب دليلاً على حسن الضيافة، ودل الأرغونيين على المخرج المؤدي إلى البحر. وبعد أن ضحى الأرغـونيـون بخـروف تجلى أمـام «أرغـو» الإله تريتون نفسه، وأخرج «أرغـو» بمحـاذاة الصخور البيضاء، عبر الدوامة، إلى عرض البحر. ومن بحيرة تريتـون وصـل الأرغـونيـون إلى جزيـرة كريت، وأرادوا أن يتمـونـوا بالمـاء لمتابعة رحلتهم. لكن التمثـال النحـاسي تالـوس[٣٨]، الذي قدمه زوس قاذف الصواعق نفســه لمينـوس، لم يسمـح لهم بالنـزول إلى سـاحـل كريت. كان تالـوس العـين الساهرة على أملاك مينوس، ولم يكن يكف عن التطواف عبر الجزيرة كلها. لكن ميديا استطاعت بسحرها أن تنوِّم تالوس، فسقط على الأرض، ووقع منه المسمار النحاسي، الذي يسد العرق الوحيد، الذي كان دم تالوس يجري خلاله. واندلق على الأرض دم تالوس. كالرصاص المصهور، ومات التمثال، والآن أصبح بوسع الأرغونيين أن يرسوا دون عراقيل عند الساحل ويتمونوا بالماء.

وفي الطريق من كريت إلى اليونان أوقع افثيموس في البحر قبضة التراب، التي أعطـاهـا له تريتون، فتكونت من هذه القبضة جزيرة أطلق عليها الأرغونيون اسم كاالليستـا. وفيـما بعـد سكنت ذريـة افثيمـوس هذه الجـزيرة، التي أصبحت تعرف باسم فيرا[٣٩].

ثارت العـاصفـة في الليـل الـدامس، وخـاف الأرغـونيـون من الاصطدام بالأحجـار داخـل المـاء، أوبالصخـور الساحلية، كان هذا الخطر يتهددهم في كل دقيقـة. وفجأة ومض سهم ذهبي بنـور ساطـع فوق البحـر، فانتشر الضوء في كل

مكان، وومض سهم ثان وثالث. إنه الإله أبولون ينير طريق الأرغونيين بسهامه. وقد رسوا عند جزيرة أناثي، وانتظروا هدوء العاصفة. أخيراً هدأت العاصفة، وهدأت أمواج البحر، وهبت ريح مواتية، فانطلق «أرغو» عبر البحر اللازوردي بأمان، ولم يصادف الأرغونيون مخاطر أخرى في طريقهم، ومالبثوا أن وصلوا مرفأ إيولكس المنشود.

حين وصل الأرغونيون إيولكس قدموا قرباناً سخياً للآلهة، الذين ساعدوهم في رحلتهم الخطيرة. عمت الفرحة جميع سكان إيولكس، وراحوا يمجدون الأبطال العظام وزعيمهم جازون، الذي حصل على الجزة الذهبية.

جازون وميديا في إيولكس.
موت بيلياس[٤٠]:

لم يحترم بيلياس الماكر الوعد الذي قطعه: فلم يرد السلطة في إيولكس لجازون، مما أثار حفيظة جازون، الذي قرر الانتقام من بيلياس انتقاماً رهيباً. وهنا أيضاً هبت ميديا لمساعدته. ولم تلبث أن سنحت الفرصة للانتقام. فما إن عرف إيزون، والد جازون، وهو رجل بلغ من العمر عتياً، ما إن عرف أن ميديا ساحرة كبيرة حتى رغب في أن تعيد له شبابه. وقد طلب جازون نفسه من ميديا أن تجعل والده أفتى، ووعدت ميديا بالقيام بذلك في حال حصولها على مساعدة هيكات.

عندما أصبح القمر بدراً غادرت ميديا البيت في منتصف الليل. في ثوب أسود، حافية، مسدلة الشعر، كان كل مافي الجوار يغط في نوم عميق.

كانت ميديا تسير صامتة، وقد غمرها ضوء القمر. توقفت هناك حيث تلتقي ثلاثة دروب، ورفعت يديها. ثم صاحت ثلاث مرات، ركعت ميديا.

وراحت تتمتم بالتعاويذ. استغاثت بالليل ونجوم السماء والقمر والأرض والرياح والجبال والأنهار، واستنجدت بآلهة الغابات والليل أن يتجلوا لها، وتوسلت إلى هيكات العظيمة أن تسمع نداءها وتمد لها يد المساعدة. سمعت هيكات استغاثة ميديا، فظهرت أمامها مركبة تجرها تنينات مجنحة. على مدى تسعة أيام وتسعة ليال ظلت ميديا تجمع النباتات والجذور السحرية في الجبال والغابات وعلى ضفاف الأنهار وشاطىء البحر. وحين عادت إلى دار إيزون أقامت مذبحين، الأول لهيكات والآخر لربة الشباب. ثم حفرت حفرة أمام كل مذبح، قدمت فوقهما نعجتين سوداوين قرباناً لهيكات المتجهمة ربة العتمة والسحر، وتقربت منها بالعسل والحليب. ثم نادت ميديا الإلهين السفليين هادس وبرسفونة، وتوسلت إليهما أن لاينتزعا من إيزون العجوز روحه. وبعد ذلك أوعزت بإحضار إيزون. نومت ميديا إيزون بعينيها، ثم أرقدته على النباتات السحرية، وراحت ميديا تحضر عقاراً سحرياً في قدر نحاسي. لم يلبث العقار أن بدأ بالغليان، وتغطى برغوة بيضاء. بدأت ميديا تحرك العقار بغصن يابس من شجرة عتيقة. ولم يلبث الغصن أن أخضوضر، واكتسى بالأوراق، ثم ظهرت عليه الثمار اليانعة. وحيث كانت تسقط قطرات رغوة العقار كانت تنمو الأزهار والأعشاب. ما إن رأت ميديا أن العقار جاهز حتى سارعت إلى قطع عنق العجوز إيزون بالسيف، ثم صفّت دمه القديم، وصبت عبر الجرح الواسع العقار السحري في عروق العجوز. فكانت المعجزة. لم يلبث شعر العجوز، الذي كان أبيض كالثلج أن أصبح أسود اللون، كما اختفت التجاعيد وعلامات الشيخوخة، وظهرت الحمرة على خديه من جديد. حين استيقظ إيزون وجد نفسه وقد عاد شاباً، قوياً وحيوياً.

بعد أن تمكنت ميديا من إعادة الشباب لإيزون قررت، من خلال وضع خطة ماكرة، أن تنتقم من بيلياس العجوز لأنه خدع جازون، ولم يعدله مقاليد الحكم في إيولكس.

أقنعت ميـديـا بنات بيلياس بإعادة الشباب إلى والدهن، ولكي يزددن ثقة بسحـرهـا جلبت خروفـاً وذبحتـه ثم رمت به في وعـاء العقار. ولم يكد العقار يغمر الخروف المذبوح، حتى وثب من الوعاء حملاً جميلاً. ذهلت بنات بيلياس من رؤية هذه المعجزة، ووافقن على محاولة إعادة الشاب لأبيهن.

حضـرت ميـديـا العقـار، لكنه كان خالياً من القوة السحرية. نومت ميديا بيليـاس بتعـاويـذهـا، وجلبت بناته إلى مخدعه، وطلبت منهن قطع عنق أبيهن، لكن البنات لم يتجاسرن.

وصاحت ميديا:

- يالكن من لامبـاليـات! هيـا امتشقن السيف بسرعة، واستخرجن الدم القديم من عروق أبيكن، أما أنا فسأصب له الدم الجديد.

لكن بنـات بيليـاس لم يجرؤن على توجيـه الطعنـة القاتلة لوالدهن النائم. أخيراً رحن، وقد أدرن ظهورهن، يطعنّه بالسيف الواحدة تلو الأخرى. استيقظ بيليــاس، وقــد أصيب بجــروح قاتلة، ونهض قليــلاً في سريـره، ثم مد يديـه الضعيفتين، وصاح وهويئن:

- ماهذا الذي تفعلن يابناتي! ماالذي دفعكن إلى أن ترفعن أيديكن على والدكن؟

سمــرّ الــرعب بنـات بيليـاس، ووقفن شاحيـات، ولم يلبثن أن غبن عن الـوعي. أمـا ميـديـا فقـد أسرعت إلى سرير بيلياس، وغمدت مديتـها في عنقه، ومـزقت جثتـه إلى قطـع، ثم ألقت بها في القـدر الـذي يغـلي. وفي مخدع بيلياس ظهـرت المـركبة، التي تجرها التنانين المجنحة، فامتطت ميديا متنها، واختفت عن أعين بنات بيلياس، اللواتي أفقدهن الرعب رشدهن.

أقام أدراستوس، ابن بيلياس، جنازة فاخرة لأبيه.

لم يتمكن جازون من تسلم مقــاليــد الحكم في إيـولكس، فلم يسمـح له

أدراتـوس بالبقـاء في إيولكس، وطرده منها بسبب قيام زوجته ميديا بقتل بيلياس.
غادر جازون موطنه، واستقر مع ميديا في كورينث.

جازون وميديا في كورينث
موت جـازون[41]:

بعـد مقتـل بيليـاس استقـر جازون وميديا، اللذان طردا من إيولكس، في كوزينث عند ملكها كريونتوس. أنجبت ميديا ولدين. وكان يبدو أن لاشيء يعكر صفـو حيـاة جازون وميديا حتى وهما في الغربة. لكن القدر لم يكن يخبيء السعادة لاجـازون ولا لميـديـا. فقـد وقـع جازون في أسـر جمال غلافكا، ابنة كريونتوس. وحنث بالايـمان، التي أقسمهـا لميديا حين أعطته المرهم السحري، لقد خان تلك التي اجـترح المأثـرة العظمى بفضلهـا. قرر جازون الـزواج من غلافكـا، ووافق الملك كريونتوس على تزويج ابنته من البطل المشهور.

حين عرفت ميديا بخيانة جازون استولى اليأس عليها. كانت ميديا لاتزال تحب جازون كما في المـاضي. جلست ميـديـا وكأنها تحولت إلى حجر لاروح فيه، غارقة في حزنها. راح السخط المجنون يمتلك ميديا شيئاً فشيئاً. ولم يكن بالإمكان ترويض روح ميـديـا المتمـردة. فهـل بوسعهـا، وهي ابنـة ملك الكـولشيد، ابن هيليوس الساطع، أن تتحمل تغلب الأعداء عليها، وأن يسخروا منها! أبداً. إن ميديا مخيفة في غضبها، ويجب أن يكون انتقامها فظيعاً.

راحت ميـديـا، وقـد سيطـر عليهـا الغضب الجـامـح، تصب لعناتها على الجميـع. إنهـا تلعن ولـديها، وتلعن جازون. كان عذاب ميديا لايطاق، فراحت تتـوسـل إلى الآلهـة أن ينتـزعـوا منها الحياة بضربة صاعقة. وأي شيء بقي لها في الحياة باستثناء الانتقام! إن ميديا تنادي الموت، وترى فيه نهاية عذابها، إن الموت

سيحررها من الشقاء. كيف استطاع جازون أن يعاملها على هذا النحو، وهي التي أنقذته، وساعدته، بعد أن نومت التنين، في الحصول على الجزة الذهبية، وعمدت من أجل إنقاذه إلى استدراج أخيها إلى الكمين. وقتلت بيلياس من أجله؟ وتهيب ميديا بزوس وثيميس ربة العدالة، أن يكونا شاهدين على جور سلوك جازون معها. كان العزم على الانتقام من جازون يقوى ويقوى لدى ميديا.

وها قد جاء كريونتوس، وأعلن لميديا أن عليها أن تغادر كورينث على جناح السرعة. إن كريونتوس يخاف ميديا، فهو يعرف كم هي مخيفة في غضبها، ويعرف مدى قوة سحرها، فبوسعها أن تقضي على ابنته وعليه نفسه.

أما ميديا فقد تظاهرت، من أجل كسب الوقت، بأنها ستنصاع لأوامر كريونتوس، وأنها تعترف بحقه في طردها، ولكنها لاتطلب إلا شيئاً واحداً، أن يسمح لها بالبقاء يوماً واحداً في كورينث. وقد وافق كريونتوس على طلبها، دون أن يخطر له ببال أنه بذلك كمنّ سعى إلى حتفه بظلفه، لكنه هدد ميديا بإعدامها هي وولديها في حال عدم مغادرتها كورينث قبل شروق الشمس. كانت ميديا تعرف أنه لاداعي لأن تخاف من الإعدام. فقبل ذلك ستقضي على كريونتوس، وليس عبثاً أنها أقسمت بالربة سيلينه[٤٢]، ذات الوجه الشاحب، وبحاميتها هيكات بأنها ستقضي على أعدائها. إن الإعدام سيحيق بهم هم، لا بها هي. وهل يعقل أن تصبح، وهي ابنة الإله هيليوس، مضحكة لذرية سيزيف وخطيبة جازون!

عبثاً راح جازون يقول لميديا أنه إنما يتزوج غلافكا لمصلحتها ولمصلحة ولديهما، وأن ولديهما سيجدان الحماية لدى أخوتهما القادمين، إذا مارزقه الآلهة بأولاد من الزواج الجديد. وتلوم ميديا جازون على خيانته، وتهدده بسخط الآلهة، ولاتريد أن تصغي إليه. أصبحت الآن تكره جازون، الذي سبق لها أن

كانت مدلهة في حبه، والذي من أجله نسيت أباها، أمها، أخاها ووطنها. خرج جازون غاضباً، وانطلقت في أعقابه تهكمات ميديا وتهديداتها.

في هذا الوقت وصل إيجيوس، ملك أثينا، إلى كورينث، وهو في طريقه من دلفي، وقد رحب بميديا بكل بشاشة، وراح يسألها عن سبب غمها. فحدثته ميديا بمصيبتها، وراحت تتوسل إليه أن يعطيها، وهي المشردة، التي تخلى عنها زوجها، ملاذاً في أثينا. وتعد ميديا إيجيوس بأن تساعده بسحرها، وأنه سيرزق بذرية كبيرة، ولن يبقى عاقراً كما كان، المهم أن يقدم لها الملاذ. ويقسم إيجيوس لميديا بأنه سيقدم لها الملاذ، ويقسم بالربة أولمبيا بعدم تسليم ميديا لأعدائها، ولكنه يشترط على ميديا شيئاً واحداً، إن عليها أن تصل أثينا بنفسها، بدون مساعدته، فهو لايريد أن يدب الخلاف بينه وبين ملك كورينث.

بدأت ميديا، بعد أن ضمنت لنفسها ملاذاً في كنف إيجيوس، تعد العدة لتنفيذ خطة الانتقام. لقد صممت ليس على قتل كريونتوس وابنته غلافكا وحدهما، بل وعلى قتل ولديها، ولدي جازون. وأرسلت خادمتها في طلب جازون، فجاء جازون، وتتظاهر ميديا بالخضوع، وأنها راضية بقسمتها، وبقرار جازون ولاتطلب منه إلا شيئاً واحداً ـ أن يقنع كريونتوس بإبقاء ولديها في كورينث. ويأتي ولداهما، ولم تكد ميديا تراهما حتى راحت تبكي، وهي تعانقهما وتقبلهما، لكن التعطش للانتقام أقوى من حب ولديها.

لكن كيف تقضي على غلافكا وكريونتوس؟ عمدت ميديا، بحجة أنها تنوي استمالة غلافكا لترك ولديها في بيت جازون الجديد، إلى إرسال ثوب من الأحجار الكريمة، وإكليل ذهبي هدية لغلافكا. وفي هذه الهدية كان هلاكها. فما إن ارتدت غلافكا الثوب والإكليل، هدية ميديا، حتى تسرب السم منهما إلى جسمها، أما الإكليل فكان يهصر رأسها كالطوق النحاسي. كان الثوب يضرم النار في جسدها، وتموت غلافكا وهي تتعذب بشكل رهيب، ويهرع أبوها

لمساعدتها، فيحتضن ابنته المسكينة، لكن الثوب يلتصق به هو أيضاً، ويحاول جاهداً تمزيق هذا الثوب، فيمزق معه قطعاً من جسمه. وهكذا فقد قتلت ميديا كريونتوس بهديتها.

وقفت ميديا لدى قصرها تصغي بسعادة لنبأ موت كريونتوس وغلافكا. لكن هلاكهما لم يروغليل الثأر لديها: فقد قررت أن تقتل ولديها أيضاً، لكي تجعل عذاب جازون أشد وأقسى. ثم إن مايدفع ميديا الآن إلى قتلهما أنها تعرف أي مصير يتهدد ولديها حين سينتقم أقرباء كريونتوس منهما بسبب مااقترفت يدا والدتهما. سارت ميديا إلى القصر مسرعة، وللتو ترددت من هناك صيحات ولديها وأنينهما. لقد قتلتهما ميديا، أما جازون فقد أسرع، بعد هلاك كريونتوس وابنته غلافكا على يد ميديا، إلى القصر، خوفاً من أن يقضي أقرباء كريونتوس على ولديه انتقاماً من أمهما. كان باب القصر موصداً، وراح جازون يحاول تحطيمه. وفجأة ظهرت ميديا في الجو، على متن مركبة تجرها التنانين، أرسلها لها الإله هيليوس، وكان ولداها، اللذان قتلتهما يرقدان عند قدميها.

كان مارآه جازون فظيعاً. وراح يتوسل لميديا أن تترك له ولو جثتي ولديه، لكي يتمكن من دفنهما بنفسه. لكن ميديا تحرمه حتى من هذا العزاء، ثم تنطلق في مركبتها مسرعة.

كانت بقية حياة جازون مفعمة بالأتراح، ولم يكن يعثر لنفسه في أي مكان على ملاذ يستقر فيه. وفي ذات مرة عبر ايستم، قرب المكان، الذي وضع فيه المركب «أرغو»، الذي نذره الأرغونيون لإله البحر بوزيدون. استلقى جازون المنهك في ظل «أرغو»، تحت مؤخرته، لكي يرتاح، فراح في سبات عميق. وبينما كان جازون نائماً سقطت عليه مؤخرة «أرغو» العتيقة، فدفنت جازون تحت حطامها.

هــوامـــش

١ ـ إن الأسـاطـير عن حملة الأرغـونيـين مقتبسـة بشكل عام من ملحمة «الأورغونية» للشاعر اليوناني أبولون رودوسكي (القرن الثالث ق.م.).

٢ ـ مقاطعة في اليونان الأوسط وحاضرتها طيبة.

٣ ـ الدردنيل حالياً.

٤ ـ ثاسيس ـ نهر ديوني حالياً. كولشيدا مقاطعة على ساحل البحر الأسود في ماوراء القوقاز.

٥ ـ مقاطعة في شرقي اليونان الشمالي.

٦ ـ عن قصائد ببنداروس (قصيدة المدح البيثية).

٧ ـ يختلف عدد المشـاركـين في الحملة باختـلاف المؤلفـين القـدماء، لكن عدد الأبطال كان بحدود الخمسين ـ بعدد مجاذيف المركب.

٨ ـ جزيرة في بحر إيجه.

٩ ـ بحر مرمرة حالياً.

١٠ ـ مآدب قداس.

١١ ـ مقاطعة في غرب آسيا الصغرى.

١٢ ـ بوليفيم ـ لابيث ـ شارك في معـركـة القنطـورات مع اللابيثيين (قبيلة اسطورية عاشت في تساليا. زوج لاونوما، أخت هرقل.

١٣ ـ هيلاس (هيل) محبوب هرقل وحامل سلاحه.

١٤ ـ ولدا بورياس.

١٥ - لقبه بونتوس - إله صيادي السمك والبحارة، وكان يتمتع بموهبة العرافة . كان يصور شبه انسان - شبه سمكة، بوجه عجوز ذي شعر طويل ولحية .

١٦ - مقاطعة في شمالي غرب آسيا الصغرى .

١٧ - ابن غايا والتارتار. وحش بمئة رأس أفعى، تنفث اللهب. كان يعتبر أب هيدرا ليرن والكلب الجهنمي سير بير وغيرهما من الوحوش. كان يرمز إلى القوى البركانية الجوفية .

١٨ - في أثناء الملاكمة كان الخصمان يلفان اليدين بسيور جلدية، وأحياناً كانا يثبتان إلى السيور نطوعاً نحاسيةً بارزة، مما كان يزيد من قوة اللكمات وخطرها .

١٩ - مقاطعة في القسم الشمالي - الشرقي من شبه جزيرة البلقان .

٢٠ - لم يكن الاغريق يجلسون عادة إلى المائدة، بل كانوا يأكلون شبه راقدين، مستندين باحدى اليدين إلى الوسادة. /المترجم .

٢١ - ربة قوس قزح. كانت تعتبر الوسيط بين الآلهة والناس، مادام قوس قزح يربط بين السماء والأرض، كانت إيريس تنقل مشيئة زوس وهيرا .

٢٢ - ستر وفاد ثلاث جزر صغيرة تقع في جنوبي اليونان مقابل الساحل الغربي لميسينيا .

٢٣ - صخور السمبليغادات (تعني «المتصادمة») كانت تقع حسب تصور الاغريق عند مدخل البحر الأسود .

٢٤ - ابن بوزيدون، بطل اغريقي .

٢٥ - بونت إيفكسين - البحر الأسود. في البداية سماه الاغريق بونت اكسين، أي البحر غير المضياف بسبب العواصف ووحشية القبائل التي تقطن سواحله. وبعد التعرف عليه عن قرب أصبح الاغريق يطلقون على البحر الأسود اسم بونت ايفكسين أي البحر المضياف .

٢٦ - هذا الاسم كان يطلق على الأماكن، البركانية المنشأ، والممتدة على طول ساحل مقاطعة كمبانيا الايتولية. بين كومي وكابويا .

٢٧ - هيكات Hécate ربة جبارة ابنة ماردين. تساعد على الولادة وتربية الأطفال ترسل الثروة، تساعد على الفوز في المباريات وفي المحاكم وساح الوغى ..وفي الوقت نفسه هي ربة الأشباح وكوابيس الليل والسحر والتعاويذ، آمرة الظلال في العالم السفلي، كانت تصور بثلاث رؤوس وست أيد .

٢٨ ـ كان العراف موبوس يعتبر ابن أبولون، ومنه حصل على موهبة العرافة.

٢٩ ـ كان الاغريق، الذين لايعرفون خارطة أوربا جيداً، يعتقدون أن (الدانوب الحالي) يتصل بالبحر الأدرياتيكي بفرع خاص.

٣٠ ـ كيركة éCirc ساحرة من جزيرة إيبا، ابنة هيليوس وبيرسيوس، أخت إيتيس، مسخت رفاق أوليس إلى خنازير، ولدت لأوليس ولداً اسمه تيليفونوس.

٣١ ـ ربات الانتقام، يسكن مملكة هادس. كن يصورن على هيئة عجائز شمطاوات وعلى رؤوسهن الأفاعي بدل الشعر، وفي أيديهن مشاعل أو هراوات، يطاردن المجرمين (ديريا عند الرومان).

٣٢ ـ سيلا (سكيلا) ـ ابنة هيكات، وحش بست رؤوس، بثلاثة صفوف من الأسنان القاطعة لكل رأس، ودزينة من الأقدام، كانت تقطن مضيق صقلية (بين ايطاليا وجزيرة صقلية) في مواجهة الوحش الآخر ـ خاريبدس. كان الممر خطراً جداً للبحارة.

٣٣ ـ السيرينات: أشباه طيور أشباه نساء، كن يستدرجن البحارة بغنائهن ثم يقضين عليهم.

٣٤ ـ ربة البحار زوجة بوزيدون.

٣٥ ـ شعب اسطوري كان يقطن جزيرة سكيريا (معروفة حالياً) في البحر الايوني. /المترجم.

٣٦ ـ أي إلى أفريقيا.

٣٧ ـ الهسبيريدات ـ حارسات التفاحات الذهبية الرائعة في بستان يقع في أقصى غرب العالم المسكون (انظر مأثرة هرقل الثانية عشرة).

٣٨ ـ كان تالوس يطوف الجزيرة ثلاث مرات يومياً، ولايسمح للغرباء بالنزول إليها، حيث كان يرميهم بالصخور، وكان اذا ماتمكنوا من النزول يسخن جسمه النحاسي على النار ثم يهصرهم في أحضانه فيقضي عليهم.

٣٩ ـ جزيرة سنتورين حالياً.

٤٠ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٤١ ـ عن تراجيديا يوربيدس «ميديا».

٤٢ ـ ربة القمر. ابنة (أو زوجة أو أخت) هيليوس.

الملحمة الطروادية

هيلين ابنة زوس وليدا[1]

بعد أن طُرد البطل الماجد تنداريوس من مملكته ضرب في الأرض طويلاً، إلى أن عثر أخيراً على ملاذ له لدى ثيستيوس، ملك إيتوليا[2]. وقد أحب الملك ثيستيوس البطل وزوجه بابنته الحسناء مثل الآلهة، ليدا. وحين تغلب هرقل، ابن زوس، على هيبـاكـونتـوس، وقتل جميع أعدائه عاد تنداريوس مع زوجته الحسناء إلى اسبارطة[3]، وتسلم مقاليد الحكم فيها.

أنجبت ليـدا أربعـة أولاد: هيلين وبـولـوكس من صلب زوس، قاذف الصواعق وكاستور وكليتمنسترة من ذرية تنداريوس.

كانت هيلين في غاية الروعة والجمال، ولم تكن ثمة بين الفانين امرأة تجاريها في الحسن والجمال. حتى الربات كن يحسدنها. وطبقت شهرة هيلين أرجاء اليونان. وما إن سمع تيسيوس، البطل الأتيكي العظيم بجمالها الرباني حتى اختطفها، لكن أخويها بولوكس وكاستور أنقذاها وأعاداها إلى دار أبيهم. وراح الخطاب يتوافدون الواحد تلو الآخر، إلى قصر تنداريوس، وكل منهم يود أن تصبح هيلين الحسناء له زوجة. لكن تنداريوس ظل متردداً في أن يزوج هيلين

بأي من الأبطال، الذين كانوا يؤمون قصره: كان يخاف أن يدب الحسد في نفوس الباقين، من سعيد الحظ، فتحدث الفتنة، ويبدأ الصراع. أخيراً أسدى له أوليس (أوديسيوس) الماكر النصيحة التالية:

- دع هيلين، ذات الضفائر الرائعة، تقرر بنفسها لمن ستكون زوجة، ودع جميع الخطاب يقسمون أنهم لن يرفعوا السلاح أبداً في وجه من تختاره هيلين لها زوجاً، وأنهم سيساعدونه، بكل ماأوتوا من قوة، إذا مااستنجد بهم.

عمل تنداريوس بنصيحة أوليس، وأدى الجميع القسم، وقد اختارت هيلين واحداً من بينهم - مينيلاوس الرائع ابن أتريوس.

تزوج مينيلاوس هيلين، وأصبح بعد وفاة تنداريوس ملكاً على أسبارطة، ولم يخطر له ببال كم من المصائب والمحن سيجر عليه زواجه من هيلين الرائعة.

بيليوس وثيتيس:

كان بيليوس، البطل المشهور، ابن إياكوس الحكيم، ابن زوس من إيجين، ابنة إله النهر آسوب. وكان لبيليوس أخ هو البطل تيلامون، صديق هرقل بطل الأبطال. وقد اضطر بيليوس وتيلامون لمغادرة الوطن لأنهما قتلا حسداً أخاهما غير الشقيق. مضى بيليوس إلى مقاطعة فتيوتيد الغنية، حيث استقبله البطل أوريتيون ومنحه ثلث أملاكه، وزوجه ابنته أنتيفونه. لكن بيليوس لم يمكث في فتيوتيد طويلاً. ففي أثناء صيد كاليدونيا قتل أوريتيون عن غير قصد. ومن فرط حزنه غادر بيليوس فتيوتيد قاصداً إيولكس. وفي إيولكس كانت المصيبة له بالمرصاد. فقد أحبته زوجة أكاستوس، وحاولت إغواءه وجعله، يتنكر لصداقة أكاستوس. لكن بيليوس قاوم إغواءها، فعمدت إلى الانتقام منه بأن وشت به إلى زوجها. صدق أكاستوس وشاية زوجته، وقرر القضاء على بيليوس. وفي

ذات مرة، أثناء الصيد على سفوح بيليون الحراجية عمد أكاستوس إلى إخفاء سيف بيليوس الرائع، بينما كان هذا نائماً بسبب الصيد المنهك، وكان بيليوس قد حصل على هذا السيف هبة من الآلهة. ولم يكن بمقدور أحد أن يصمد في وجه بيليوس وهذا السيف في يده. كان أكاستوس على ثقة أن بيليوس سيهلك، بدون سيفه الرائع، حيث ستمزقه الصنطورات المفترسة. لكن شيرون، الصنطور الحكيم، جاء لمساعدة بيليوس. فقد عاون البطل في العثور على سيفه الرائع، وهنا انقضت الصنطورات المفترسة على بيليوس، وهمت بتمزيقه، لكنه صدها بسيفه بكل سهولة. وبعد ذلك انتقم بيليوس من أكاستوس الخائن، فاستولى بمساعدة الأخوين ديوسكور (كاستور وبولوكس) على إيولكس الغنية، وقتل أكاستوس وزوجته.

حين أفشى المارد بروميثيوس السر العظيم بأن الربة ثيتيس ستنجب لزوس ولداً سيكون أكثر جبروتاً من أبيه، وسوف يطيح به عن العرش. نصح بروميثيوس الآلهة بأن يزوجوا ثيتيس لبيليوس، لأن ثمرة هذا الزواج ستكون بطلاً عظيماً. وقد قرر الآلهة أن يعملوا بهذه النصيحة، لكنهم اشترطوا أمراً واحداً - أن يتغلب بيليوس على الربة في النزال الفردي.

بلغ هيفستوس بيليوس مشيئة الآلهة. فقصد بيليوس الكهف، الذي غالباً ماكانت ثيتيس ترتاح فيه، بعد أن تخرج من أعماق البحر. اختبأ بيليوس في الكهف، وراح ينتظر. هاهي ثيتيس تخرج من البحر، وتدخل الكهف. فانقض بيليوس عليها، وأحاطها بذراعيه القويتين، وحاولت ثيتيس التملص منه، بالتحول تارة إلى لبوة، وأخرى إلى أفعى. ثم تحولت إلى ماء، لكن بيليوس لم يتركها، لقد تغلب بيليوس على ثيتيس، وأصبح عليها الآن أن تصبح له زوجة.

احتفل الآلهة بزفاف بيليوس وثيتيس في كهف الصنطور شيرون الشاسع. كانت مأدبة الاحتفال عامرة، وقد حضرها جميع آلهة الأولمب، وترددت عالياً أنغام

قيثارة أبولون الذهبية، وعلى هذه الأنغام غنت ربات الإلهام عن المجد العظيم، الـذي ينتظـر ابن بيليـوس وثيتيس. أكـل الآلهـة وشربوا، وقدموا الهبات السخية للعـروسـين. فقـد أهدى شير ون لبيليوس رمحه، وكانت قناته مصنوعة من شجرة الـدردار، القـاسيـة كالحديد، والتي كانت تنمو على جبل بيليون، أما بوزيدون، حاكم البحار، فقد أهداه جوادين، بينما أهداه الآلهة الباقون الدروع الرائعة.

كان الآلهة يمرحون، وحدها ربة الشقاق، أريس Eris، لم تشارك في حفل الـزفـاف. كانت تجوس لوحـدها قرب كهف شير ون، وهي غاضبة جداً، لأنها لم تدع لحضـور المأدبـة. وأخـيراً وجدت أريس الطريقة للانتقام من الآلهة. أخذت تفـاحـة ذهبيـة من حدائق الهيسبـير يـدات البعيدة، وقد كتبت على هذه التفاحة كلمـة واحـدة فقـط «للأروع». دنت أريس من المـائـدة بهدوء، وألقت بالتفـاحة عليها، دون أن يراها أحد.

رأى الآلهـة التفـاحـة، وقـرأوا ماكتب عليهـا. لكن من هي الأروع بين الربات؟ وللحال دب الخلاف بين ثلاث منهن: هيرا، زوجة زوس، أثينا المحاربة وأفـروديت الـذهبيـة، ربـة الحب. كانت كل منهن ترغب في الحصـول على هذه التفاحة، ولم تكن أي منهن ترغب في التنازل عنها للأخرى. توجهت الربات إلى زوس، وطلبن منه أن يفض النزاع بينهن.

رفض زوس أن يحكم بينهن، وقد أعطى التفاحة لهرمس، وأمره بأن يرافق الربات إلى سفح جبل إيدا العالي، في ضواحي طروادة. وهناك سيقوم باريس، ابن بريـام، ملك طروادة، بفض النـزاع، ويقـرر من نصيب من الربات ستكون التفـاحـة، ومن منهن الأروع. هكـذا انتهى عرس بيليوس باندلاع نيران الفتنة[٤] بين الربات الثلاث. وقد جرت هذه الفتنة على الناس الكثير من الويلات والمحن.

حكـــم بـاريـــس:

انطلق هرمس والـربـات الثـلاث على عجـل إلى سفوح إيدا، حيث كان باريس، ابن بريام، يرعى القطيع في ذلك الوقت. وقبل ولادة باريس كانت أمه هيكوب(*) قد رأت حلماً مخيفاً: رأت الحريق يهدد بتدمير طروادة كلها. خافت هيكوب وأخبرت زوجها بما رأت. وحين سأل بريام العراف عن تفسير لهذا الحلم كان جوابـه أن هيكـوب ستنجب ولـداً، سيكـون سبب دمار طروادة. ولذا فما إن أنجبت هيكـوب ابنهـا حتى أوعـز بريام لخادمه أجيلاوس أن يحمله إلى جبل إيدا العـالي، ويـرميـه في الغابة. لكن ابن بريام لم يمت، فقد أرضعته دبة. وبعد عام عثـر عليـه أغيـلايوس فرباه كأنه ولده، وسماه باريس. ترعرع باريس بين الرعاة، وأصبـح شابـاً فريـداً في جماله، كما تميز بين أقرانه بالقوة. وكان غالباً ماينقذ القطيع وحتى رفاقه من هجمات الوحوش الكاسرة وغارات قطاع الطرق، وأصبح معروفاً بقـوتـه وجرأته لدرجة أن رفاقه لقبوه باسم الكسندر (دَفّاع الرجال). عاش باريس آمناً بين غابات إيدا. وكان راضياً كل الرضى بقسمته.

جاءت الربات برفقة هرمس إلى باريس. وقد خاف باريس منهم إذ رآهم، وهم بالفرار، لكن هل كان بمقدوره أن يهرب من هرمس السريع، سرعة الخاطر؟ أوقف هرمس باريس، وتحدث إليه بلطف، ثم مد له التفاحة وهو يقول:

- خذ هذه التفـاحـة يابـاريس. إنـك ترى ثلاث ربـات يقفن أمـامـك، فاعـط التفاحة لأجملهن.

وحينذاك راحت كل من الربات الثلاث تحاول إقناع الشاب إعطاء التفاحة لها. ووعـدن باريس بأن يغـدقن عليـه الهـدايا الكثيرة. فقد وعدته هيرا بالسلطة على آسيـا بأسـرها، ووعدته أثينا بالمجد الحربي والانتصارات، أما أفروديت فقد

وعـدتـه بهيلين الحسنـاء، ابنة زوس، قاذف الصواعق، وليدا، زوجة له. لم يفكر باريس طويلاً بعد أن سمع وعد أفروديت، فأعطى التفاحة لها. ومنذ ذلك الحين أصبح باريس مقـربـاً من أفروديت، وكانت تساعده في كل شيء، أما هيرا وأثينا فقـد شعـرتـا بالكراهية نحو باريس وطروادة وجميع الطرواديين، وقررتا جر الهلاك والدمار على المدينة والشعب بأسره.

بـاريـــس يعود إلى طروادة:

بعد لقاء الربات لم يمكث باريس طويلاً في غابات إيدا. ولما رأى بريام أن زوجتـه هيكـوب لاتستطيـع أن تسلو ولدها الضائع، نظم ألعاباً فاخرة على شرف ابنه، الذي كان يظنه ميتاً. وكانت جائزة الفائز أفضل ثور في قطيع الملك بريام. وكـان هذا الثـور من بين ثيران ذلـك القطيع، الذي سبق لباريس أن رعاه. شعر باريس بالأسف لفراق الثور، الذي كان يحبه كثيراً، فساقه بنفسه إلى المدينة. وفي طروادة رأى باريس مبـاراة الأبطـال، فسيطـرت عليـه الـرغبـة العارمة في النصر. اشترك باريس في المسابقات، وفاز على الجميع، حتى على هكتور الجبار.

غضب أبناء بريام لأن أحد الرعاة غلبهم، فامتشق أحدهم سيفه، وهم بقتل باريس. ومن شدة خوفه هرع باريس نحو مذبح زوس مستنجداً به. وعند المذبح رأتـه العـرافـة كاسـاندرا[٦] ابنة بريام، فعرفت للحال من يكون هذا الراعي. سر بريـام وهيكـوب بعثـورهما على ولـدهما، وقاداه إلى القصر باحتفال مهيب. وعبثاً راحت كاساندرا تحذر بريام، وعبثاً راحت تذكره أن القدر حدد دمار طروادة على يدي باريس. ولم يول أحـد كلام العـرافـة كاسـانـدرا أي اهتمام. فقد جعل الإله أبولون قسمة كاساندرا محزنة، لم يكن أحد يصدق تنبوءاتها، وإن كان كل ماتنبأت به قد تحقق.

باريس يختطف هيلين:

مرت أيام عديدة على عودة باريس إلى بيت والده بريام. وكان يبدو وكأن ذلك التغير، الذي جرى في حياته، قد جعله ينسى الهدية، التي وعدته بها أفروديت لقاء التفاحة الذهبية. لكن أفروديت، نفسها ذكرته بهيلين الحسناء، وساعدت محظيها في بناء مركب فخم، واسرع باريس للاقلاع على متنه إلى اسبارطة، حيث تعيش هيلين. وعبثاً راح هيلينوس(٧) العراف، ابن بريام يحذره من هذه الرحلة. فقد تنبأ له بالموت، لكن باريس لم يرغب في سماع أي شيء. ركب باريس السفينة، وانطلق في رحلته البعيدة عبر البحر الواسع الشاسع. تملك اليأس كساندرا وهي ترى مركب باريس السريع يبتعد عن سواحل الوطن، فرفعت يديها نحو السماء، وصاحت:

- الويل الويل لطروادة العظيمة ولنا جميعاً. إنني أرى إيليون المقدسة بين ألسنة اللهب، وأبناءها يرقدون مضرجين بدمائهم، يفترشون الثرى: وأرى الغرباء يسترقون الزوجات والعذارى والطرواديات الباكيات.

هكذا كانت تصيح كاساندرا، لكن أحداً لم يهتم بتنبوئها. هبت على البحر عاصفة عاتية، لكنها لم تثبط عزيمة، باريس، فقد مر بفتيوتيد الغنية وبسالامين وبميسين إلى أن وصل أخيراً سواحل لاكونيا. رسا باريس في مصب إثروت، وخرج برفقة صديقه إنيوس إلى الشاطىء، ثم ذهب إلى الملك بصفة ضيف، دون أن تراوده أية نية سيئة.

استقبل مينيلاوس باريس وإنيوس ببشاشة، وأعد على شرف ضيفيه مائدة عامرة. وفي أثناء المأدبة وقعت عينا باريس على هيلين الحسناء للمرة الأولى. وبكل إعجاب راح يمتع نظره بجمالها السماوي.

وبدورها افتتنت هيلين بجمال باريس: فقد كان رائعاً في ثيابه الشرقية الفاخرة. مرت عدة أيام. وكان مينيلاوس مضطراً لأن يسافر إلى كريت على جناح السرعة. ولدى سفره طلب من هيلين أن تعتني بالضيفين بحيث لا ينقصهما شيء. ولم يخطر لمينيلاوس ببال أي شر سيلحقه به هذان الضيفان. قرر باريس انتهاز فرصة سفر مينيلاوس دون تسويف. وقد استطاع بمساعدة أفروديت أن يقنع هيلين الحسناء، بكلامه المعسول، بمغادرة بيتها وزوجها والهرب معه إلى طروادة. ونزلت هيلين عند رغبة باريس، فرافقته سراً إلى المركب، ولم يكتف باريس باختطاف زوجة مينيلاوس الحسناء، بل وسرق كنوزه. نسيت هيلين كل شيء - زوجها، وطنها اسبارطة، وابنتها هرميون، في سبيل حب باريس.

غادر مركب باريس مصب إثروت، حاملاً على متنه الغنيمة الكبيرة. انطلق المركب بسرعة يمخر عباب اليم باتجاه سواحل طروادة. كان باريس في ذروة سعادته، فقد كانت برفقته هيلين، الأجمل بين النساء الفانيات. وفجأة، وبينما كان المركب يبحر في عرض اليم، بعيداً عن الساحل، أوقفه نيريوس، إله البحر العظيم. فقد خرج من أعماق اليم، وتنبأ لباريس بالهلاك، وبالدمار لطروادة بأسرها. ارتبك باريس وهيلين، لكن أفروديت طمأنتهما، وجعلتهما ينسيان هذه النبوءة الرهيبة. ظل المركب يبحر ثلاثة أيام عبر البحر الهادىء، تحرسه عين أفروديت الساهرة. وكانت الريح المواتية تدفعه بسرعة؛ إلى أن وصل سواحل طروادة بسلام.

مينيلاوس يعد العدة للحرب ضد طروادة:

ما إن غادرت هيلين الحسناء قصر مينيلاوس برفقة باريس الغادر، حتى أرسل الآلهة إيريس إلى مينيلاوس في كريت. انطلقت إيريس من الأولمب

بســرعــة، على جنــاحيهـا القــوس قزحيــين، وفي طرفـة عين مثلت في حضــرة مينيـلاوس، وأخبرته بالمصيبة، التي حلت به. عاد مينيلاوس على عجل، فوصل اسبـارطـة بسـرعـة، ولاتسـل عن غضبـه حين رأى أن هيلين وكنوزه قد اختفت. وعلى الفور قصد مينيلاوس أخاه أغاممنون، ليتشاور معه حول كيفية الانتقام من باريس على غدره. نصـح أغـاممنون أخاه بجمع الأبطال، الذين سبق أن أقسموا له أن يبـذلـوا قصـارى جهـدهم في مسـاعـدتـه إذا ماحلت به نازلـة، وأن يذهب برفقتهم لمحـاربـة طروادة. قبـل مينيـلاوس نصيحـة أخيه، وانطلق معه قاصدين الملك نسطور الكهل في بيليوس.

كان نسطـور Nestor من أكثـر اليـونـانيـين حكمـة. وخلال حياته الطويلة اشترك في العديد من الحملات المجيدة. كانت خبرة نسطور في أمور الحرب كبيرة جداً.

استقبـل نسطور مينيلاوس وأغاممنون بالترحاب، وأعرب عن سخطه على باريس، وقـرر أن يشـترك بنفســه في الحملة على طروادة مع ولـديـه ثريسيم Thrasyméde وانطيلوخس Antiloque. وقد وافق نسطور على أن يطوف مع ابني آتريوس على جميع أبطال اليونان، لكي يدفعهم إلى المشاركة في الحملة.

الكثـيرون من الأبطـال قرروا المشـاركـة فيهـا: ديـوميـد، ملك أرغوس، وبـالاميـد الحكيم، ابن ملك أثبيا، وملك كريت ايذومين الجبار، حفيد مينوس، وفيلوكتيت صديق هرقل، الذي أعطاه الأخير سهامه قبيل موته. وكان العراف قد تنبأ أنه كان من المستحيل الاستيلاء على طروادة بدون هذه السهام. كما شارك في الحملة آيـاس الكبـير، ابن تلامـون ملك سلامـين، وصـديق هرقل، كان آياس الكبير من أشجع أبطال زمانه. وآياس الصغير إبن البطل اويليوس. وأمير اللقـريـين[٨]. وكـان من الضـروري إرغـام أوديسيوس الماكر. ملك إيثاكه. وابن لايـرت على المشـاركة في الحملة. لكن أوديسيوس لم يكن راغباً في مغادرة إيثاكه،

فلم يكن قد مضى وقت طويـل على زواجـه من بنلوبـه الحسناء، التي أنجبت له صبيـاً هو تيليـماخ. حين عرف أوديسيـوس بوصول مينيلاوس، أغاممنون، نسطور وبـالاميـد إلى ايثـاكـه قرر أن يخدعهم، فتظاهر بالجنون، وراح يحرث حقوله وقد ربـط إلى المحـراث ثوراً وحمـاراً، ويبذر الحقل بالملح. كان بالاميد أول من كشف مكـر أوديسيـوس. فقـرر إرغـام أوديسيـوس على الاعتراف بذلك. أخذ بالاميد تيليماخ، الملفوف بالأقمطة، ووضعه في طريق المحراث. فتوقف أوديسيوس. مهما كانت رغبته قوية في البقاء في إيثاكه فإنه لم يستطع أن يدفع ثمن ذلك هلاك ولده الوحيد. هكذا كشف بالاميد حيلة أوديسيوس، الذي اضطر لمغادرة موطنه إيثاكه وزوجتـه وابنـه قاصـداً طروادة، حيث أمضى سنوات عديدة تحت أسوارها. ومنذ ذلـك الحـين كره أوديسيـوس بالاميـد، وصمم على الانتقـام منه لأنه أجبره على المشاركة في الحملة.

أخيـــــل:

وكـان هنـاك بطل آخر من الضروري دفعه للمشاركة في الحملة. إنه أخيل الشـاب، ابن الملك بيليـوس والربة ثيتيس. وكان العراف كالخاس[٩] قد تنبأ لابني أتريوس أنهما لن يتمكنا من فتح طروادة العظيمة إلا إذا ماشترك أخيل في الحملة، كان القدر قد كتب المجد الخالد على جبين أخيل.

سوف تكون مآثر أخيل عظيمة، لكنه لن يعود حياً من تحت أسوار طروادة، ولسـوف يمـوت بسهم قاتـل، وهـو بعـد في أوج قوتـه. كانت الربة ثيتيس تعرف مايخبيء القـدر لابنها، وقـد بذلت قصـارى جهـدهـا من أجـل تلافي المحـذور. فعمـدت، حين كان أخيـل لايزال طفلاً، إلى طلي جسمه بالأمبروزيا، ووضعته في النـار كي تجعله محصنـاً ضد كل الأخطار وبالتالي خالداً. وفي ذات مرة وضعت

ثيتيس أخيل في النار، فاستيقظ بيليوس، ولاتسل عن رعبه، وهو يرى ابنه في النار، فامتشق سيفه، وانقض على ثيتيس. خافت الربة، وهربت من القصر من فزعها، ثم اختبأت في لجة البحر في قصور والدها نيريوس. أما بيليوس فقد عهد بأخيل لصديقه الصنطور شيرون ليقوم بتربيته. كان شيرون يطعم أخيل بدماغ الدببة وكبد الأسود، فشب أخيل بطلاً جباراً. فقد كان لايزال في السادسة من عمره حين راح يقتل الأسود الكاسرة والخنازير البرية المسعورة، وكان يلحق بالأيائل بدون كلاب، لقد كان سريعاً وخفيفاً في جريه. ولم يكن يجاريه أحد في فن استخدام السلاح. كما علمه شيرون العزف على القيثارة، ذات الأنغام الشجية، والغناء. ولم تنس ثيتيس ولدها، فكانت غالباً ماتخرج من لجة البحر لكي تلتقي به.

حين ترعرع أخيل، وأصبح شاباً رائعاً كانت بلاد الاغريق من أقصاها إلى أقصاها تتناقل خبر قيام مينيلاوس بتجميع الأبطال لشن حملة ضد طروادة. ولما كانت ثيتيس تعرف أي خطر يتهدد أخيل، فقد خبأته في جزيرة سكيروس[١٠] في قصر الملك ليكوميد. وهناك عاش أخيل بين بنات الملك، وهو يرتدي زي البنات. ولم يكن أحد يعرف مكانه. لكن العراف كالخاس كشف لمينيلاوس مخبأ أخيل. وللحال استعد أوديسيوس وديوميد للسفر. وقد قرر أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة. وصل أوديسيوس وديوميد إلى جزيرة سكيروس في زي تاجرين، وذهبا إلى قصر ليكوميد، حيث عرضا مالديهما من سلع أمام الأميرات: الأقمشة الفاخرة، العقود الذهبية، الأقراط، الأغطية المزخرفة بخيوط الذهب، وبين كل هذه الأغراض وضعا سيفاً وخوذة وترساً وغمداً ودرعاً. انكبت الأميرات على الحلي الذهبية والأقمشة الفاخرة، يتفحصنها بإعجاب، أما أخيل، الذي كان يقف بينهن، فلم ينظر إلا إلى السلاح. وفجأة ترددت لدى القصر صيحات القتال، ونفخ في الأبواق، وسمعت قعقعة السلاح. إنهم رفاق ديوميد وأوديسيوس

هم الـذين راحوا يضربون التروس بالسيوف، ويطلقون صيحات القتال، لاذت الأميرات بالفرار من شدة الخوف، أما أخيل فقد تناول السيف والرمح، واندفع لملاقاة الأعداء، ظناً منه أن الأعداء قد أغاروا على قصر ليكوميد. وهكذا اكتشف أوديسيوس وديوميد هوية أخيل.

وافق أخيل على الاشتراك في الحملة ضد طروادة بفرح عظيم. وقد رافقه صديقه المخلص باتروكليس[11] والشيخ الحكيم فونيكس[12]. أما بيليوس فقد أعطى ولده تلك الدروع، التي وهبه إياها الآلهة بمناسبة زفافه على الربة ثيتيس. كما أعطاه الرمح، هدية شيرون، والجوادين ـ هدية بوزيدون.

طـــروادة:

كانت طروادة، التي أراد أبطال اليونان محاربتها، عظيمة وجبارة، أسسها إيلوس Ilos حفيد داردانوس، ابن زوس واليكترا[13] إحدى بنات أطلس السبع. وكان داردانوس قد جاء من أركاديا، قاصداً الملك توسر أوتوكروس[14] Teucer- Teukros، الذي زوجه بابنته، وأقطعه جزءاً من أراضيه، مهراً لها، وفي هذه الأرض شيدت مدينة داردانيا. كان تروس، والد إيلوس، حفيداً لداردانوس. وفي إحدى مباريات الأبطال في فريجيا اشترك إيلوس وتغلب على الجميع واحداً إثر آخر. وقد كوفيء على هذا الفوز بخمسين فتاة وخمسين شاباً. كما أعطاه ملك فريجيا بقرة مبرقشة، وقال له أن يقتفي أثرها، ويشيد مدينة في المكان، الذي تتوقف فيه البقرة. وأخبره أن العراف تنبأ لهذه المدينة بشأن عظيم. تصرف إيلوس على النحو الذي طلبه الملك، فسار في إثر البقرة، التي توقفت على هضبة، وهنا أرسى إيلوس أساس المدينة. رفع يديه إلى السماء، وراح يتوسل إلى زوس أن يرسل له إشارة على أن قاذف الصواعق يبارك عمله. وعند خروجه من

خيمته في الصباح رأى إيلوس صورة أثينا ـ بالاس محفورة على الخشب، وكانت تلك التعويذة، التي ستحمي المدينة الجديدة. وفي عهد إيلوس كان السور يحيط فقط بذلك الجزء من المدينة، الموجود على الهضبة، أما ذلك الجزء، الموجود في أسفل الهضبة، فلم يكن مسوراً. وكان الفضل في بناء السور من حول هذا الجزء من المدينة يعود إلى بوزيدون وأبولون، اللذين أرسلهما الآلهة لخدمة الملك الطروادي لاوميدونت، ابن إيلوس، فجاء السور الذي بنياه من حول طروادة منيعاً راسخاً.

وفي الوقت، الذي كان فيه أبطال اليونان يعدون العدة لغزو طروادة، كان يحكمها بريام، حفيد إيلوس. كان بريام ملكاً غنياً، وكان قصره فاخراً وعظيماً، وفيه كان يعيش مع زوجته هيكوب. ومع بريام كان يعيش أولاده الخمسون، (أبناء وبنات) وقد اشتهر من بينهم بخاصة هكتور النبيل، الذي عرف ببسالته وقوته.

كانت طروادة قوية جبارة. وكانت المصاعب الكبيرة بانتظار أبطال اليونان في قتالهم مع الطرواديين المحاربين، وفي نفس الوقت فقد كان المجد العظيم والغنائم الهائلة بانتظار من يستولي على المدينة.

أبطال اليونان في ميزيا[١٥]:

كل أبطال الاغريق اجتمعوا مع جيوشهم في مرفأ أوليس[١٦]، لكي يبحروا من هناك إلى سواحل طروادة. حشود كبيرة اجتمعت على ساحل البحر. كانت هذه القوات تضم مئة ألف محارب مسلح[١٧]. وكان من المقرر أن تنتقل إلى طروادة على متن ١١٨٦ سفينة. وقبيل الأقلاع اجتمع كل قادة القوات، الأبطال العظام في فيء شجرة الدلب العتيقة قرب المذابح، لكي يتقربوا إلى الآلهة،

ويطلبــوا منهم التـوفيق في رحلتهم . وفجأة زحف من تحت أحـد المـذابـح ثعبـان فظيـع ، أحمـر كالـدم . راح الثعبـان ، وهـو يلتف على شكـل دوائر ، يزحف على شجـرة الـدلب إلى أن كاد يصـل قمتهـا ، حيث كان يوجـد عش فيـه ثمانية فراخ وأمهم . ابتلع الثعبـان الفـراخ وأمهم وتحـول إلى حجر . كان الأبطال يقفون تحت شجـرة الـدلب ، وهم ذاهلون ، لايعـرفون مغزى إشارة الآلهة هذه . لكن العراف كالخـاس كشف لهم مغـزاهـا . فقد أخبر الأبطال أنهم سيمكثون تسع سنوات في حصـار طروادة ، كما ابتلع الثعبـان العصـافـير التسعـة ، وأنهم لن يستـولـوا على طروادة العظيمـة إلا في السنـة العـاشرة ، وبعد جهد جهيد . سر اليونانيون بكلام كالخـاس . وقـد أنـزلـوا سفنهم إلى المـاء والأمـل يحدوهم بالنصر المؤزر . وأقلعت المـراكب من أوليس واحـداً إثـر آخـر . وراح المجذفون يعملون بكل همة ونشاط ، وانطلق الأسطول اليوناني نحو سواحل آسيا .

وبعـد رحلة قصـيرة رسـا اليـونـانيون عند سواحل ميزيا ، حيث كان يحكم البطـل تيليفـوس[١٨] Téléphe . وكـان اليـونـانيـون على ثقـة أنهم بلغوا سواحل طروادة ، فراحـوا يعيثـون فسـاداً في أملاك تيليفوس . حشد تيليفوس قواته ، وهب للدفاع عن أملاكه ، وبدأت معركة طاحنة .

أخيراً ، وبعد جهد كبير تمكن أخيل من هزيمة تيليفوس .

وقـد استغـل تيليفـوس حلول الليل ، ففر إلى مدينته ، وأوصد أبوابها . وفي الصبـاح راح اليـونـانيـون يجمعـون جثث القتلى ، وهنـا اكتشفـوا أنهم لم يقـاتلوا الطرواديين ، بل الميزيين وملكهم تيليفوس .

استولى الحزن على اليونانيين ، فقد حاربوا حليفهم وليس خصمهم . عقد اليونانيون صلحاً مع تيليفوس ، وقد وعدهم بأن يساعدهم . لكن تيليفوس رفض أن يرافقهم في حملتهم على طراودة ، فقد كان متزوجاً بابنة بريام .

غادر اليـونـانيـون ميزيا ، بعد أن دفنوا قتلاهم ، قاصدين سواحل طروادة .

وفي عرض البحر هبت على اليونانيين عاصفة هوجاء، ومثل الجبال كانت الأمواج العاتية ترتفع عالياً فوق البحر. وراحت العاصفة تلقي بالمراكب كالشظايا الخفيفة. ضلت المراكب طريقها، وأمضى اليونانيون فترة طويلة تائهين في البحر، إلى أن عادوا أخيراً إلى أوليس. وراحت المراكب اليونانية تدخل واحداً إثر آخر المرفأ الذي غادرته منذ عهد غير بعيد. لقد منيت محاولتهم الأولى بالفشل الذريع.

اليونانيون في أوليس[١٩]:

حين اجتمعت كل المراكب في أوليس من جديد، أخرجها اليونانيون إلى الشاطىء، فتكون على الساحل معسكر حربي ضخم. ولم يبق جميع اليونانيين في أوليس، بل عاد الكثيرون منهم إلى ديارهم، بمن فيهم الملك أغاممنون، القائد العام للقوات. ولم يكن أحد يعرف متى سيكون بالإمكان معاودة الكرة، وشن الحملة على طروادة. كان اليونانيون بحاجة إلى دليل يرشدهم إلى الطريق المؤدي إلى سواحل طروادة. ولم يكن بوسع أحد أن يقوم بذلك إلا تيليفوس، الذي حاربه اليونانيون للتو. وفي أثناء المعركة أصاب أخيل تيليفوس في فخذه. وعلى الرغم من العلاج المستمر فإن جرح تيليفوس لم يلتئم، وراح الألم يزداد ويزداد. أخيراً، وبعد أن أضناه العذاب، سافر تيليفوس إلى دلفي، وهناك سأل أبولون كيف له بعلاج الجرح. وكان جواب بيثيا أن لاأحد يشفي تيليفوس إلا ذاك الذي جرحه. وصل تيليفوس قصر أغاممنون في ميسين، يرتدي الأسمال، متنكراً في زي شحاذ، وفي نيته أن يطلب من ملك ميسين أن يقنع أخيل بشفاء جرحه. كانت كليتمينسترة، زوجة أغاممنون، أول من رأى تيليفوس، وقد كشف لها هويته. ونصحته كليتمينسترة أن يأخذ الطفل أورست، حال دخول أغاممنون،

ويسرع به إلى المذبح، ويهدد بقطع رأسه على المذبح إذا مارفض أغاممنون مساعدته في معالجة جرحه. وقد عمل تيليفوس بنصيحة كليتمينسترة، خاف أغاممنون من أن يقتل تيليفوس أبنه، فوافق على مساعدته، وقد فعل ذلك عن طيب خاطر، إذ كان يعرف أن تيليفوس هو وحده القادر على أن يكون مرشد اليونانيين إلى طروادة. بعث أغاممنون الرسل في طلب أخيل. وقد دهش أخيل، لم يعرف كيف له بشفاء جرح تيليفوس، وهو الذي لايعرف شيئاً في فن الطبابة. لكن أوديسيوس، أكثر الأبطال حكمة، قال لأخيل أن بالإمكان شفاء جرح تيليفوس بحديدة من نصل الرمح الذي سبب الجرح. وللحال سحج بعض الحديد من رمح أخيل، ووضع على جرح تيليفوس فالتأم. سر تيليفوس كثيراً، وتعبيراً عن امتنانه وافق على أن يقود اليونانيين إلى السواحل الطروادية، لكن اليونانيين لم يستطيعوا الاقلاع من أوليس: لم تكن هناك ريح مواتية، بل كانت تهب ريح أرسلتها الربة أرتيميس، الساخطة، على أغاممنون، لأنه قتل غزالها المقدس. عبثاً راح الأبطال ينتظرون تغير الريح، التي ظلت تهب في نفس الاتجاه وبنفس الشدة. وتفشت الأمراض بين القوات، وبدأ التذمر بين صفوف المحاربين. وكان القادة يخافون من حدوث عصيان. وأخيراً أعلن العراف كالخاس لقادة اليونانيين:

- لن ترأف الربة أرتيميس باليونانيين إلا بعد أن يقدموا لها ايفيجينيا الحسناء، ابنة أغاممنون قرباناً.

حزن أغاممنون حين عاد إلى أوليس وعرف بذلك. كان على استعداد لأن يتخلى عن الحملة ضد طروادة، المهم أن يصون لابنته حياتها. وقد حاول مينيلاوس جاهداً إقناعه بضرورة الانصياع لمشيئة أرتيميس، إلى أن وافق أخيراً على طلب أخيه، وبعث برسول إلى كليتيمينسترة في ميسين. لكن الرسول لم يبلغها بالسبب الحقيقي لرغبة أغاممنون في إحضار ايفجينيا إلى أوليس، بل زعم

أن أخيل يريد، قبل الانطلاق في الحملة، أن يعقد قرانه على ايفجينيا. وماإن بعث أغاممنون بالرسول إلى ميسين حتى ازداد إشفاقاً على ابنته. وقام سراً بإرسال مبعوث آخر ليقول لكليتمينسترة ألاّ تحضر إيفجينيا إلى أوليس. لكن مينيلاوس أوقف المبعوث الثاني، وراح يوبخ أغاممنون، لأنه خان القضية المشتركة. أمضى مينيلاوس وقتاً طويلاً وهو يقرّع أغاممنون، وحمي بينهما الجدال، الذي قطعه قدوم الرسول يعلن وصول كليتمينسترة مع ايفجينيا وأورست الصغير إلى معسكر اليونانيين، وأنهم توقفوا عند النبع، بالقرب من المعسكر.

استولى اليأس على أغاممنون، فهل يعقل أن القدر كتب له أن يفقد ابنته الحبيبة، وهل يعقل أنه سيقودها بنفسه إلى الموت، إلى النطع عند هيكل أرتيميس؟ وحين رأى مينيلاوس عذاب أخيه أحس بالرغبة في التخلي عن مثل هذه التضحية. لكن أغاممنون كان يعرف أن كالخاس سيذيع مشيئة الربة أرتيميس بين جميع المقاتلين، وحينذاك سيجبرونه على التضحية بإيفجينيا. . حتى وإن لم يفعل كالخاس ذلك، فإن أوديسيوس سيخبر الجميع بذلك، فهو بدوره يعرف مشيئة أرتيميس.

ذهب أغاممنون لملاقاة زوجته وابنته وهو في غاية الحزن، وإن حاول أن يتظاهر بالهدوء والمرح. لكن إيفيجينيا لاحظت فوراً أن ثمة مايشغل بال والدها ويثير حزنه العميق، فراحت تسأل وتلح في السؤال، لكنه لم يقل لها شيئاً، كما إنه لم يخبر زوجته بشيء، بل راح يحاول إقناعها بالعودة إلى ميسين، فلم يكن أغاممنون يريد لزوجته كليتمينسترة أن ترى موت ابنتها. أخيراً غادر أغاممنون زوجته وابنته قاصداً كالخاس: كان يريد أن يسأله عما إذا كان بالإمكان إنقاذ ابنته.

لم يكد أغاممنون يغادر الخيمة حتى جاء أخيل. كان يريد رؤية ملك ميسين لمطالبته ببدء الحملة ضد طراودة فوراً. فقد مل أخيل الجلوس عاطلاً عن العمل في

أوليس، ثم إن مقاتليه الميرميديين (Myrmidwus) ضجوا وهم يطالبون إما ببدء الحملة، وإما بتركهم يعودون إلى ديارهم. حين عرفت كليتمينسترة من يكون هذ البطل، الذي جاء يسأل عن أغاممنون توجهت إلى أخيل، ورحبت به كخطيب لابنتها، وهذا ماأثار دهشة أخيل. فلم يسبق له أبداً أن قال لأغاممنون أنه يريد الزواج بابنته. وشعرت كليتمينسترة بالحرج حين عرفت أن أخيل لم يسبق له أبداً أن فكر بالزواج من إيفجينيا، ولم تعرف ماذا تقول لأخيل. وهنا وصل ذلك العبد، الذي سبق لأغاممنون أن أرسله إلى ميسين، وأمسك به مينيلاوس، وكشف لكليتمينسترة سر استدعاء أغاممنون لها ولابنتها إلى أوليس. استولى الذعر على كليتمينسترة، فهي ستفقد ابنتها، فبمن ستستغيث؟ ركعت أمام أخيل، وراحت تتوسل إليه، وهي تنتحب، أن يمد لها يد المساعدة، وتستحلفه بأمه ثيتيس العظيمة ابنة نيريوس. وحين رأى مدى حزن كليتمينسترة أقسم أخيل بشيخ البحر العراف، الإله نيريوس، أن يساعدها. انطلق أخيل من خيمة أغاممنون مسرعاً، لكي يرتدي دروعه. وحين عاد أغاممنون إلى خيمته راحت زوجته تلومه بغضب لأنه عازم على قتل ابنته.

ماذا كان بوسع أغاممنون أن يقول لها؟ فهو لم يوافق، إلا مكرهاً، على التضحية بابنته للربة أرتيميس.

عمت المعسكر قلاقل قوية، وكاد الميرميدوينون يرشقون أخيل بالحجارة حين أعلن أنه لن يسمح بالتضحية بتلك التي وعد بها زوجه. واندفع جميع المقاتلين، وعلى رأسهم أوديسيوس نحو خيمة أغاممنون والسلاح في أيديهم. لكن أخيل وقف في باب الخيمة، وقد امتشق سيفه، واحتمى بترسه، وقد صمم على الدفاع عن إيفجينيا حتى آخر قطرة من دمه.

وهنا أوقفت إيفجينيا الجميع، الذين كادوا يبدأون معركة دامية. وقد أعلنت بصوت عال أنها مستعدة لأن تذهب بنفسها طوعاً إلى المذبح من أجل

الصالح العام . وهي لاتريد أن تتمرد على مشيئة أرتيميس ، ابنة زوس العظيمة . فليضحوا بها ، ولسوف تكون أطلال طروادة الدارسة نصباً خالداً لها . وأقنعت إيفجينيا أخيل بألّا يدافع عنها ، وأن لايضرم نيران المعركة بين الأخوة . امتثل أخيل لارادة ايفجينيا ، وإن كان يرثي لهذه العذراء الحسناء ، التي أحبها لتصميمها العظيم على التضحية بنفسها لأجل الصالح العام .

سارت إيفجينيا بكل هدوء إلى حيث مذبح الربة أرتيميس . كانت إيفجينيا تسير رائعة وعظيمة بين صفوف المقاتلين الغفيرة ، ووقفت لدى المذبح . بكى أغاممنون حين نظر إلى ابنته الشابة ، ولكي لايرى موتها غطى رأسه بمعطفه الفضفاض . وبإيعاز من المنادي تلثيبيوس لاذ الجميع بالصمت العميق . أخرج العراف كالخاس سكين الأضاحي من غمدها ، ووضعها في سلة ذهبية . ووضع على رأس الفتاة إكليلاً ، كذلك الذي يوضع على رأس الضحية حين تقاد إلى المذبح . وخرج أخيل من صفوف المقاتلين ، وأخذ وعاء الماء المقدس والدقيق القرباني مع الملح ، ثم رش إيفجينيا والمذبح بالماء ، ورش رأس إيفجينيا بالدقيق ، وبصوت عال راح يتوسل للربة أرتيميس أن تيسر رحلة القوات إلى الشواطىء الطراودية ، وتعقد لها النصر المؤزر على الأعداء . تناول كالخاس سكين الأضاحي بيده ، فتسمّر الجميع في أماكنهم وكأن على رؤوسهم الطير ، ورفع السكين كي ينحر بها إيفجينيا ، وهاقد لامست السكين العذراء . وهنا حدثت المعجزة ، فقد اختطفت أرتيميس إيفجينيا ، وبدلاً منها كان يتخبط لدى المذبح المضرج بالدم ، غزال نحره كالخاس ، وصاح جميع المقاتلين صيحة رجل واحد ، وقد أذهلتهم المعجزة . وصاح العراف كالخاس بصوت عال من فرط الفرح :

- ذلك هو القربان ، الذي طالبت به أرتيميس العظيمة ، ابنة زوس . افرحوا أيها اليونانيون : إن الربة تبشرنا برحلة سعيدة وبالنصر المؤزر على طروادة .

وبالفعل فلم يكد الغزال ، الذي أرسلته أرتيميس ، يحرق على المذبح حتى

تغـير اتجـاه الـريـح، وأصبحت مواتيـة. وأسـرع اليـونـانيـون يستعدون للحملة الطويلة. كان الجميع في المعسكر فرحين. أما أغاممنون فقد هرع إلى خيمته ليخبر كليتمينسترة بما حدث، وليستعجلها العودة إلى ميسين.

حملت الربة أرتيميس إيفجينيا، بعد أن اختطفتها عن المذبح، إلى سواحل بونت ايفكسين، إلى تاوريس[20] البعيدة. وهناك أصبحت ابنة أغاممنون الحسناء كاهنة للربة.

أبحر اليونانيون بهدوء حتى الشـواطىء الطـروادية، فقـد ظلت تهب ريح مواتيـة. وراحت المـراكب تمخـر عبـاب المـوج بسرعة. إلى أن اقتربت أخيراً من الشواطىء الطروادية، حيث كان بانتظارهم الكثير من المصاعب والمخاطر والمآثر العظيمة.

السنوات التسع الأولى من حصار طروادة[21]:

سر اليـونـانيون أن رحلتهم الطويلة قد انتهت، لكن لم يكادوا يقتربون من الشـواطىء حتى رأوا جيشـاً عرمرماً من الطروادبين ينتظرهـم هناك بقيادة هيكتور، الابن الجبـار للملك الطـروادي بريـام. فكيف يرسـو اليونانيون إلى الشاطىء؟ وكيف ينـزلـون؟ كان اليـونانيون يعرفون أن الموت سيكون من نصيب أول من تطأ قدمـاه الشـاطىء الطـروادي، وكـان بينهم البطـل بروتيسيـلاوس[22]، الذي كان يتعطش للمآثر، وكان مستعداً لأن يكون أول من يقفز إلى الشاطىء. ويبدأ قتال الطرواديين. لكنه متردد، فقد كان يعرف النبوءة: لسوف يهلك ذلك الاغريقي، الذي سيكون أول من تطأ قدمه الأرض الطروادية. وكان أوديسيوس يعرف ذلك بدوره. وهكـذا، ولكي يجر المقـاتلين خلفـه دون أن يموت رمى أوديسيوس بترسه إلى الشاطىء، ثم قفز عليه بمهارة من على متن السفينة. رأى بروتيسيلاوس أن

أوديسيوس قفز إلى الشاطىء، لكنه لم ير أن أوديسيوس يقف على ترسه، لا على الأرض الطـروادية. اعتقـد بروتيسيـلاوس أن أحـد اليونانيين قد لامس الأرض الطروادية، فسيطر عليه التعطش لاجتراح المآثر. وثب بروتيسيلاوس من السفينة إلى الشـاطىء، وانقض على الأعداء ممتشقاً سيفه. لوح هيكتور برمحه الثقيل، وطعن به بروتيسيـلاوس الشـاب طعنـة قاتلة. فكـان أول من ضرج بدمه الأرض الطـرواديـة. أمـا اليـونـانيـون فقـد راحوا يقفزون من مراكبهم، وينقضون على الأعـداء. كانت المعـركـة طاحنة، وتقهقـر الطـرواديون، ولاذوا بالفرار فاحتموا بأسوار طروادة المنيعة.

وفي اليـوم التـالي عقـدت هدنـة بين اليونانيين والطرواديين، لكي يتم جمع القتلى ومواراتهم الثرى.

بدأ اليـونـانيـون بنـاء معسكـر محصن. فأخـرجـوا سفنهم إلى الشاطىء، وتمـركـزوا في معسكـر كبير، امتد على طول الشاطىء حتى جبال رويتيون. ومن جهة طروادة حصنوا معسكرهم بتلة عالية وخندق. ونصب أخيل خيمته في طرف المعسكـر، بينـما نصب أجـاكس تيلامونيد خيمته في الطرف المقابل، لكي يرصدا حركات الطرواديين فلايسمحا لهم بشن هجوم مباغت على اليونانيين. وفي وسط المعسكـر كانت تنتصب خيمـة فاخـرة، إنهـا خيمـة الملك أغاممنون، الذي اختاره اليـونـانيـون قائـداً عاماً للقوات. وبالقرب من خيمة أغاممنون كانت توجد ساحة للاجتـماعـات العـامـة. وقـد نصب أوديسيوس الحكيم خيمته قرب الساحة لكي يعرف دائماً ماذا يجري في المعسكر. لم يكن في السابق يرغب المشاركة في الحملة، أمـا الآن فقـد أصبـح عدواً لدوداً للطـرواديـين، ويصر على أن يستولي اليونانيون على طروادة، ويدمروها مهما كان الثمن.

حين أنجـز بنـاء المعسكـر وتحصينـه أرسـل اليـونـانيـون إلى طروادة الملك مينيلاوس وأوديسيوس الداهية، للتفاوض مع الطرواديين. استقبل أنتينور الحكيم

الموفدين اليونانيين في داره، وأقام لهما مأدبة فاخرة. كان أنتينور يرغب من كل قلبه أن يعقـد الصلح، وأن تلبى مطـالب مينيـلاوس الشـرعية. أما بريام فما إن عرف بقـدوم الـوفد حتى دعا إلى اجتماع عام. وقد حضر مينيلاوس وأوديسيوس اجتماع الطـرواديـين. وفي كلمـة قصيرة وحماسية طالب مينيلاوس أن يعيد له الطرواديون زوجتـه وكنوزه، التي خطفها باريس. وتحدث أوديسيوس بعد مينيلاوس. أصغى الطراوديون بكل متعة إلى الكلمة الساحرة، التي ألقاها ملك إيثاكه الحكيم. لقد حاول إقنـاعهم بتلبيـة مطـالب مينيـلاوس. وكان الشعب الطروادي مستعداً لأن يوافق على قبـول كل شروط مينيـلاوس، فهيلين نفسهـا نادمـة على تصـرفهـا الطـائش، وتأسف لأنهـا غادرت دار زوجهـا من أجـل باريس. ثم أن أنتينور راح يحاول إقنـاع الشعب بتلبيـة مطـالب مينيلاوس. . فقد كان يرى كم ستجر حرب الطـرواديين واليونانيين من مصائب. لكن أبناء بريام، وباريس بالدرجة الأولى، لم يكـونـوا يرغبـون في صلح مع اليـونـانيين. لم يكن باريس يريد الانصياع للقرار الشعبي، وقد أيده أخوته. حتى ان أنتيماخ، الذي رشاه باريس، طالب الطرواديين بالقبض على مينيلاوس وقتله. لكن بريام وهكتور حالا دون ذلك، فلم يسمحا باهانة المبعوثين، الموجودين تحت حماية زوس، قاذف الصواعق.

وهنـا وقف العـراف الطراودي هيلينوس، ابن بريام، وقال أنه لا داعي لأن يخاف الطرواديون من الحرب مع اليونانيين، فالآلهة تعِد طروادة بالمساعدة. صدق الطـرواديـون هيلينـوس، وغـادر الـوفـد اليوناني طروادة بخفي حنين. والآن كان سيبدأ القتال الدامي بين الطرواديين واليونانيين.

أوصد الطرواديون بوابات طروادة المنيعة، حتى هكتور لم يجرؤ على مغادرة المدينة، وأما اليونانيون فقد بدأوا الحصار. وقد حاولوا ثلاث مرات اقتحام المدينة، لكنهم لم يتمكنوا. وحينذاك بدأ اليونانيون يخربون ضواحي طروادة، ويحتلون كل المـدن، التي كانت حليفـة لطـروادة. كان اليـونـانيون يشنون الحملات عليها براً

ويحـراً. وقـد تميز أخيل في هذه الحملات. فقد استولى اليونانيون على طيبة[٢٣]. حيث كان يحكم إيتيـون، والـد أندروماك Andromaque، زوجة هكتور. وفي يوم واحـد قتـل أخيل أخوة أندروماك السبعة، كما استشهد أبوها، لكن أخيل لم يترك جثـة إيتيـون في العـراء، خوفـاً من غضب الآلهـة، بل واراها الثرى[٢٤]. أما والدة أندروماك فقد أخذت أسيرة، واقتيدت إلى معسكر اليونانيين. كانت الغنيمة، التي استولى عليها أخيل في طيبة، كبيرة. فقد أسر خريسا (Chrynes) الحسناء، ابنة خريس، كاهن أبـولـون، وبـريسـا (Bris2eis) الحسنـاء[٢٥]. وقـد قدم اليونانيون خريسا للملك أغاممنون.

ذاق سكـان طروادة الأمـرين خلال سنوات الحصار التسع، وكم ندبوا من أبطــال سقطــوا في ساح الــوغى. لكن العـام الأقسى ـ العـاشـر ـ كان لايـزال بانتظارهم. كانت النازلة الأفدح لاتزال في جعبة المستقبل، إنها سقوط طروادة.

ويدورهم عرف اليونانيون الكثير من المحن خلال سنوات الحرب التسع، فقـد لقي بالاميـد الحكيم حتفـه، لكن ليس على يد الأعداء، بل إن أوديسيوس المـاكـر هو الـذي أودى بحيـاتـه. لقد أسدى بالاميد الكثير من النصائح الحكيمة لليـونـانيـين، وقدم لهم أكثر من مرة خدمات لاتقدر بثمن. فكان يشفي الأمراض والجـروح بالأعشـاب الطبيـة، وبنى منـارة لليونانيين، لكي يعرفوا لدى مغادرتهم المعسكـر أين يرسون في عتمـة الليل. كان اليـونـانيـون يحترمون البطل بالاميد، ويعملون بنصائحه ولهذا السبب كان أودسيوس يكرهه. كما إن أوديسيوس لم ينس كيف كشف بالاميـد حيلتـه، حينـما تظاهر بالجنون، لكي لايذهب إلى طروادة، وكانت هذه الذكرى تزيد من كراهية أوديسيوس لبالاميد. فكر أوديسيوس طويلاً بالطـريقـة التي تمكنـه من القضاء على بالاميد. وأخيراً انتهز الفرصة المواتية حين راح بالاميـد ينصـح اليـونـانيـين بوضـع حد للحـرب والعـودة إلى الوطن. وضع

أوديسيوس خطة ماكرة. فقد عمد تحت جنح الظلام إلى وضع كيس من الذهب في خيمة بالاميد، وراح يؤكد للجميع أن بالاميد لاينصح اليونانيين بوقف الحرب عبثاً، وأنه إنما يسدي هذه النصائح لليونانيين لأن بريام قد رشاه. كان ثمة بين اليونانيين أنفسهم الكثيرون ممن لم يكونوا راضين عن بالاميد. فلو أن اليونانيين أخذوا بنصائح بالاميد إذن لحرموا من الغنيمة الكبيرة، التي ستكون من نصيبهم، بعد الاستيلاء على طروادة. كل هؤلاء المستائين صدقوا وشاية أوديسيوس بكل طيبة خاطر. وحين رأى أوديسيوس أن الكثيرين بدأوا يصدقون خيانة بالاميد، وبهدف إقناع الجميع أن بريام قد رشا بالاميد فعلاً، أخبر (أوديسيوس) أغاممنون أن بالاميد على اتصال ببريام من خلال الأسير الفريجي، الذي حاول الفرار من معسكر اليونانيين إلى طروادة، فأمسك به خدم أوديسيوس وقتلوه. وفي الوقت نفسه كتب أوديسيوس رسالة من بريام إلى بالاميد، وقد ورد فيها أن بريام أرسل له كيساً من الذهب، لقاء قيامه ـ بالاميد ـ بإقناع اليونانيين بفك الحصار والعودة إلى الوطن. وقد سلم أوديسيوس هذه الرسالة للأسير الفريجي، وأمره بحملها إلى بريام. وما إن غادر الفريجي معسكر اليونانيين حتى انقض عليه خدم أوديسيوس وقتلوه، أما الرسالة فحملوها إلى ملكهم. وعلى جناح السرعة انطلق أوديسيوس إلى خيمة أغاممنون، حاملاً هذه الرسالة، وللحال استدعى أغاممنون جميع الزعماء، بمن فيهم بالاميد، الذي لم يخطر له ببال مدى الخطر الذي يتهدده. وهنا وجه أوديسيوس لبالاميد تهمة الخيانة. وعبثاً راح بالاميد يؤكد للزعماء أن فكرة الخيانة لم تخطر له ببال. ومن أجل إثبات التهمة نصح أوديسيوس بتفتيش خيمة بالاميد. ولدى تفتيشها عثر فيها على كيس الذهب فعلاً. وهنا صدق الجميع أن بالاميد خائن. حوكم بالاميد، وحكم عليه بالموت رجماً. ربطوا بالاميد البريء بالسلاسل الثقيلة، وقادوه إلى الشاطىء. وعبثاً راح بالاميد يستحلف اليونانيين ألّا يقتلوه، وأن لاينفذوا حكم الإعدام الرهيب به، وهو البريء. لكن

أحداً لم يصغ له. وبدأت عملية الإعدام. لم يطلق بالاميد اهة واحدة، ولا شكوى واحدة. وقبل الموت قال بصوت خافت:

ـ أيتها الحقيقة، إنني أرثي لك، فقد مُتِّ قبلي.

تلكم كانت الكلمات الأخيرة لأكثر أبطال اليونان نبلاً وحكمة. وفيما بعد دفع اليونانيون غالياً ثمن قتل بالاميد. فقد انتقم منهم نوبليوس[٢٦]: ملك إيثبيا ووالد بالاميد.

لم يكتف أغاممنون بإنزال عقوبة الموت ببالاميد، بل وحكم على روحه بالتطواف الأبدي، فلم يسمح أغاممنون بموارة جثة بالاميد الثرى. فتركت على شاطىء البحر، تمزقها وحوش الفلاة والطيور الجارحة. لكن أجاكس تيلامونيد الجبار لم يسمح بذلك. بل أقام طقوس الدفن على جثة بالاميد ودفنها بكل إجلال، فأجاكس لم يصدق أن بالاميد خان اليونانيين.

نزاع أخيل مع أغاممنون[٢٧]:

حل العام العاشر من الحرب العظيمة. وفي مطلع هذا العام وصل معسكر اليونانيين خريس كاهن أبولون النبّال، وراح يتوسل إلى اليونانيين أن يعيدوا له ابنته خريسا، لقاء فدية سخية. لدى سماع الكاهن خريس وافق الجميع على تسليم خريسا إلى والدها لقاء فدية سخية، لكن الملك أغاممنون غضب، وقال لخريس:

ـ اذهب أيها العجوز وإياك أن تتجاسر على الظهور لدى مراكبنا هنا، فلن ينقذك شيء، حتى ولو أنك كاهن الاله أبولون، لن أعيد لك خريسا. لسوف تبقى طيلة حياتها تتعذب في الأسر. حاذر أن تغضبني إذا كنت تريد العودة إلى بيتك سالماً.

غادر خريس معسكر اليونانيين خائفاً. وذهب إلى شاطىء البحر وهو حزين. وهناك رفع يديه نحو السماء، ورح يستغيث بالاله أبولون العظيم، ابن ليتو:

- أيها الاله ذو القوس الفضي! اصغ إلي أنا خادمك المخلص! انتقم بسهامك من اليونانيين على ماجروه علي من حزن وإهانة.

سمع أبولون شكوى كاهنه خريس، فاندفع مسرعاً من على الأولمب حاملاً قوسه وجعبة سهامه على كتفه. كانت السهام الذهبية تصدر رنيناً رهيباً داخل الجعبة. انطلق أبولون نحو معسكر اليونانيين، وهو يغلي من شدة غيظه، وكان وجهه أشد سواداً من عتمة الليل، رن وتر قوس أبولون بشكل رهيب، وأعقب السهم الأول ثان وثالث، ومثل حبات البرد راحت السهام تتساقط على معسكر اليونانيين، حاملة معها الموت. وباء رهيب حل بالمقاتلين، فكانت محارق الدفن تلتهب في كل مكان.

استمر الوباء تسعة أيام، يضرب ذات اليمين وذات الشمال، وفي اليوم العاشر عمد أخيل، بنصيحة من هيرا، إلى عقد اجتماع لليونانيين لمعرفة كيفية استرحام الآلهة. وحين التأم شمل الجميع قال أخيل موجهاً كلامه لأغاممنون:

- سنكون مضطرين للعودة إلى الوطن ياابن أتريوس، فأنت ترى أن المقاتلين يقتلون في المعارك وبسبب الوباء، لكن ربما نسأل العرافين أولاً: فيخبرونا بماذا أغضبنا أبولون، حامل القوس الفضي.

وهنا نهض العراف كالخاس، الذي سبق له أن كشف لليونانيين مشيئة الآلهة أكثر من مرة. وقال أنه على استعداد للكشف عن سبب سخط الإله، الذي يصيب بنباله عن بعد، لكنه لن يكشف عن ذلك إلا بشرط أن يحميه أخيل من غضب الملك أغاممنون. وقد وعده أخيل بحمايته، وأقسم على ذلك بأبولون. وحينذاك قال كالخاس:

- إن ابن ليتو العظيم ساخط لأن الملك أغاممنون أهان كاهنه خريس، فطرده من المعسكر دون أن يقبل منه فدية سخية لابنته. ليس بوسعنا أن نسترحم الإله إلا إذا أعدنا للأب خريسا، ذات العينين السوداوين وضحينا للاله بمئة عجل.

ثارت ثائرة أغاممنون على أخيل، ومع ذلك فحين رأى أنه لامندوحة من إعادة خريسا إلى والدها، وافق على ذلك أخيراً. لكنه طالب بمنحه مكافأة على إعادتها. وحين وبخه أخيل على أنانيته وحبه لمصلحته راح أغاممنون يهدد بأنه سيستخدم سلطته لأخذ مكافأة على خريسا من حصص أخيل أو أجاكس أو أوديسيوس من الغنائم، فصاح به أخيل:

- يالك من أناني وقح وغادر. تهددنا بانتزاع غنائمنا على الرغم من أن أياً منا لم يحصل أبداً على مايعادل نصيبك. علماً أننا لم نأت إلى هنا لنحارب من أجل أنفسنا، بل جئنا إلى هنا لمؤازرتك أنت ومينيلاوس. إنك تريد أن تنتزع مني جزءاً من تلك الغنيمة، التي حصلت عليها لقاء مآثري العظيمة. الأفضل إذن أن أعود أدراجي إلى بلادي فتيوتيد، فلست أريد أن أزيد غنائمك وكنوزك.

وصاح أغاممنون بأخيل:

- طيب، اجر إلى فتيوتيد، فأنا أكرهك أكثر من أي ملك آخر، فأنت وحدك تنوي الفتنة. لست أخاف غضبك. هاك ماسأقول لك! لسوف أعيد خريسا إلى والدها، طالما هذه هي رغبة الإله أبولون، لكنني سأنتزع منك بريسا، لسوف تعرف كم أنا أوسع منك سلطاناً، وهذا ماسيجعل الآخرين يخافون أن يعتبروا أنفسهم في منزلتي.

استولى على أخيل غضب فظيع حين سمع تهديد أغاممنون هذا، ووضع ابن ثيتيس يده على سيفه، واستله من غمده حتى النصف، وهم بالانقضاض على أغاممنون، وفجأة شعر أخيل بلمسة رقيقة على شعره. ولم يكد يلتفت حتى ترنح من فرط الرعب.

فقـد كانت أثينـا بالاس، ابنـة قاذف الصواعق تقف أمامه، دون أن يراها الآخرون. كانت هيرا هي التي أرسلت أثينا، فلم تكن زوجة زوس تريد الهلاك لا لهذا البطـل ولا لذاك. فقـد كانـا كلاهما، أخيـل وأغـاممنون، عزيزين عليها. وسأل أخيل الربة أثينا بوجل:

- لماذا نزلت ياابنـة زوس قاذف الصـواعق عن الأولمب العـالي؟ هل يعقـل أنـك جئت إلى هنا لكي تري جنون أغاممنون؟ لسوف يقضي على نفسه قريباً بغروره.

وأجابت بالاس، ذات العينين الدعجاوين:

- كلا ياأخيل العظيم، لم آت إلى هنا لهذا السبب، بل جئت أحدّ من غضبك. لاتمتشق سيفك، بل اكتف بالكلام، اضرب اغاممنون بالكلام. وصدقني أنهم سيدفعون لك عما قريب، وفي هذه المكان، هبات أكثر من هذه بكثير، اعقل، واخضع لمشيئة الآلهة الخالدين.

رضـخ أخيـل لمشيئـة الآلهة، فأعاد سيفه إلى غمده، وعادت أثينا أدراجها إلى الأولمب.

وجه أخيل إلى أغاممنون الكثير من الكلمات الساخطة، واصفاً إياه بملتهم الشعب والسكـير والجبـان والكلب. ثم ألقى أخيـل بصـولجانه أرضاً، وأقسم أنه سيحـل ذلـك الـوقت، الـذي سيصبحـون فيـه بأمس الحاجة إلى مساعدته ضد الطـرواديـين، لكن توسـلات أغـاممنون إليه لتقديمها ستكون عبثاً. ولم تجد فتيلاً محاولات الملك الحكيم بيلوس ولا الشيخ نسطور، الرامية إلى مصالحة الخصمين. فلم يصغ أغاممنون لنسطور، ولم يرعو أخيل. انصرف ابن بيلياس العظيم، غاضباً مع صديقـه باتـروكلوس والميرميدونيين الأبطال إلى خيامهم ،كان السخط لايزال يضطرم في صدره.

أمـا أغـاممنـون فقـد أوعـز بإنزال مركب سريع في البحر، ونقل قرابين الإله أبولون إليه، وعلى متنه وضعت ابنة خريس الحسناء، كان على المركب أن يبحر إلى طيبـة تحت إشـراف أوديسيـوس الـداهيـة، أمـا اليـونـانيون في المعسكر فكان عليهـم ـ كما أوعـز أغـاممنـون ـ أن يقدموا القرابين السخية لأبولون كي يرأف بهم، ويرضى عنهم. انطلق المركب، الذي أرسله أغاممنون، يمخر عباب اليم بسرعة. إلى أن وصـل أخـيراً مرفأ طيبة. أنزل اليونانيون الأشرعة، ورسوا إلى الرصيف. نزل أوديسيوس من المركب على رأس ثلة من المحاربين. وقاد خريسا الحسناء إلى والدها، وخاطبه بقوله:

ـ لقـد جئت إليـك ياخـادم أبولون بأمر من أغاممنون، لكي أعيد لك ابنتك. كما أحضـرنـا مئـة ثور، لكي نستغفـر الإلـه أبـولـون العظيم بهذه القرابين، صل ياخريس للاله قاذف النبال:

ـ ألا أيهـا الالـه، ياصاحب القوس الفضي! اصغ إلي! رد النازلة الكبرى، التي حلت باليونانيين، وأوقف الوباء القاتل.

سمع الاله أبولون صلاة خريس فأوقف الوباء في معسكر اليونانيين. وحين قدم خريس القـرابـين لأبـولـون أقيمت مأدبـة فاخـرة، وراح اليـونـانيون في طيبة يمـرحـون. وكـان الفتيـان يملؤ ون أقـداح النبيذ، ويقدمونها للضيوف، وترددت عالياً أصوات النشيد المهيبة تمجد أبولون. استمرت المأدبة حتى غروب الشمس، وعنـد الصبـاح عاد أوديسيـوس ومـرافقـوه أدراجهم. وقـد أرسل لهم أبولون ريحاً مواتيـة، فانـدفـع مركبهم عبر الأمواج كطائر النورس، ووصل معسكر اليونانيين بسرعة. أخرج اليونانيون المركب إلى الشاطىء، ثم انصرفوا كل إلى خيمته.

بينـما كان أوديسيـوس في طريقـه إلى طيبـة نفـذ أغاممنون ماكان قد هدد به أخيـل. فقـد استدعى المناديين تالثيبي واثريبات، وأرسلها في طلب بريسا. سار رسولا أغاممنون إلى خيمة أخيل مكرهين، وقد وجدا أخيل جالساً أمام الخيمة وهو

غارق في تأملاته. اقترب الرسولان من البطل الجبار، لكن الارتباك عقد لسانيهما فلم يستطيعا أن ينبسا ببنت شفة. وحينذاك قال لهما ابن بيلياس:

- مرحباً بكما أيها المناديان. إنني أعرف أنه لاذنب لكما، وأن أغاممنون وحده المذنب. لقد جئتما في طلب بريسا. سلمهما بريسا ياصديقي باتروكليس. لكن دعهما يشهدان على أنه سيأتي الوقت الذي سيحتاجون فيه إلي لانقاذ اليونانيين من الهلاك، ولن يكون بوسع أغاممنون، الذي فقد عقله، أن ينقذ اليونانيين.

غادر أخيل أصدقاءه، وهو يذرف الدمع المر، قاصداً الشاطىء المهجور، ومد يديه نحو البحر، ونادى الربة ثيتيس بصوت عال:

- ألا ياأمي إذا كنت قد أنجبتني لأعيش حياة قصيرة فلماذا يحرمني زوس من المجد! لقد أهانني الملك أغاممنون، إذ انتزع مني مكافأتي على مآثري. أرجو أن يصلك ندائي ياأماه.

سمعت الربة ثيتيس نداء أخيل، فغادرت لجة البحر وقصر الاله نيريوس العجيب، وخرجت بسرعة، مثل الغيمة الخفيفة من أمواج البحر المزبدة إلى الشاطىء، ثم جلست قرب ولدها المحبوب، وعانقته، وهي تسأله:

- مابالك تبكي بهذه الحرقة ياولدي؟ اخبرني عن مصيبتك.

روى أخيل لأمه كيف أهانه أغاممنون بفظاعة، وراح يتوسل إليها أن تصعد إلى الأولمب، وتطلب من زوس أن يعاقب أغاممنون. فليساعد زوس الطرواديين، وليجعلهم يطاردون اليونانيين حتى سفنهم. وليجعل أغاممنون يفهم كم أخطأ في سلوكه حين أهان أكثر المقاتلين بسالة. وراح أخيل يؤكد لوالدته أن زوس لن يرد طلبها، ويكفيها أن تذكر زوس كيف ساعدته ذات مرة حين حاول آلهة الأولمب الاطاحة به، بعد أن وضعوه في الاصفاد. وحينذاك استغاثت ثيتيس ببريارس Briarée الجبار، ذي المئة يد، لمساعدة زوس، واذ رآه الآلهة خافوا، ولم يجرؤوا على

رفـع أيـديهم على زوس، فلتذكر ثيتيس زوس العظيم، قاذف الصواعق، بهذا، فلا يرد طلبها. هكذا راح أخيل يتوسل إلى والدته ثيتيس.

وصـاحت ثيتيس، وهي تبكي بحـرقـة: آه ياولـدي الحبيب! لماذا أنجبتك لتعـاني من كل هذه المصـائب؟ نعم لن تكـون حياتك طويلة، وعما قريب ستحل نهايتـك. إنـك لن تعمر طويلاً، إنك أكثر الجميع بؤساً. لسوف أصعد إلى الأولمب المشرق. وهناك سوف أتوسل إلى زوس أن يساعدك. أما أنت فابق في خيمتك، ولاتشارك في المعارك بعد الآن. الآن غادر زوس الأولمب، فقد دعاه الاثيوبيون[٢٨] إلى مأدبة. ولكن حين سيعود سوف أركع عند قدميه، وكلي أمل أن لايردني خائبة.

غادرت ثيتيس ولدها الحزين، الذي مشى باتجاه خيام مقاتليه الميرميدونيين البواسل، ومنذ ذلك اليوم لم يعد أخيل يشارك، لا في اجتماعات الزعماء، ولا في المعارك.

مر أحـد عشـر يومـاً. وفي صبـاح اليـوم الثـاني عشـر صعدت ثيتيس برفقة الضبـاب الشـائب من لجة البحـر إلى الأولمب. وهنـاك ارتمت عنـد أقدام زوس، واحتضنت ركبتيه، ومدت يديها متوسلة نحوه، فلامست ذقنه، وهي تقول:

- هلا ساعـدتني ياأبـانـا في الانتقام لولدي. لاتردني خائبة إذا كان قد سبق لي أن قدمت لك خدمـة. ولاتكف عن إرســال النصـر للطـرواديـين إلى أن يبـدأ اليونانيون يتوسلون لولدي أن ينجدهم وإلى أن يقدموا له كل فروض الإجلال.

ظل زوس سائق الغيـوم لايـرد على ثيتيس طويلاً، لكنها ظلت تتوسل إليه بإصرار. أخيراً قال قاذف الصواعق، وهو يتنفس الصعداء:

- فلتعـرفي ياثيتيس أنـك بطلبـك هذا ستثـيرين سخـط هيرا، فلسوف تغضب

علي، ثم إنها لاتكف تلومني أنني أساعد الطرواديين في المعارك. ومع ذلك أعدك بتنفيذ طلبك، وهاكِ إشارة على أنني سأفي بوعدي.

لم يكد زوس ينتهي من كلامه حتى قطب حاجبيه، وقف شعر رأسه، وماد الأولمب كله، فاطمأنت ثيتيس، وأسرعت تغادر الأولمب العالي، ثم غرقت في لجة اليم.

أما زوس فقد قصد المأدبة، التي كانت تضم الآلهة، فنهضوا جميعهم لملاقاته، ولم يجرؤ أي منهم على الترحيب به جالساً. وحين جلس ملك الآلهة والناس على عرشه قالت له هيرا، وكانت قد رأت قدوم ثيتيس إليه:

- هلا أخبرتني أيها الماكر بمن من الفانين اجتمعت خفية؟ إنك أبداً تخفي نواياك وأفكارك عني.

وأجابها زوس:

- لا تأملي ياهيرا في أن يأتي وقت تعرفين فيه كل مايدور في خلدي. إن مابالامكان معرفته ستعرفينه قبل الآلهة جميعاً، لكن لاتحاولي أن تعرفي كل أسراري، ولاتسألي عنها.

فردت هيرا:

- إنك تعرف - ياسائق السحب - أنني لم أحاول أبداً معرفة أسرارك. فأنت دائماً تقرر كل شيء بدوني، لكنني أخاف أن تكون ثيتيس قد أقنعتك اليوم بالانتقام لابنها أخيل، فتودي بحياة الكثيرين من اليونانيين. إنني أعرف أنك قد وعدتها بتلبية طلبها.

ألقى زوس نظرة مخيفة على هيرا، وغضب من زوجته لأنها ترصد كل حركاته وسكناته. وبلهجة ساخطة أمرها زوس أن تجلس صامتة، وأن تخضع لإرادته، إلا إذا كانت تريد أن يعاقبها. خافت هيرا من غضب زوس، فلاذت بالصمت وهي على عرشها الذهبي. وخاف الآلهة من هذا النزاع. وحينذاك

نهض الاله هيبايستوس الأعرج، وراح يلوم الإلهين لأنهما يبدآن المشاحنة بسبب الفانين.

وذكر هيبايستوس هيرا كيف أنزله زوس إلى الأرض لأنه سارع لمساعدة أمه، حين غضب منها زوس، قاذف البروق. تناول هيبايستوس قدحاً ملأه من السلسبيل، ثم قدمه لهيرا، فابتسمت هيرا. وراح هيبايستوس يغرف السلسبيل من الدن، ويقدمه للآلهة. فابتسم الآلهة وهم يرون هيبايستوس الأعرج وهو يخمع في قاعة الاجتماعات. ومن جديد ساد المرح مأدبة الآلهة، وظلوا يحتفلون حتى غروب الشمس، دون أن يعكر مزاجهم شيء، على إيقاع قيثارة أبولون الذهبية، وغناء ربات الإلهام، وحين انتهت المأدبة أوى الآلهة إلى مضاجعهم. وراح الأولمب كله في سبات عميق.

اجتماع المحاربين الإخائيين[٢٩] ثيرسيت[٣٠]:

وفي سبات عميق راح أيضاً معسكر اليونانيين وطروادة العظيمة. لكن لم يغمض لزوس، قاذف الصواعق، جفن، بل كان يفكر بطريقة ينتقم فيها لاهانة أخيل. أخيراً قرر زوس، سائق السحب، أن يسلط على أغاممنون الحلم الكاذب. وهكذا فقد استدعى إله النوم، وأرسله إلى أغاممنون قائلاً:

- انطلق على أجنحتك السريعة أيها الحلم الكاذب، وامثل في حضرة أغاممنون، وأنبئه أن يقود اليونانيين إلى المعركة، وقل له أنه سوف يستولي اليوم على طروادة العظيمة، لأن هيرا توسلت إلى جميع الآلهة أن لا يساعدوا الطرواديين، وهكذا فإن الهلاك يتهدد طروادة الآن.

انطلق إله النوم إلى الأرض على عجل، وبعد أن اتخذ هيئة الشيخ نسطور، الذي كان أغاممنون يكن له كل الاحترام، ظهر له في الحلم، وقال له كل

ماأمره به قاذف الصواعق. استيقظ أغاممنون، لكن خيل إليه أن الكلمات، التي سمعها في الحلم، لاتزال تتردد في أذنيه. نهض ملك ميسين من فراشه، وارتدى ثيابه الفاخرة على عجل، وأخذ صولجانه الذهبي في يده، ثم سار إلى حيث كانت مراكب اليونانيين قد أخرجت إلى الشاطيء، وفي هذا الوقت كان الفجر قد انبلج، وبدأ نوره يغمر كل شيء. استدعى أغاممنون المنادين، وأمرهم بدعوة جميع المقاتلين إلى اجتماع عام. أما الزعماء فقد جمعهم ملك ميسين الجبار عند مركب الشيخ نسطور، وروى لهم الحلم، الذي أرسله له زوس قاذف الصواعق.

قرر الزعماء التحضير للمعركة، وقبل أن يحشدوا قواتهم تحت أسوار طروادة أراد أغاممنون أن يمتحنهم: فقرر أن يعرض على اليونانيين العودة إلى الوطن. وبينما كان الزعماء يتشاورون راح المقاتلون يتوافدون إلى الاجتماع. كان المقاتلون يجتمعون بأعداد غفيرة لاتحصى مثل أسراب النحل، التي طارت من الكهوف الجبلية، وقد وجد المنادون صعوبة بالغة في إحلال الصمت، كي يتمكن الملوك من مخاطبة الشعب. أخيراً انتظم المقاتلون، وخيم الصمت. كان أغاممنون أول المتكلمين إلى الشعب، فقد وقف في مكانه والصولجان في يده، وراح يتحدث عن مصاعب الحرب، وعن أن اليونانيين حاربوا عبثاً تحت أسوار طروادة، وأنهم لن يتمكنوا - على مايبدو - من الاستيلاء على طروادة الحصينة، وسيضطرون للعودة على أعقابهم بخفي حنين. ومن الواضح أن الآلهة نفسها تريد لليونانيين العودة إلى وطنهم. أصغى المقاتلون لكلمة أغاممنون وكأن على رؤوسهم الطير. وهاج الشعب وماج، كما البحر حين تهب عليه رياح نوطس وايفر[٣١]، فترفع الأمواج العاتية فوقه. انطلق الجميع نحو المراكب، وهم يطلقون صيحات عالية. وقد مادت الأرض تحت وقع أقدام المقاتلين، وارتفعت سحب الغبار، وترددت الصيحات في كل أرجاء المعسكر. كان الجميع يريدون إنزال المراكب إلى الماء بأسرع وقت، فقد كانوا بأشد الشوق للعودة إلى الوطن.

وصلت صيحات المقاتلين حتى الأولمب، وخوفاً من أن يوقف اليونانيون حصار طروادة أرسلت هيرا، أثينا بالاس إلى المعسكر لكي توقفهم. وكالعاصفة الهوجاء انطلقت أثينا، فتجلت أمام أوديسيوس، وقالت له:

- ألا ياابن لايرت النبيل، هل يعقل أنكم قررتم جميعاً الهرب إلى الوطن؟ وهل يعقل أنكم ستتركون هيلين الحسناء، وفي ذلك سعادة بريام والطرواديين؟ هيا عجل واقنع المقاتلين بعدم مغادرة طروادة.

ما إن سمع أوديسيوس صوت الربة الرهيب حتى ألقى معطفه على كتفيه، وانطلق نحو المراكب. وبعد أن أخذ الصوجان، شارة السلطة العليا، من أغاممنون، الذي صادفه، راح يحاول إقناع الزعماء والمقاتلين العاديين أن لاينزلوا المراكب إلى الماء، ويهيب بالجميع أن يعودوا لحضور اجتماع عام، وراح أوديسيوس يضرب بالصولجان أولئك الذين كانوا يضجون، ويستعجلون مغادرة سواحل طروادة. ومن جديد عاد الجميع إلى الساحة. كانت جماهير الناس تسير، وهي تطلق صيحات مدوية، لكأنها أمواج البحر المصطخب، التي تتكسر كهزيم الرعد على الشاطىء الصخري. أخيراً، انتظمت صفوف المقاتلين، ولاذوا بالصمت. وحده ثيرسيت استمر في الصياح. كان ثيرسيت يقف باستمرار ضد الملوك. وكان يكره بشكل خاص أوديسيوس وأخيل العظيم، ابن ثيتيس. والآن راح ثيرسيت يصرخ بصوت عال، ويشتم أغاممنون، كان يصيح أن أغاممنون حصل على الكثير من الغنائم والإماء، وأنه يكفيه ماحصل عليه من فديات سخية لقاء الطرواديين النبلاء، الذين يقعون في أسر المقاتلين العاديين. وراح ثيرسيت يهيب بالجميع أن يسرعوا في العودة إلى الوطن، وكانت نصيحته أن يترك أغاممنون تحت أسوار طروادة لوحده. وحينذاك سيكتشف ابن أتريوس ماإذا كان المقاتلون قد ساعدوه، وما إذا كانوا خدماً مخلصين. كان ثيرسيت يلوم أغاممنون، ويصف

أخيـل ـ في نفس الـوقت ـ باللامبـالاة . وصـل صيـاح ثيرسيت إلى مسـامـع أوديسيوس، فاقترب منه، وصاح به بهول :

ـ لاتجرؤ أيها الأحمق على شتم الملوك. وإياك والحديث عن العودة إلى الوطن. من يعرف كيف ستكون نهاية العمل الذي بدأناه؟ اسمع، ولاتنس أني سأنفذ ماأقول: إذا ماسمعتك مرة أخرى، أيها المجنون، وأنت تشتم الملك أغاممنون، إذن فالأفضل أن يقطعوا رأسي، ولن أكون أب تليماخ إن لم أمسك بك، وأمزق كل ماعليك من ثياب، وأوسعك ضرباً، ثم أطردك من الاجتماع العام باتجاه المراكب، وأنت تبكي ألماً.

هكذا صاح أوديسيوس بصوت رهيب، ثم لوح بالصولجان، وهوى به على ظهر ثيرسيت. ومن شدة الألم طفرت الدموع من عيني ثيرسيت، وانتفخ حزام أرجواني على ظهره، وراح، وهو يرتجف من الخوف، يعبس، ويمسح دموعه المتدحرجة بيده. ضحك الجميع بصوت عال، وهم ينظرون إلى ثيرسيت، ويقولون :

ـ لقد انجز أوديسيوس الكثير من الأعمال المجيدة إن في المجلس أو المعركة، لكن هذه أروع مآثره، كيف كبح جماح هذا الصاخب. لن تواتيه الجرأة بعد الآن على شتم الملوك، أحباب زوس.

أما أوديسيوس فقد ألقى كلمة في الناس، وإلى جانبه كانت تقف أثينا بالاس في هيئة رسول. وراح أوديسيوس يحاول إقناع اليونانيين بعدم وقف حصار طروادة، ويقول لهم أنهم إذا ماعادوا إلى الوطن قبل الاستيلاء على طروادة، فسيجلبون العار على أغاممنون وعلى أنفسهم؛ هل يعقل أنهم، كالأطفال الصغار، أو النساء الأرامل، سيعودون إلى الوطن بسبب قلة اهتمامهم، وهل يعقل أنهم نسوا نبوءات كالخاس بضرورة الانتظار؟ وهل يعقل أن الجميع نسوا تلك الدلالة التي أرسلها زوس في أوليس؟ ففي العام العاشر فقط كتب لليونانيين

الاستيلاء على طروادة. لقد استطاع أوديسيوس بخطبته أن يعيد التعطش للمآثر إلى الجميع. فراح اليونانيون يطلقون هتاف الترحيب بكلمة أوديسيوس، فيتردد صدى هتافهم في كل مكان. وهنا نهض الشيخ نسطور، فران السكون من جديد. وبدوره نصح نسطور بالبقاء وخوض المعركة ضد الطرواديين. وقد نصح أن تصطف الجيوش أثناء القتال حسب القبائل، والأفخاذ،لكي تساعد القبيلة القبيلة والفخذ الفخذ. وحينذاك سيعرف من من الزعماء أو أفراد القبيلة الخائف ومن منهم الشجاع، وماالسبب في أن طروادة لم تفتح حتى الآن ـ بمشيئة الآلهة، أم لأن الزعماء لايعرفون شؤون القتال. وافق أغاممنون على هذا، وأوعز للمقاتلين بالانصراف لتناول طعام الغداء، والاستعداد من ثم لخوض المعركة الدامية، التي لن تعطى فيها الراحة لأي كان، ولو للحظة واحدة، والويل كل الويل لمن سيتهرب من المعركة، فلسوف يرمى به للكلاب والطيور الجارحة.

أطلق المقاتلون صيحة قوية، كما يصطخب البحر أثناء العاصفة الهوجاء، حين تسوق الرياح الأمواج العالية علو الجبال، وأسرع الجميع إلى الخيام، وانتشر الدخان في كل أرجاء المعسكر. أكل اليونانيون استعدادا للمعركة، وقدم كل منهم قرباناً للإله، وتوسل إليه أن تكتب له النجاة في المعركة الطاحنة. أما أغاممنون فقد قدم قربانه لزوس. فقد نحر ثوراً سميناً عند المذبح، الذي تحلق من حوله مشاهير الأبطال، وراح يصلي لزوس أن يكتب له النصر، وأن يساعده في الاستيلاء على طروادة المنيعة وقصر الملك بريام قبل أن يخيم الليل على الأرض، كما صلى له أن يمكنه من تعفير هكتور بالتراب. بيد أن زوس ـ قاذف الصواعق، لم يستجب لدعاء أغاممنون، بل أعد لملك ميسين الكثير من الفشل في ذلك اليوم. فبعد أن قدم القربان، وانتهت طقوس التضحية، راح الشيخ نسطور يستعجل الزعماء قيادة القوات إلى ساح المعركة.

أسرع الزعماء إلى محاربيهم، وراح الرسل يجمعون المقاتلين بصوت عال.

وضع الزعماء المقاتلين في تراتيب القتال، وقادوهم إلى أسوار طروادة. كانت الأرض تئن تحت وقع خطوات المقاتلين وسنابك الخيول. وقد ملأت القوات كل وادي اسكمندر[٣٢]. كان المحاربون يتشوقون لقتال الطرواديين. وكانت أثينا بالاس تطوف صفوف القوات جيئة وذهاباً. كانت تشجع المحاربين على القتال، وتبث فيهم روح الرجولة والصمود. وفي مقدمة القوات كان الزعماء يمتطون متن مركباتهم. وكان الملك أغاممنون يبزهم جميعاً بمظهره الرهيب، الشبيه بزوس قاذف الصواعق. كانت القوات تسير بانتظام، صفاً إثر صف، نحو أسوار طروادة.

المبارزة بين مينيلاوس وباريس[٣٣]:

انطلقت إيريس، رسولة الآلهة، من على الأولب على عجل. وأخبرت الطرواديين، بعد أن ظهرت لهم في هيئة بوليتوس، ابن بريام، أن قوات لاتحصى خرجت من معسكر اليونانيين، وبدأت تقترب من طروادة. حين وصلت إيريس إلى طروادة كان الطرواديون يعقدون اجتماعاً عاماً، وقد عمد هكتور إلى فض الاجتماع فوراً.

سارع مواطنو طروادة وحلفاؤهم إلى التسلح واتخاذ وضعية القتال. فتحت بوابات طروادة، وبدأت تخرج منها فصائل الطرواديين وحلفائهم الواحدة تلو الأخرى. كان الطرواديون يسيرون وهم يطلقون صيحات قوية، كما أسراب الغرانق في السماء. أما اليونانيون فكانوا يقتربون بصمت مطبق. وكانت سحب الغبار تغطي السهل كله.

التقى الجيشان، لكنهما لم يلتحما بعد في المعركة. خرج باريس من صفوف الطرواديين، وكان قد ألقى جلد النمر الأرقط على كتفه، وعلى ظهره القوس وجعبة السهام، وعلى فخذه سيف قاطع، وفي يده كان يمسك برمحين. وقف

باريس، وراح يدعو الإخائيين لمنازلته. ولم يكد مينيلاوس يرى باريس حتى نزل من عربته، وخرج إلى الأمام. تقدم مينيلاوس لمنازلة باريس فرحاً، كالليث الذي عثر فجأة على فريسة دسمة.

ما إن رأى باريس مينيلاوس حتى اختلج فؤاده، واختفى بين أصدقائه، خوفاً من الموت. وإذ رأى هكتور جبن أخيه راح يوبخه:

- إنك جريء بالمظهر فقط. كان الأفضل أن لاتولد فلا تجر علينا العار. هل يعقل أنك لاتسمع كيف يضحك منا اليونانيون؟ لم تكفك جرأتك إلا لاختطاف زوجة مينيلاوس فجلبت الشقاء على طروادة بأسرها! خفت مينيلاوس! آه لو كان الطرواديون أكثر حزماً وعزماً إذن لرجموك من زمان بسبب ماجلبت عليهم من محن وأرزاء.

ورد باريس:

- يحق لك أن توبخني ياهكتور، لكن اطمئن. لسوف أخوض النزال ضد مينيلاوس، فقط أوعز للطرواديين بالتوقف. لسوف نتبارز أنا ومينيلاوس أمام الجيشين من أجل هيلين الحسناء. ومن ينتصر يقُدْ هيلين إلى داره.

ما إن سمع هكتور هذا الرد حتى خرج إلى وسط صفوف الطرواديين وأوقفهم. وهم اليونانيون برمي هكتور بالسهام، حتى أن بعضهم رشقوه بالحجارة. لكن أغاممنون صاح بهم:

- مهلاً أيها اليونانيون، قفوا أيها الإخائيون الأبطال! إن هكتور، صاحب الخوذة الساطعة، يريد أن يوجه لنا كلمة.

حين سكت الجميع أعلن هيكتور أن باريس يقترح فض الخلاف حول هيلين بالمبارزة. فرد عليه مينيلاوس بقوله:

- اصغ إلي. لقد آن الأوان من زمان لوقف هذا النزاع الدموي؟ فلنتبارز أنا وباريس، وليهلك منا من كتب على جبينه الهلاك: أما أنتم فاعقدوا الصلح

بعد ذلك. فلنضح للآلهة. نادوا الشيخ بريام: إن جميع أبنائه دهاة، فليقسم قبل المبارزة أنه سينفذ هذا الاتفاق.

فرح الجميع حين سمعوا هذا الاقتراح، وللحال أرسل هكتور الرسل في طلب بريام.

وفي هذا الوقت ظهرت الربة إيريس لهيلين في هيأة لاووذقا (Laodice) الحسناء، ابنة بريام، ودعتها للصعود إلى البرج عند بوابة اسكيا، حيث اجتمع شيوخ طروادة برئاسة بريام لمشاهدة المبارزة بين باريس ومينيلاوس. ارتدت هيلين، ذات الشعر الرائع، ثياباً فاخرة، وأسرعت في أثر إيريس، ترافقها خادمتان، وحين تذكرت هيلين زوجها السابق ووطنها واسبارطة الغالية ترقرقت الدموع في عينيها. رأى شيوخ طروادة هيلين قادمة، فبدت لهم في غاية الحسن والجمال، لدرجة أنهم راحوا ينظرون إليها بإعجاب، وهم يقولون لبعضهم:

- كلا، لايجوز لوم اليونانيين ولا الطرواديين لأنهم يخوضون الصراع الدامي من أجل هذه المرأة الحسناء. كانت في الحقيقة تضاهي الربات الخالدات جمالاً. لكن من الأفضل أن تعود إلى اليونان وحينذاك لن يعود الهلاك يتهددنا لا نحن ولا أولادنا.

أما بريام فقد نادى هيلين، وراح يسألها عن أولئك الأبطال، الذين كان يراهم من فوق الأسوار. فدلته هيلين على أغاممنون الجبار، وأوديسيوس الداهية، وأجاكس الكبير (ابن تيلامون) وايدومينوس - ملك كريت. دهش بريام، وهو ينظر إلى هؤلاء الأبطال، من مظهرهم المقاتل الجبار. وفي هذا الوقت وصل الرسل، الذين بعثهم هكتور إلى بريام. نهض بريام على عجل، وأمر بتحضير المركبة، ثم انطلق نحو القوات عبر بوابة اسكيا.

نهض أغاممنون وأوديسيوس للقاء الشيخ بريام. وقدمت القرابين لآلهة

الأولمب. وأقسم الزعماء على مراعاة الاتفاق. وحينذاك قال الملك بريام مخاطباً قوات الطرواديين واليونانيين:

- أيها الأبطال الشجعان، الطرواديون واليونانيون! الآن سأبتعد إلى طروادة العظيمة. فليس لدي من القوة مايسمح لي بمشاهدة منازلة ولدي باريس مع الملك مينيلاوس الجبار. إن زوس هو وحده الذي يعرف من كتب له الهلاك في هذه المعركة.

غادر بريام ساح المعركة، أما هكتور وأوديسيوس فقد راحا يقيسان المكان للمبارزة، وبعد ذلك وضعا القرعة في الخوذة، ثم راحا يخضانها لكي يعرف لمن سيكون رمي الرمح أولاً، ففاز باريس.

تسلح باريس ومينيلاوس، ثم خرجا إلى مكان المبارزة، وهما يهزان الرماح الثقيلة. كانت أعينهما تقدح شرراً وكراهية. لوح باريس برمحه، ثم رمى به مينيلاوس، فوقع على ترسه الهائل دون أن يثقبه. التوى سنان الرمح إذ اصطدم بالنحاس، الذي يغطي الترس، ورفع مينيلاوس صوته مستنجداً بزوس أن يساعده بالانتقام من باريس لكي لايجرؤ أحد في المستقبل على مقابلة حسن الضيافة بالاثم. لوح الملك مينيلاوس برمحه بشكل مخيف، ثم قذف باتجاه ترس باريس، فثقب الترس، كما ثقب درع باريس، ومزق قميصه. ولو لم يثب باريس مبتعداً لكانت الضربة قاتلة. امتشق مينيلاوس سيفه، وضرب به باريس على خوذته، لكن السيف انشطر من شدة الضربة إلى أربع قطع. انقض مينيلاوس على باريس، بعد أن فقد سيفه، وأمسك به من خوذته، وراح يجره على الأرض نحو صفوف اليونانيين، وهنا جاءت الربة أفروديت لنجدة محظيها. وحين هم مينيلاوس بطعن باريس برمحه، وهو يجره على الأرض، غطته الربة أفروديت بغيمة داكنة، ثم حملته إلى طروادة على عجل. عبثاً راح مينيلاوس يبحث عن باريس. فقد راح يبحث عنه كالوحش الكاسر، في صفوف الطرواديين، لكن لم

يستطع أحد أن يدله على ابن بريام، على الرغم من أن جميع الطرواديين كانوا يكرهونه. وصاح أغاممنون بصوت عال:

- اسمعوا أيها الطرواديون واليونانيون! جميعكم رأيتم فوز مينيلاوس، فليعيدوا لنا هيلين وكل مانهبه باريس من كنوز مينيلاوس، وليدفعوا لنا الجزية.

لكن كلمات أغاممنون ظلت بدون جواب، فلم يكن مقدراً للمعركة أن تنتهي.

بنداروس ينتهك القسم. المعركة:[٣٤]

حين قرر مينيلاوس وباريس أن يتبارزا كان الآلهة الخالدون يحتفلون في قصور زوس. كانت الربة الشابة هيبة تصب الرحيق في الأقداح. كان الآلهة يحتفلون، وهم ينظرون من الأولمب العالي إلى طروادة. أما زوس فقد راح يقول لهيرا مازحاً أنه سيوقف النزاع الدامي بين الطرواديين واليونانيين لأن مينيلاوس قد انتصر. لكن الربة هيرا طلبت من زوس أن يرسل أثينا المحاربة إلى صفوف الطرواديين لكي تدفع أحدهم للحنث بالقسم، وقد وافق زوس، قاذف الصواعق. وانطلقت أثينا من الأولمب بسرعة، في هيئة نجم ساطع، ثم وقعت في صفوف القوات الطروادية. استولت الدهشة على الطرواديين، ولم يعرفوا مغزى هذه الرسالة: هل سيندلع القتال الدامي من جديد، أم أنها إشارة من زوس إلى ضرورة عقد الصلح؟ اقتربت أثينا، في هيئة مقاتل، من بنداروس، رامي القوس المشهور، وأقنعته بأن يجندل مينيلاوس بسهمه القاتل. أخذ بنداروس قوسه، ثم سحب سهماً حاداً، واستنجد بأبولون. رن وتر القوس المشدود، وانطلق السهم، وكان يمكن أن يقتل مينيلاوس، لو لم تسارع أثينا إلى إبعاد السهم، فأصاب مينيلاوس في المكان الذي كان فيه جسمه محمياً بدرع مزدوج. اخترق

السهم الدرع، وانغرز في جسم مينيلاوس. لم يكن الجرح عميقاً، ومع ذلك فقد تدفق منه الدم بغزارة. وجن جنون أغاممنون وهويرى أخاه جريحاً، لكن مينيلاوس طمأنه. أمر أغاممنون بإحضار الطبيب ـ البطل ماخاوون. كشف ماخاوون على الجرح، ثم رشه بالعقاقير. وبينما كان أغاممنون وغيره من الأبطال منصرفين للعناية بمينيلاوس الجريح بدأ الطراوديون الهجوم. وأسرع أغاممنون إلى القوات، وراح يشجع المقاتلين على خوض غمار المعركة.

كان المقاتلون اليونانيون يسيرون بصمت، ولم يكن يتردد في صفوفهم سوى أصوات الزعماء، أما الطرواديون فكانوا يزحفون وهم يطلقون الأصوات العالية. كانت أثينا بالاس هي التي تقود قوات اليونان، أما القوات الطروادية فكانت بقيادة أريس، إله الحرب العاصف. التحم الجيشان. واختلطت صيحات النصر بأنين المحتضرين.

راح الطرواديون يتقهقرون تحت ضغط اليونانيين، فزاد اليونانيون من ضغطهم. وحين رأى أبولون، خامي الطرواديين ذلك استشاط غضباً، وصرخ بصوت عال:

ـ هيا إلى الأمام أيها الطرواديون! لاتظنوا أن صدور اليونانيين من حجر، وأن أجسامهم من حديد. انظروا فهم يحاربون اليوم بدون أخيل العظيم، الذي يجلس غاضباً في خيمته.

بهذه الصرخة شجع الإله النبّال الطرواديين. وحمي وطيس المعركة، وسقط الكثير من الأبطال. وبدورها راحت أثينا بالاس تشجع اليونانيين. وفي هذه المعركة وهبت القوة الراسخة للملك ديوميد، ابن تيديوس. ولم يلبث الطرواديون أن بدأوا يتقهقرون.

لم يكد بنداروس، الرامي المشهور يرى ديوميد حتى شد قوسه، وأطلق عليه سهماً، فانغرز السهم في كتف ديوميد، وتخضب درعه بالدم الأحمر القاني، مما

أثلج صدر بنداروس، الذي راح يشجع الطرواديين فيصيح بأن ديوميد أصيب بجرح قاتل. أما ديوميد فقد بدأ يتوسل لأثينا بالاس أن تسمح له بقتل من جرحه بسهم. تجلت أثينا بالاس أمام ديوميد، ووهبته قوة كبيرة وشجاعة خارقة، ثم أوعزت الربة إليه أن يندفع إلى المعركة بجرأة، وأن يهاجم الجميع إلا الآلهة الخالدين. ولم يكن بوسعه أن يجندل برمحه الربة أفروديت. وكالليث الجريح، الذي ضاعف الجرح قوته عشر مرات، وزاد هياجه، اندفع ديوميد إلى ساح الوغى.

ما إن رأى البطل إنياس[٣٥] ديوميد وهو يصول ويجول في الميدان حتى جرى عبر صفوف الطرواديين بحثاً عن بنداروس. وبعد لأي أقنع إنياس بنداروس بالهجوم على ديوميد. امتطى بنداروس متن مركبة إنياس، واندفعا معاً لمقارعة ديوميد.

حين رأى سفينيلوس صديق ديوميد البطلين المشهورين إنياس وبنداروس في المركبة، نصح ديوميد بتجنب الصراع معهما. لكن البطل الصنديد رفض هذه النصيحة بكل سخط. كانت مركبة إنياس تدنو من ديوميد بسرعة، لوح بنداروس برمحه، ثم قذف به ترس ديوميد، فاخترق الرمح الترس، واصطدم بالدرع، الذي حمى البطل. لوح ديوميد برمحه، فتدحرج بنداروس من المركبة ميتاً، أما إنياس فقد قفز إلى الأرض بسرعة، ووقف للدفاع عن جثة بنداروس، محتمياً بالترس والرمح الضخم في يديه. واختطف ديوميد صخرة كبيرة، يعجز اثنان عن رفعها، وبيد واحدة رمى بها إنياس فأصابه في فخذه، سقط إنياس على ركبتيه، وكان سيلقى حتفه حتماً لو لم تهرع لنجدته أمه الربة أفروديت، التي غطته بثوبها، وهمت بسحبه من ساح المعركة.

انقض ديوميد على الربة أفروديت، وجرحها برمحه الثقيل في يدها الناعمة. أطلقت أفروديت صرخة قوية. ثم تركت إنياس وشأنه، لكن الإله

أبولون غطاه بغمامة سوداء، أما ديوميد فقد صرخ بالربة أفروديت بصوت رهيب:
- اختبئي ياابنة زوس، غادري المعركة الطاحنة. ألا يكفيك أنك تغوين النساء الضعيفات؟

غادرت ربة الحب ساح الوغى، أما ديوميد فكر على إنياس من جديد. ثلاث مرات انقض عليه ابن تيديوس وفي المرات الثلاث كان أبولون يتصدى له. وحين هجم ديوميد على إنياس للمرة الرابعة صرخ به أبولون بصوت رهيب:
- ثب إلى رشدك ياابن تيديوس! تراجع، ولا تجرؤ على مهاجمة الخالدين، فلن يتساوى الفانون أبداً بالقوة مع الآلهة.

خاف ديوميد إذ سمع صوت الإله أبولون وتقهقر. أما أبولون فقد نقل إنياس إلى معبده في طروادة، وهناك شفته الربة لاتون والربة أرتيميس، وفي ساح المعركة خلق أبولون طيف إنياس ومن حول هذا الطيف دارت رحى معركة طاحنة.

وفي هذا الوقت غادرت الربة أفروديت، بعد أن جرحها ديوميد، ساح المعركة إلى حيث يجلس اريس. وهناك راحت تتوسل إليه أن يعطيها مركبته، أعطاها أريس مركبته فامتطتها وصعدت على متنها إلى الأولمب بسرعة. وقالت أثينا وهيرا لزوس قاذف الصواعق، ساخرتين من أفروديت:
- ألم تغو الربة أفروديت إخيائية أخرى بالهرب مع أحد أحبائها الطرواديين؟ ولعلها قد جرحت يدها من كثرة مالاطفت هذه الإخيائية؟

ابتسم زوس، واستدعى أفروديت إليه، وقال لها:
- ليست المعارك الصاخبة من شأنك ياابنتي الحبيبة. اسهري على الزواج والحب، أما المعارك فاتركيها للإله العاصف أريس ولأثينا المقاتلة.

كان وطيس المعركة لايزال حامياً من حول طيف إنياس، الذي صنعه أبولون، وطلب الإله أبولون من أريس أن يكبح جماح ديوميد. وقد أصغى إله

المعـركـة ، المضـرج بالدم ، لطلب أبولون . كانت المعركة ستزداد ضراوة ، فقد عاد إنيـاس بعـد أن التأم جرحـه . وكم فرح الطـرواديـون حين رأوه سليماً معـافى . فانتظمت صفوفهم بعد أن دبت فيها الفوضى ، وكروا على اليونانيين ، ومن جديد حمي وطيس المعركة ، كان المقاتلون يتساقطون ، الواحد تلو الآخر ، وتغمض ظلمة المـوت عيـونهم . كان هكتـور يقـاتـل في طليعة الطرواديين ، وكان يساعده أريس والـربـة الـرهيبة اينو[٣٦] . وحين رأى البطل ديوميد الإله أريس تراجع إلى الوراء ، وصاح مخاطباً اليونانيين .

- لاداعي للدهشـة ياأصـدقـاء أن هكتـور يقاتل بمثل هذه البسالة ، فإلى جانبه يقاتل أريس نفسه ، ويساعده ، تراجعوا أيها الأصدقاء ، وإياكم وقتال الآلهة .

ازداد ضغـط الطـرواديـين على اليـونـانيـين . وفي هذه المعركة قتل الشاب تليبـوليم ، ابن هرقـل ، بطعنـة رمـح صوبها إليه ساربيدون ، ابن زوس . وقبل أن يقتـل تليبـوليم أصـاب خصمـه بجـرح في فخـذه . وبـالكـاد استطـاع أصـدقاء ساربيدون إخلاءه من أرض المعركة . دون أن يتمكنوا من نزع الرمح من جرحه . وحين رأى ساربيدون هكتور يمر بالقرب منه راح يتوسل إليه أن يدحر اليونانيين . ومن جديـد دخـل هكتـور غمار المعـركـة ، فجندل الكثير من الأبطال برمحه . وزاد الطرواديون من تضييق الخناق على اليونانيين .

وحـين رأت الـربـة هيرا ذلـك نادت الـربـة أثينـا ، وبـدأت تتسلح بسرعة للذهاب إلى المعركة لكبح جماح أريس . وقد ربطت الربتان ، بمساعدة الربة هيبة الجيـاد إلى المـركبـة الـرائعة ، وارتدت أثينا الدروع ، ووضعت على رأسها خوذتها الثقيلة ، وصعـدت ، والـرمـح في يدهـا إلى مركبـة الـربـة هيرا ، ثم ساقت الجياد بسـرعـة ، وحـين انطلقت الـربتان من على الأولمب العالي رأتا زوس ، الذي كان جالساً لوحده على تلة عالية ، أوقفت هيرا الجياد وقالت لزوس :

- هل يعقل أنك لست غاضباً يازوس من أريس الجامح ، الذي يقتل هذا العدد

الكبير من الأبطال؟ إنني أرى مدى غبطة أبولون وأفروديت بذلك. هل يعقل أنك ستغضب مني إذا ماكبحت جماح الإله أريس؟

فأجابها زوس، قاذف الصواعق، بقوله:

- اذهبي! دعي الربة المحاربة أثينا بالاس تتصدى لأريس. إن أحداً من الخالدين لايجاريها في إلحاق الأذية بأريس.

ساقت الربة هيرا الجياد بسرعة، إلى أن وصلت إلى حيث يلتقي النهران سيمويس واسكمندر، وهنا ترجلت الربتان من المركبة، وفكتا الجياد، ثم أثارتا غمامة سوداء من حولها. اتخذت هيرا هيئة ستينتور الرجل، ذي الصوت القوي، وراحت تهيب باليونانيين أن يقاتلوا الطرواديين برجولة. واقتربت أثينا بالاس من ديوميد، فوجدته يمسح الجرح الذي أصابه به بنداروس. وراحت أثينا بالاس تقرعه لأنه تقاعس عن خوض غمار القتال، ولأنه يخاف قتال الطرواديين، وذكرته بأن والده تيديوس المقاتل المجيد ماكان ليتصرف على هذا النحو. لكن ديوميد رد على الربة بقوله:

- كلا ياابنة زوس قاذف الصواعق، ياذات اللحاظ الفاتحة. لست أخاف قتال أبطال طروادة. ولست أذكر إلا أنك أمرتني بعدم منازلة الآلهة الخالدين.

وحينذاك قالت أثينا لديوميد:

- ألا ياابن تيديوس يامحظي أثينا، الآن لا تخش أريس ولا غيره من الآلهة. فلسوف أكون بنفسي إلى جانبك. فانطلق بسرعة، وقاتل أريس، فمنذ عهد غير بعيد كان قد وعد بمساعدة اليونانيين، لكنه الآن، الغادر، يساعد الطرواديين.

وقفت أثينا بالاس في مركبة ديوميد. وأن محور المركبة البلوطي تحت ثقل العربة. وساقت أثينا الجياد، وأريس لايراها، فوصلت إليه في اللحظة التي كان ينزع فيها الدروع عن البطل بيرثانتوس الميت. حين رأى أريس ديوميد، الواقف

قرب أثينا رماه بالرمح . لكن أثينا أبعدت الرمح ، فطاشت الطعنة . ضاعفت أثينا قوة ديوميد عشر مرات ، فأصاب أريس برمحه ، ثم سحب الرمح من الجرح ، وأطلق أريس صيحة هائلة لكأن عشرة آلاف مقاتل صاحوا دفعة واحدة . اقشعرت أبدان الطرواديين واليونانيين من هول هذه الصرخة . وعلى جناح السرعة صعد أريس العاصف إلى الأولمب مجللاً بالسحب السوداء . وهناك جلس قرب زوس ، وراح يشكوله من أثينا بالاس لأنها ساعدت ديوميد على جرحه . ونظر زوس إلى ابنه نظرة فظيعة . كان زوس يكره ابنه بسبب حبه للمعارك الدامية . توقف أريس عن تذمره . واستدعى زوس طبيب الآلهة ، الذي شفى جرح أريس بسرعة . أما هيبة فقد غسلت أريس وألبسته الثياب الفاخرة . وإلى الأولمب المشرق عادت الربتان هيرا وأثينا .

وعند أسوار طروادة كانت المعركة لاتزال تدور . ومن جديد عاد اليونانيون يضيقون الخناق على الطرواديين . وإذ رأى العراف هيلينوس أن الهزيمة الماحقة وشيكة راح يتوسل إلى هكتور، ذي الخوذة الساطعة ، وإناس أن يشجعا الطرواديين ، وأن يسرعا إلى طروادة ، ويسترضيا الربة أثينا بالهبات السخية . سمع هكتور كلام أخيه ، وراح يشجع الطرواديين من جديد ، فاستطاعوا صد هجوم اليونانيين .

هكتور في طروادة ، وداع هكتور وأندروماك[٣٧] :

وفي هذا الوقت دخل هكتور طروادة عبر بوابة سكيس . وعلى الفور أحاط به النساء والأطفال ، وراحوا يسألونه عن الأزواج والآباء . لكن هكتور لم يقل لهم شيئاً إلا أن يصلوا لآلهة الأولمب . وأسرع هكتور إلى قصر بريام . وفي القصر التقته أمه هيكوبه ، وهمت بأن تجلب له النبيذ لكي يسترد قواه ، لكن هيكتور رفض

ذلـك. وطلب من أمـه أن تستـدعي الطروادیات لكي یسرعن بتقدیم غطاء فاخر للربة أثینا بالاس، ولكي یقدمن للربة القرابین السخیة، ویتوسلن إلیها أن تكبح جماح دیـومیـد الهـائـج. نفـذت هیكوبة طلب ابنها على الفور، أما هو فقد أسرع قاصداً باریس.

كان باریس یتفحص سلاحه بهدوء، وكانت هیلین قد وزعت العمل على الخادمات. وراح هكتور یلوم باریس لأنه یجلس في البیت وادعاً، في الوقت الذي یتهـدد الهـلاك جمیـع الطـروادیین. ورد باریس على هكتور بأنه یستعد للمعركة. وخاطبت هیلین هكتور بكلمات الترحیب، ورجته أن یجلس، ویرتاح من اجتراح المـآثـر، أمـا زوجها باریس فقد راحت تلومه على تقاعسه. كما أعربت هیلین عن ندمهـا، لأنهـا جرت على طروادة هذه المحن والمصائب الكثیرة. رفض هكتور أن یرتـاح في دار باریس، فقـد كان على عجـل لرؤ یـة زوجتـه وولده. لم یكن هكتور یعـرف إن كان سیتمكن من رؤ یـة زوجتـه وولـده مرة أخرى. وهل سیعود حیاً من المعركة، أم أن الآلهة قد كتبت علیه أن یلاقي حتفه على ید الیونانیین.

ذهب هكتور إلى قصره، لكن الخادمات أخبرنه أن زوجته ما إن عرفت أن الیـونـانیـین یضیقـون الخنـاق على الطـروادیین حتى هرعت مع ولدها إلى أسوار المدینة، حیث تقف هناك، تذرف الدمع.

انطلق هكتـور من القصـر، وأسـرع باتجاه بوابة سكیس. وعند البوابة تماماً التقى أندروماك، ومن خلفها كانت الخادمة تحمل طفلها أستیاناكس، الذي كان رائعاً كنجمة الصبح. أخذت أندروماك هكتور من یده، وقالت له وهي تبكي:

- آه یازوجي! لسوف تقودك بسالتك إلى التهلكة. إنك لاتشفق لا علي ولا على ولـدنـا. لسوف أصبح أرملة عما قریب، فسوف یقتلك الیونانیون. الأفضل لي أن لا أعیش بدونك یاهكتور، فلیس لدي أحد غیرك. إنك كل شيء بالنسبة لي - الأب والأم والزوج. هلا رثیت لي ولولدنا! لاتذهب للقتال.

فرد هكتور، ذو الخوذة الساطعة، على زوجته بقوله :

- أي عار كان سيحيق بي لو بقيت وراء أسوار طروادة، وتقاعست عن خوض المعركة. كلا، إن علي أن أقاتل في مقدمة الجميع تخليداً لمجد أبي. إنني أعرف جيداً أنه سيحل ذلك اليوم الذي سيشهد هلاك طروادة المقدسة. لكن ليس هذا مايحزنني، بل إن مايثير حزني هو ماذا سيحل بك أنت، وأن أحد اليونانيين سيأخذك أسيرة، وهناك في الغربة ستجبرين، وأنت الأمة، على الحياكة للغريبة وتقديم الماء لها. ولسوف يقولون، إذ يرونك باكية : «هذه زوجة هكتور، الذي بز جميع الأبطال الطرواديين قوة وبسالة»، فيزداد بذلك حزني. كلا، الأفضل أن أقتل قبل أن أراهم يأخذونك أسيرة، قبل أن أسمع بكاءك.

اقترب هكتور، بعد أن قال ذلك، من ابنه، وهم بعناقه، لكن استياناكس الصغير التصق بصدر المربية وهو يصرخ، فقد خاف من عرف الحصان، الذي يرفرف على خوذة هكتور. ابتسم هكتور وأندروماك للطفل بلطف، ونزع هكتور الخوذة، ووضعها على الأرض، ثم حمل استياناكس بين ذراعيه وقبله. رفع هكتور ولده عالياً نحو السماء، ثم راح يصلي لزوس، قاذف الصواعق، ولجميع الآلهة الخالدين :

- ألا يازوس، وأنتم أيها الآلهة الخالدون، أتوسل إليكم أن يكون ولدي مشهوراً بين المواطنين شهرتي أنا، وليكن جباراً، وليحكم في طروادة، وليقولوا عنه حين يرونه عائداً من المعركة أنه يبز أباه رجولة. وليكن نعمة لأمه ونقمة على أعدائه.

هكذا صلى هكتور للآلهة. ومن ثم ناول استياناكس لزوجته. ضمت أندروماك ابنها إلى صدرها، وابتسمت له من خلال الدموع. رق قلب هكتور، فعانق أندروماك بحنان، وقال لها :

- لاتحزني هكذا ياأندروماك، فلا مفر من القدر لأحد، لا للباسل ولا

للجبان. اذهبي ياحبيبتي إلى البيت، وانصرفي إلى الحياكة والغزل، ومراقبة الخادمات. أما نحن الرجال فسوف نهتم بالشؤون الحربية، وسأكون أنا الأكثر اهتماماً بها.

ارتدى هكتور خوذته، وسار على عجل نحو بوابة سكيس. أما أندروماك فقد سارت باتجاه البيت، وهي لاتكف تتلفت، وتنظر من خلال الدموع إلى هكتور وهو يبتعد. وحين وصلت إلى البيت باكية بكت معها خادماتها جميعهن: فلم يكن الأمل يراودهن بعودة هكتور من المعركة إلى البيت سالماً.

عند بوابة سكيس لحق باريس بهكتور. كان مسرعاً إلى القتال والدروع النحاسية تسطع عليه.

استمرار المعركة. مبارزة هكتور وأجاكس[٣٨]:

خرج هكتور وباريس من بوابة سكيس سوية. وقد فرح الطرواديون حين رأوا كلا البطلين. فارتفعت روحهم المعنوية من جديد، واشتد وطيس القتال. وقد جندل هكتور وباريس وغلوكوس العديد من الأبطال. وبدأ اليونانيون يتقهقرون. وما إن رأت أثينا ذلك حتى انطلقت نحو طروادة المقدسة. وقد التقى الإله أبولون بأثينا، المنطلقة من الأولمب، عند شجرة البلوط العتيقة، النامية عند طرف الحقل. وسأل أبولون الربة أثينا إذا كانت مسرعة لمساعدة اليونانيين، وأقنعها بأن تساعده في وقف القتال. وافقت أثينا. وقرر الإلهان من أجل وقف القتال أن يوحيا لهكتور أن يتحدى أمجد أبطال اليونان لمنازلته. وما إن قررا ذلك حتى نقل قرارهما العراف هيلينوس، ابن بريام، فدنا من أخيه هكتور، ونصحه أن ينازل البطل اليوناني. وكشف هيلينوس لأخيه أنه سمع صوت سكان السماء،

الذين أمروا بالتصرف على هذا النحو، وأن قدر هكتور ليس الهلاك في هذا النزال.

أوقف هكتور القتال في الحال، بإيقاف الطرواديين، وعلى غراره تصرف أغاممنون. جلس المحاربون على الأرض، وقد أضناهم القتال. أما أثينا بالاس وأبولون فقد حلقا كأنهما نسران جارحان، وحطا على البلوطة العتيقة، وراحا ينظران إلى جيوش الطرواديين واليونانيين. نادى هكتور بصوت عال واحداً من الأبطال اليونانيين لمنازلته. وقد وعد بعدم التمثيل بجثة القتيل، وعدم نزع الدروع عنه، وطالب بالمعاملة بالمثل في حال انتصار البطل اليوناني عليه. استمع اليونانيون لكلام هكتور. لكنهم صمتوا جميعاً. فلم يجرؤ أي منهم على منازلته، مما أثار استياء مينيلاوس من اليونانيين، وهم أن ينازل هكتور بنفسه، لكن أغاممنون منعه: كان يخاف أن يلقى أخوه حتفه على يدي هكتور، الذي كان أخيل نفسه يخاف منازلته. كما راح الشيخ نسطور يوبخ اليونانيين. وللحال اندفع إلى الأمام تسعة أبطال: الملك أغاممنون، ديوميد، أجاكس الكبير والصغير، ايدومينيوس، ميريون، ايغريبيل، ثاونتوس وأوديسيوس. وبناء على نصيحة نسطور قرروا رمي القرعة بين الأبطال. فوقعت القرعة على أجاكس.

فرح أجاكس، وارتدى دروعه، ثم تقدم إلى الأمام إلى مكان المبارزة. كان يسير كما إله الحرب أريس، ضخماً، قوياً، ورهيباً. وكان يحمل أمامه ترساً من النحاس، كبيراً كالبرج، وهو يلوح برمحه الثقيل. ذعر الطرواديون لدى رؤية أجاكس، ودب الذعر في صدر هكتور. وجه المقاتلان، أحدهما إلى الآخر نظرة رهيبة. كان هكتور أول من رمى الرمح، لكنه لم يخترق درع أجاكس. وبدوره قذف أجاكس رمحه، فاخترق ترس هكتور، وثقب دروعه، ومزق قميصه الداخلي. ولم ينقذه من الهلاك إلا أنه قفز جانباً. انتزع البطلان رمحيهما، واشتبكا من جديد. ومن جديد ضرب هكتور رمحه بترس تيلامونيد، فانثنى سنان رمحه.

أما أجاكس فقد اخترق ترس هكتور من جديد، وأصابه بجرح طفيف في عنقه . لكن هكتور لم يوقف القتال، بل تناول حجراً ضخماً، وألقاه على ترس أجاكس، فقرقع النحاس، الذي يغطي الترس الضخم. وبدوره تناول أجاكس حجراً أثقل، وقذفه بقوة في ترس هكتور، فانكسر الترس، وأصيب هكتور بجرح في رجله . سقط هكتور على الأرض، لكن الإله أبولون رفعه بسرعة . ومد البطلان يديهما إلى سيفيهما، وكان من شأنهما أن يقطعا بعضهما لو لم يصل المناديان في الوقت المناسب، ويفرقا بينهما بوضع الصولجان بينهما .

وصاح المناديان :

- أوقفا القتال أيها البطلان . إننا نرى أنكما محاربان عظيمان، وأن زوس يحبكما بالتساوي، إن الليل يخيم، والجميع بحاجة إلى الراحة .

وقال أجاكس مخاطباً منادي الطرواديين :

- أيها المنادي، إن ماتفوهت به كان يجب أن يقوله هكتور نفسه : فهو الذي دعا إلى المبارزة، إنني مستعد لوقف القتال إذا كان يرغب في ذلك .

وللحال رد هكتور على أجاكس :

- لقد وهبك الآلهة ياتيلامونيد القامة الطويلة . والقوة والعقل، فأنت أوسع أبطال اليونان شهرة . لننه مبارزتنا لهذا اليوم . وبوسعنا أن نلتقي في ساح الوغى من جديد. لكن ليكرم أحدنا الآخر - ونحن نفترق - بهدية، تذكاراً عن مبارزتنا . فليتذكر مقاتلو طروادة واليونان أن البطلين قاتلا بعضهما، وهما يتقدان عداوة ضد بعضهما، لكنهما افترقا متصالحين، كأنهما صديقان .

قال هيكتور ذلك، ثم نزع سيفه، المزدان بالفضة، وناوله لأجاكس، أما أجاكس فأهدى هكتور نطاقاً أرجوانياً من الأحجار الكريمة. هكذا انتهى نزال البطلين. وقد أقام الملك أغاممنون مأدبة على شرف أجاكس، دعا إليها جميع الزعماء .

حينما انتهت المأدبة نصح الشيخ نسطور الزعماء اليونانيين بالتوقف عن القتال ليوم واحد من أجل دفن الأبطال، الذين استشهدوا، وبناء سور ذي أبراج من حول المعسكر والسفن، لكي يكون هذا السور حماية لليونانيين. وافق الزعماء على نصيحة نسطور، ثم تفرقوا على خيامهم بانتظار الصباح.

وبدورهم عقد الطرواديون مجلساً ضم زعماءهم. وفي هذا المجلس اقترح أنطينور تسليم اليونانيين هيلين الحسناء والكنوز المنهوبة. لكن باريس لم يرغب في تسليم هيلين، ولم يوافق إلا على تسليم الكنوز لمينيلاوس، مضيفاً إليها بعض الهدايا منه. واقترح الملك بريام أن يبعثوا عند الصباح رسولاً إلى اليونانيين ينقل إليهم اقتراح باريس، فإن لم يوافق اليونانيون تابعوا القتال حتى يعطي الآلهة النصر المؤزر لهذا الجانب أو ذاك. وافق الطرواديون على اقتراح بريام، ومع حلول الصباح بعثوا برسولهم إلى اليونانيين، لكن هؤلاء رفضوا اقتراح باريس، ولم يوافقوا إلا على وقف القتال ليوم واحد من أجل دفن القتلى.

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، حين بدأ الطرواديون واليونانيون دفن قتلاهم. كانوا ينقلون الجثث إلى المحارق، ثم يحرقونها. ومن ثم شيد اليونانيون خلال يوم واحد سوراً عالياً، ذا أبراج من حول المعسكر، وحفروا أمامه خندقاً عميقاً. حتى آلهة الأولمب، دهشت من عمل اليونانيين هذا. وحده الإله بوزيدون غضب على اليونانيين لأنهم لم يقدموا القرابين للآلهة وهم يبنون السور.

أما اليونانيون فما إن أنجزوا العمل حتى بدأوا يجهزون طعام العشاء، وفي هذا الوقت وصلت المراكب، تقل المحاربين من ليمنوس. فرح اليونانيون وأراقوا النبيذ بسرعة، وبدأ الاحتفال في المعسكر. لم يجرؤ أي من اليونانيين على الشرب قبل أن يريق الخمرة على شرف زوس الرهيب. أخيراً خيم سلطان الكرى على معسكر اليونانيين كله.

انتصار الطروادين[٣٩] :

في الصباح الباكر ومع صعود إيوس، ربة الفجر إلى السماء، جمع زوس، قاذف الصواعق، الآلهة على الأولمب وقال لهم :

- اصغوا إلي أيها الآلهة الخالدون. لايتجاسرن أحد منكم اليوم على النزول من الأولمب العالي لنجدة اليونانيين أو الطرواديين ومن لايمتثل لذلك سأرميه في هوة التارتار السحيقة، لكي يعرف كم أنا أقوى من الآلهة الخالدين.

أصابت كلمة زوس الرهيبة الآلهة بالخوف، وردت الربة أثينا على زوس بقولها :

- إننا نعرف جميعاً ياقاذف الصواعق العظيم أن قوتك لاحدود لها، ومع ذلك فنحن جميعاً نتأسى لليونانيين. فهل يعقل أن الهلاك سيحيق بهم؟

فأجابها زوس :

- ليس في نيتي ياابنتي أن أهلك جميع اليونانيين.

قال زوس ذلك ثم ربط الجياد ذات الأعراف الذهبية إلى المركبة، وأخذ في يده الصولجان الذهبي، وصعد إلى المركبة، ثم ساق الجياد بسرعة، فانطلقت بين السماء والأرض. نحو إيدا[٤٠] الشاهق. وهناك جلس زوس على قمة الجبل، وراح يراقب اليونانيين والطرواديين وهم يستعدون للمعركة.

تقدم الجيشان عبر السهل، والتحما بسرعة. ويدأ القتال الضاري من جديد. وعند حلول الظهيرة أخذ زوس الميزان الذهبي ووزن في كفتيه حظ الطرواديين واليونانيين. فارتفعت إلى السماء كفة الطرواديين، مما يبشر بنصرهم، أما كفة اليونانيين فقد هوت حتى لامست الأرض، مما ينذر بهلاك الكثيرين منهم. وتردد هزيم رعد زوس من على إيدا، وأرسل برقه الساطع على جيش

اليـونـانيـين، فدب الـذعر في صفوف المحاربين، ولاذوا كلهم بالفرار، ليحتموا خلف أسوار المعسكر. ولم يبق في الميدان إلا نسطور، وكان أحد جياده قد أصيب بسهم أطلقه باريس، فشب الجواد عالياً. وفي هذه الأثناء كان هكتور يقترب منه على متن مركبتـه. وكـان هلاك الشيـخ نسطور محققاً لو لم يصل ديوميد لنجدته في الـوقت المنـاسب. أخـذ ديـوميد نسطور إلى مركبته، ثم انطلق لمواجهة هكتور. قذف ديـوميـد هكتـور برمحه، لكن الطعنة طاشت، واندفعت جياد هكتور جانباً. وربـما كان من شأن اليـونـانيين الفارين أن يتوقفوا لو أنهم رأوا ديوميد، لكن زوس قذف برقه الساطع أمام جياد ديوميد، فخافت من وميض البرق وتراجعت. وراح نسطور يحاول إقناع ديوميد بترك ميدان القتال، لأن زوس لايبشره بالنصر. سخر هكتـور من ديـوميـد، الـذي لاذ بالفرار. ثلاث مرات هم ديوميد بالعودة. وثلاث مرات تردد هزيم رعـد زوس. وأدرك هكتـور أن زوس يبشـر برعـوده الطـرواديين بالنصر، فراح يشجعهم على مطاردة اليونانيين وحرق مراكبهم، بعد اختراق معسكرهم.

أصبحت المعركة تدور الآن عند السور المحيط بمعسكر اليونانيين. وأوحت هيرا لأغـاممنـون بفكـرة تشجيع اليونانيين. فوقف على مركب أوديسيوس، وراح يهيب بالمقـاتلين أن يدافعـوا برجـولـة. كما راح أغـاممنـون يتوسل لزوس أن يرسل النجـدة لليـونـانيـين، ولايتركهم يهلكون، على أيدي الطرواديين. قويت شوكة اليـونـانيين، واستطاعوا صد الطرواديين. وكان الملك ديوميد أكثرهـم بسالة: فقد جندل العديد من الأبطال الطرواديين، والأبطال اليونانيون الآخرون قاتلوا ببسالة.

ومن جديـد أثـار زوس البسـالـة لدى الطـرواديـين، فضيقوا الخناق على اليـونـانيـين، وأوصلوهم حتى مراكبهم. كان هكتور ينتقل بين الصفوف، فيدب الـرعب فيهـا. ورثت هيرا لحال اليـونـانيين، وطلبت من أثينا أن تهب لنجدتهم.

ومن على إيدا العالي رأى زوس الربتين المسرعتين. فأرسل، وقد تملكه السخط، إيريس لإيقافهما، مهدداً إياهما بغضبه. خافت الربتان، أثينا وهيرا، غضب زوس، وعادتا إلى الأولب حزينتين. وعلى تهديد زوس ردت هيرا بأنهما ترثيان لحال اليونانيين. فقال زوس لهيرا أن الطرواديين سيستمرون في تحقيق النصر على اليونانيين إلى أن يتصالح أغاممنون مع أخيل، ويرسل له الهبات السخية عما ألحق به من إهانة.

خيم الليل على الأرض، وتوقفت المعركة الدامية، لكن الطراوديين لم يعودوا إلى طروادة المقدسة، وبقوا لقضاء الليل في السهل. كان هكتور يأمل في أن يتمكن في اليوم التالي من تحقيق النصر المؤزر على اليونانيين وطردهم من طروادة. أشعل الطرواديون الكثير من النيران في السهل.

أغاممنون يحاول مصالحة أخيل[٤١]:

أرسل أغاممنون، المستاء من انتصار الطرواديين، المنادين لدعوة الزعماء إلى المجلس. وفي اجتماع الزعماء راح أغاممنون يتحدث عن أنهم مضطرون الآن للهرب من طروادة إلى اليونان، لأن هذه إرادة زوس. لكن ديوميد رد على أغاممنون غاضباً بأن الزعماء باقون، وسوف يستمرون في القتال إلى أن يستولوا على طروادة، وبدوره لم ينصح نسطور بالهرب، بل اقترح الشيخ على أغاممنون إقامة احتفال تناقش فيه الأمور.

وفي أثناء الاحتفال نصح نسطور أغاممنون بمصالحة أخيل. وقد وافق أغاممنون على ذلك، وأعلن للزعماء أنه سيغدق الهبات على أخيل، ويعيد إليه بريسيدا، وحينما يعود الجميع إلى الوطن منتصرين سوف يزوج أخيل بإحدى بناته، ويعطيه الكثير من المدن الغنية مهراً لها. بارك الزعماء قرار أغاممنون، واتفقوا

على إرسال أجاكس تيلامونيد، أوديسيوس وفينيكوس للتفاوض مع أخيل. فقد كان أخيل يكن الحب لهؤلاء الأبطال بشكل خاص، وقد زود نسطور الموفدين الثلاثة بالكثير من الوصايا.

حين وصل رسل أغاممنون إلى أخيل وجدوه يعزف على القيثارة، يتغنى بمجد الأبطال، وإلى جانب أخيل كان يجلس صديقه باتروكليس. استقبل أخيل الأبطال بالترحاب، وأعد لهم مأدبة عامرة. وبعد أن شبعوا وجه أوديسيوس كلامه لابن بيلياس محاولاً إقناعه بمصالحة أغاممنون. وحدثه أوديسيوس كيف يضيق الطرواديون بقيادة هكتور الخناق على اليونانيين. وعدد أوديسيوس تلك الهبات التي يعد بها أغاممنون علامة الصلح. لكن أخيل رفض مصالحة ملك ميسين، فهو لم يستطع نسيان الإهانة التي ألحقها به أغاممنون. كان أخيل متشبثاً بقراره، وحتى أنه هدد بالإبحار إلى فثيا. لكن فينيكسوس، المتألم لحالة اليونانيين، استمر يحاول إقناع أخيل بالمصالحة. ولم يرد أخيل على فينيكسوس بشيء. وقام أجاكس بالمحاولة الأخيرة لإقناع أخيل، لكن هذا ظل على عناده، ولم يقل إلا أنه لن يدخل القتال ضد هكتور إلا بعد أن يحرق الطرواديون مراكب اليونانيين، ويصلوا إلى مراكبه وخيمته.

غادر أجاكس وأوديسيوس صامتين. أما فينيكسوس فقد بقي عند أخيل. وعند وصول البطلين إلى أغاممنون نقلا رد أخيل إلى الزعماء. وقد أصغى إليهما الزعماء في صمت مطبق. واقترح ديوميد، بعد أن أكلوا وشربوا، أن يخلدوا للنوم لكي يستأنفوا القتال في اليوم التالي.

المعركة عند معسكر الآخيين[٤٢]:

ما إن توهج الشرق بتباشير الصباح الأولى حتى أرسل زوس الربة

إيـريس[٤٣] إلى معسكـر اليـونـانيـين. وقفت الـربة على متن مركب أوديسيوس، وراحت تصيـح بصـوت عال فظيـع، وتثـير التعطش الجـامـح للحرب لدى جميع المقاتلين. وبدوره راح أغاممنون المتسربل بالدروع الفاخرة، يشجع الأبطال على القتال، وهويلوح بالرمح الهائل. اندفع اليونانيون إلى القتال مشاة، فتصدى لهم الطـرواديون ببسالة، وكان هكتور يبزّهـم جميعاً بمآثره. كان المقاتلون يندفعون عبر ميـدان القتـال كالـذئـاب الضـارية. أما الآلهة فقد ابتعدوا إلى الأولمب، وبقوا في قصـورهم، وهم يشكـون من مسـاعـدة زوس للطرواديين. وأما زوس فكان ينظر إلى القتـال فرحـاً. كان الملك أغـاممنون أكثر من فظّع في هذه المعركة. فقد جندل العـديـد من الأبطـال برمحـه الثقيـل. وكـما تلتهم النار الغابة، وتتداعى الأشجار تحطمها العاصفة النارية، كان ابن تريوس يجندل الأبطال الطرواديين، الواحد تلو الآخـر. وكـانت المـركبـات تندفع عبر ميدان القتال بصوت كهزيم الرعد، ومن عليهـا كان أغـاممنـون يجنـدل الأبطـال، فيتسـاقطـون وقـد فارقوا الحياة. اختلت صفوف الطرواديين، ولاذوا بالفرار، لكنهم توقفوا عند بوابة سكيس.

وحين رأى زوس، قاذف الصواعق، هرب الطرواديين أمر الربة إيريس بأن تسرع إلى هكتور، وتخبره بأن لايدخل المعركة إلا حين يرى أن أغاممنون جريح، وأن زوس سيهبـه القـوة فيـدفـع باليـونـانيـين حتى مراكبهم. نفذت إيريس إرادة زوس. وقفـز هكتـور من مركبتـه، وراح يشجع الطرواديين. وفي هذا الوقت كان أغـاممنـون لايـزال يجنـدل الأبطال الطرواديين، واحداً إثر آخر. لكن كوون جرح أغـاممنـون في ذراعـه، فضربه ملك ميسين بسيفه ضربة أطاحت برأسه، فوقع ابن أنطينور البكر ميتاً. لكن أغاممنون لم يستطع متابعة القتال: كان ألم جرحه فظيعاً، فغادر ميدان القتال.

حين رأى هكتـور أن أغـاممنـون رحـل في مركبتـه راح يصـرخ بصـوت عال مشجعـاً المقـاتلين، وانـدفـع بنفســه، لخوض غمار القتـال. فجنـدل الكثـير من

الأبطال، وأصبح اليونانيون مهددين بالهلاك. لكن أوديسيوس استنجد بديوميد، فصد البطلان هجمة الطرواديين. وأصاب باريس ديوميد بسهمه، وشعر بالغبطة. أما ديوميد فقد انتزع السهم من الجرح، بعد أن غطاه أوديسيوس بترسه، لكنه لم يستطع استئناف القتال، فغادر الميدان.

في هذا الوقت أحاط الطرواديون بأوديسيوس، الذي كان يقف وهو يصد مهاجميه برمحه. وقد سقط الكثيرون من أبطال طروادة برمحه، بمن فيهم هاروبوس، شقيق الملك سوكوس. وانتقاماً لموت أخيه طعن سوكوس أوديسيوس في ترسه فثقب الترس، وجرح أوديسيوس في خاصرته، لكن أوديسيوس استطاع، حتى وهو جريح، أن يهزم سوكوس، الذي ولى الأدبار، وأن يقتله بطعنة رمح في ظهره، أثناء فراره، وبعد أن قتل سوكوس انتزع أوديسيوس الرمح من جرحه هو، فتدفق الدم الساخن غزيراً. هرع أجاكس إليه، وغطاه بترسه الضخم. أما مينيلاوس فقد أخرج أوديسيوس من قلب المعركة إلى العربة، وغادر أوديسيوس ميدان القتال.

ظلت المعركة تدور. ولم يستطع الطرواديون اجتياز الخندق والاستيلاء على السور، الذي كان يحتمي اليونانيون خلفه. وهم هكتور بالقفز فوق الخندق، في مركبته، لكن جياده اندفعت جانباً. وحينذاك توزع الطرواديون، بناء على نصيحة البطل بوليدامانت[44] على خمس فرق كبيرة، وتقدموا للاقتحام بقيادة زعمائهم. راح زعماء الطرواديين يقاتلون مشاة، بعد أن تركوا مركباتهم عند الخندق.

أثار قاذف الصواعق زوس عاصفة هوجاء. انقضت أعمدة الغبار على مراكب اليونانيين. وقد دافع اليونانيون عن السور ببسالة، على الرغم من العاصفة، وراح الطرواديون ينتزعون زوائد السور ويهزون الأخشاب، التي تسند الأبراج، بهدف تقويضها. استقبل اليونانيون المهاجمين بالأحجار والسهام

والرماح. وحينذاك تناول هكتور حجراً ضخماً، لايقوى على رفعه - إلا بالكاد - رجلان قويان، مسلحان بالعتلات. ثم قذف البوابة به. لم تصمد للضربة لا البوابة ولا الرتاج الضخم، فتحطما. وعبر البوابة اندفع هكتور إلى المعسكر. واندفع الطرواديون من خلفه. وهكذا تم الاستيلاء على السور بالهجوم. وقد لاذ اليونانيون بالفرار، وجروا باتجاه مراكبهم.

المعركة عند المراكب(٤٥):

بدأت المعركة عند المراكب مباشرة. ولم يعد زوس يراقب المعركة لأنه كان على ثقة بأن أياً من الآلهة لن يجرؤ على مساعدة اليونانيين. وإذ رأى الإله بوزيدون ذلك نزل بسرعة عن جبال تراقيا، حيث كان يراقب مجرى القتال، قاصداً قصره، فكانت الجبال تهتز تحت وقع أقدامه. وصل بوزيدون إلى قصره، وربط الجياد إلى المركبة، ثم انطلق عبر أمواج البحر قاصداً طروادة، انطلقت الجياد كالعاصفة، لاتلامس أمواج البحر، فوصل بوزيدون طروادة بعد وقت قصير. ترك بوزيدون جياده مع المركبة في كهف واسع على شاطيء البحر، بعد أن ربط قوائمها بسلاسل ذهبية. وبعد أن تجلى في هيئة كالخاس لأجاكس الكبير والصغير راح يحثهما على خوض القتال. وقد بث فيهما قوة كبيرة بأن لامسهما بصوبجانه. وأدرك البطلان كلاهما أن الاله هو الذي تحدث معهما في هيئة كالخاس، فاندفعا يخوضان غمار القتال وهما أكثر بسالة وإقداماً. طاف بوزيدون صفوف اليونانيين، وهو يحث الجميع على القتال ببسالة. أحاطت صفوف المقاتلين بأجاكس الكبير والصغير، ترساً لترس وخوذة لخوذة، وقد أشهروا الرماح بانتظار الطرواديين، وبين مواطني طروادة كان هكتور يستعد للهجوم.

وكما يتدحرج الحجر الثقيل من على ذرى الجبل، وقد انفصل عن

الصخرة، وهو يحطم كل ما في طريقه، كذلك اندفع هكتور، حاملاً رمحه ودرعه نحو صفوف اليونانيين، لكنه توقف أمام الصفوف المغلقة، وراح يحث الطرواديين على خرق صفوف المقاتلين اليونانيين. دارت معركة طاحنة.

كان هكتور يقاتل هناك حيث يدافع أجاكس الكبير والصغير عن المراكب، كانا يقاتلان بعناد، وهما يقفان جنباً إلى جنب، ومن حولهما كان يقتتل الكثير من المحاربين. ومن خلفهم كان اللوكريون، المسلحون بالأقواس والمقاليع يرمون المهاجمين بزخات من السهام. وكان الطرواديون على وشك أن يلوذوا بالفرار، لكن البطل بوليدامانت نصح هكتور بأن يستنجد بأشهر الأبطال، ويقرر هل ينقضوا على مراكب اليونانيين، أو يتراجعوا. وذهب هكتور لدعوة الأبطال، لكنه لم يعثر على الكثيرين منهم، بعضهم كان راقداً، وقد لقي حتفه عند مراكب اليونانيين، وبعضهم الآخر انسحب من المعركة، بعد أن أصيب بالجراح. وحده باريس كان يصد هجمات اليونانيين. وراح هكتور يلوم باريس، لكن هذا اللوم لم يكن في محله، فقد كان باريس يقاتل ببسالة، ولا جريرة لباريس في أن الكثيرين جرحى، والأكثر منهم قتلى. أهاب باريس بهكتور أن يقود الطرواديين إلى القتال. وكما العاصفة هب الطرواديون للقتال، لكن اليونانيين لم يخشوا زحفهم. رأى أجاكس تيلامونيد هكتور فدعاه للاقتراب أكثر من صفوف المقاتلين اليونانيين. وفوق رأس أجاكس ظهر نسر يحلق، فصاح اليونانيون فرحاً، إذ رأوا هذه الاشارة، لكن الطرواديين بقيادة هكتور انقضوا على اليونانيين، وهم يطلقون صراخاً رهيباً. ورد عليهم اليونانيون بصراخ مثله، فوصل صراخ المقاتلين إلى عنان السماء.

وهم أغاممنون بإصدار أوامره بإنزال المراكب، إلى الماء. لكن أوديسيوس نصحه بعدم القيام بذلك، لأنه كان يخاف أن اليونانيين سيفكرون، في حال إنزال المراكب، بالهرب أكثر من تفكيرهم بالقتال.

وفي هذا الــوقت قررت الـربـة هيرا . . وهي ترى ورطـة اليـونـانيـين ، أن تسـاعـدهم بالحيلة . فقـررت أن تسلط سلطـان الكرى على زوس ، وتمنح النصر لليونانيين أثناء نومه .

انطلقت الـربـة هيرا من على الأولب إلى ليمنـوس بسرعة ، وهناك عثرت على هيبنـوس ، إلـه النـوم . وقـد راودتـه هيرا طويلاً لجعل قاذف الصواعق ينام ، لكن هيبنوس ظل يرفض ، لأنه كان يخاف زوس ، وتمكنت هيرا أخيراً من إقناعه ، انطلقت هيرا مع الالـه هيبنـوس إلى قمة جبل إيدا على عجل . اختبأ هيبنوس ، خفيـة عن زوس ، على شجـرة شوح ضخمـة في هيئة طائر ذي تغريد عذب ، ثم جعله يروح في سبات عميق ، ومن ثم انطلق هيبنوس من على جبل إيدا الشاهق إلى بوزيدون ، مزلزل الأرض ، وأخبره أن زوس نائم . .

فرح بوزيــدون وضـاعف من حثـه اليـونـانيـين على القتـال . وقـد نسي أغـاممنـون ، ديـوميـد وأديسيـوس جراحهم ، وراحـوا ينظمـون صفـوف القـوات اليـونـانية . زحفت القوات بقيادة بوزيدون لملاقاة الطرواديين . هاج البحر وماج ، وتـلاطمت أمـواجـه فوصلت مراكب اليـونـانيـين وخيامهم . كأمواج البحر زحف اليـونـانيـون على الطـرواديـين . ومن جديـد بدأت المعركة الفظيعة . رمى هكتور أجـاكس برمحـه ، لكنـه لم يصبـه . أما أجاكس فقد أصاب هكتور بحجر ضخم في صدره ، فوقـع هكتـور على الأرض ، وسقـط الرمح من يديه ، وكان ترسه الضخم يسحبـه نحـو الأرض . انقض اليـونـانيون على هكتور ، لكن الأبطال الطرواديين حموا ابن بريـام ، وسحبـوه من الميدان . وضعوا هكتور ، الغائب عن الوعي ، على ضفـة نهر كسـانف ، وراحـوا يرشون وجهه بالماء ، تنهد هكتور بصوت عال ، وفتح عينيـه ، ثم نهض قليـلاً ، فانـدلق الـدم من فمـه . ومن جديـد سقط هكتور على قفـاه . فاقـد الـوعي . ازداد ضغـط اليـونـانيـين على الطـرواديين ، فازداد القتال

ضراوة. ولاذ الطرواديون بالفرار، ولم يتوقفوا إلا خلف الخندق المحيط بمعسكر اليونانيين.

في هذا الوقت استيقظ زوس على قمة إيدا. وقد تملكه الغضب الفظيع حين رأى الطرواديين الفارين يطاردهم اليونانيون بقيادة بوزيدون. راح زوس يوبخ هيرا، ويهددها بأن يعلقها بحبل ذهبي بين السماء والأرض، لأنها أقنعت بوزيدون بمساعدة اليونانيين. لكن هيرا أكدت لزوس، بعد أن أقسمت له يميناً فظيعاً، أن بوزيدون لايساعد اليونانيين بناء على نصيحتها. نادت هيرا الإله أبولون وإيريس رسولة الآلهة، وقالت لهما أن زوس يأمرهما بالذهاب إليه على قمة إيدا.

حين وصل أبولون وإيريس إلى إيدا أوعز زوس لإيريس بأن تطير إلى بوزيدون. وفي طرفة عين مثلت إيريس أمام بوزيدون، لم يكن بوزيدون يريد الرضوخ لإرادة أخيه. فقال أنه يعادل زوس قوة، وأن بوسع زوس أن يأمر أبناءه وبناته، وليس بمقدوره أن يأمره هو. غير أن بوزيدون رضخ في النهاية، وغادر ساح المعركة، وهو يهدد زوس بأنه إذا ما استمر في الرأفة بطروادة فإن العداء الأبدي سيبدأ بينه وبين زوس.

أما أبولون فقد أمره زوس بأخذ ترسه وإخافة اليونانيين به، كما أمره زوس بإعادة هكتور إلى قوته. وحين حط أبولون، مثل النسر، على الأرض قرب هكتور، بدأ هذا يسترد قواه فوراً، وقال له أبولون:

- قف ياهكتور. إنني الإله أبولون، أرسلني زوس لنجدتك. اذهب إلى القوات، واصدر إليها الأوامر بالهجوم على اليونانيين، ولسوف أكون في طليعة الطرواديين.

بث أبولون قوة جبارة في صدر هكتور. فنهض ومشى نحو الطرواديين. وفرح هؤلاء حين رأوا هكتور سليماً معافى. ودهش اليونانيون حين رأوا هكتور في

صفـوف خصـومهم من جديـد. توقف الطـرواديـون عن الفرار، وعادوا يضيقون الخنـاق على اليـونـانـيـين. وازدادت المعركة ضراوة وسفك دماء، أبدى اليونانيون بسالة نادرة في صد زحف الطرواديين، لكن فقط إلى أن لوح الإله أبولون بترس زوس. فاختلت صفـوف اليـونـانـيـين، ودب في نفوسهم الرعب، فلاذوا بالفرار. وطاردهم الطرواديون، ولم يتوقف اليونانيون إلا عند المراكب، وراحوا يستنجدون بالآلهة.

سمـع زوس توسـلاتهم، فتردد هزيم الـرعـد من السـماء، وقـد اعتـبر الطـرواديـون الـرعـد، فألا حسنـاً، فانقضـوا على اليـونـانيين كما الموجة البحرية العاتية، التي ترتفع فوق متن السفينة. وبدأت المعركة تدور عند المراكب مباشرة. كان أجاكس يقاتل بعناد.

حمى وطيس المعـركـة. وأقـام اليـونانيون سوراً من تروسهم النحاسية حول المراكب. كانوا يدافعون بجرأة. لكن هجوم الطرواديين كان يزداد ضراوة. وكان يبـدو أن القتـال يدور بين جيشـين بدآ المعـركـة للتو، لا بين جيشين أضناهما طول الحـرب. وكـما ينقض النسـر على الطيـور المهـاجرة كان هكتور يجندل اليونانيين. وهـاقـد قبض بيده على مؤخرة مركب بروتيزيلاس، وراح يصرخ بالطرواديين أن يعطـوه المشعـل ليضـرم النـار في المركب. حتى أجـاكس الجبـار نفسـه لم يستطع التصدي للزحف الضاري، وبالكاد راح يقاوم الطرواديين برمحه. دب الخدر في يد أجاكس اليسرى بسبب ثقل الترس، فبدأ يتقهقر. وبضربة من سيفه قطع هكتور المنـدفـع إلى الأمـام، سنـان رمـح أجـاكس، وأضـرم الطرواديون النار في مركب بروتيـزيـلاس، فراح يحترق من كل الجهات. كان يبدو أن الهلاك سيحل بجميع اليونانيين، لكن النجدة جاءتهم من حيث لم يكونوا ينتظرونها.

مآثر باتروكليس وموته(٤٦) :

حين اقتحم الطـرواديـون معسكـر اليـونانيين أسرع باتروكليس إلى خيمة أخيل، وهو يذرف الدمع الغزير، فسأله أخيل :

- ما بالـك تبكي ياباـتروكليس كالطفلة، التي تجري في أثر أمها، وتطلب منها أن تحملهـا؟ لعلك تلقيت أنبـاء سيئـة من فثيـا؟ أم لعلك تبكي لأن اليـونـانيـين يتساقطون لدى مراكبهم؟ اطلعني على سبب حزنك، ولاتخف عني شيئاً.

فرد عليه باتروكليس :

- آه ياابن بيلياس! مصيبة هائلة حلت باليونانيين، فقد جرح أكثرهم بسالة. هل يعقل أنك لن تساعد اليونانيين؟ إن كنت لاتريد مساعدتهم فدعني أذهب مع أصحـابـك الميرميدونيين، اعطني دروعك، فقد يعتقد الطرواديون أنني أنت، فيوقفوا القتال. فنصد الطرواديين عن المراكب بهذه القوة الجديدة.

كان باتروكليس يتوسل إلى أخيل، دون أن يخطر بباله أنه إنما يطلب الموت لنفسه.

كان أخيـل يرى مدى صعـوبـة وضـع اليـونانيين، ولم يكن يريد هلاكهم. وافق أخيـل على إعطـاء باتـروكليس سلاحـه، وسمـح له بدخـول المعـركة ضد الطـرواديـين، فقـط إذا ماتعـرضت مراكبه للخطـر، وحينـذاك سيكـون على باتروكليس أن يصد الطرواديين، ولايسمح لهم بإحراق المراكب. لكن أخيل حظر على باتـروكليس قيـادة المـير ميدونيين نحو أسوار طروادة : كان يخاف على صديقه المحبوب من الهلاك.

فجأة رأى أخيل أحد مراكبه يشتعل، بعد أن أضرم هكتور النار فيه، فصاح بغضب :

ـ اسـرع ياباتروكليس، إنني أرى أن اللهب ينتشر بين المراكب، تسلح بسرعة. ولسوف أقوم بنفسي بترتيب صفوف الميرميدونيين للقتال.

وعلى جناح السـرعـة تسلح باتروكليس بدروع أخيل، لكه لم يأخذ رمحه، فقد كان أخيل وحده القادر على الطعن بهذا الرمح لشدة ثقله. وربط الجياد إلى مركبة أخيـل سائسـه أوتـوميـدونت. أما أخيل فقد وضع الميرميدونيين في تراتيب القتـال، وراح يحثهم على اجـتراح المآثر، ويحرضـهـم على القتال ببسالة، لكي يدرك الملك أغـاممنـون كم كان مخطئاً حين أهـان أخيـل، أشهر أبطال الاغريق. انـدفـع المـيرميـدونيـون إلى القتال. وحين رأى الطرواديون باتروكليس في دروع أخيل ظنوه أخيل فعلاً، وأنه نسي خصامه مع أغاممنون، وهب لنجدة اليونانيين. وراحت فكرة الهرب تراود كل طروادي. أما باتروكليس فقد اندفع إلى حيث تدور المعـركـة على أشـدهـا، وراح يجنـدل برمحـه الطرواديين الذين كانوا يقاتلون عند مركب بروتيزيلاس. فتراجع الطرواديون خائفين.

لم يغادر الطرواديون المعسكر فوراً، بل اكتفوا بالابتعاد عن المراكب. لكنهم لم يصمـدوا في المعسكـر، فقـد راح الأبطـال اليـونانيون ينقضون عليهم كالذئاب الضارية. وأخيراً تراجع هكتور نفسه، فقد حملته الجياد بسرعة عبر الخندق إلى الميدان.

راح باتـروكليس، وهـو يحث اليونانيين على مطاردة الفارين، يسوق جياده على عجــل باتجـاه الخنـدق. كان باتـروكليس يبحث عن هكتـور، الـذي نجـا بجلده، وهو في مركبته. ارتفعت سحب الغبار فوق الميدان نتيجة فرار المقاتلين الطرواديين.

ساق باتـروكليس الطـرواديين حتى أسوار المدينة، كان يندفع للقاء حتفه. قتل باتروكليس العديد من الأبطال، وكان يمكن أن يستولي على طروادة لولا أن سارع أبـولـون، تنفيـذاً لمشيئـة زوس، إلى الـوقـوف على برج طروادة الشاهق.

ثلاث مرات حاول باتـروكليس تسلق الســور، وثلاث مرات صده أبولون. وحين اندفع باتروكليس للمرة الرابعة نحو السور صرخ به أبولون مهدداً:

ـ تراجع عن السور ياباتروكليس المقدام. فقدر طروادة أن يكون هدمها على يد أخيل، لا على يدك.

تراجـع باتـروكليس، دون أن يجرؤ على إثـارة سخـط الإله أبولون، الذي يصيب بنباله الذهبية على مسافة بعيدة.

لم يوقف هكتـور جيـاده إلا عنـد بوابة سكيس، كان متردداً هل يهجم على باتـروكليس، أم يأمـر الجميع بالاحتماء خلف أسوار طروادة. وهنا تجلى له أبولون في هيئـة شقيق هيكـوبـه، ونصحـه بالهجـوم على باتروكليس في الميدان الواسع. سمـع هكتـور النصيحـة، وأوعز لسائسه بأن يدير عنان الجياد. لم يكد باتروكليس يرى هكتـور في مركبتـه حتى وثب إلى الأرض، وحمـل حجـراً كبيراً بيده اليمنى، وراح يلوح برمحـه باليـد اليسـرى، وينتظـر اقـتراب خصمه. وحين أصبح هكتور قريباً منه رماه باتروكليس بالحجر، فأصاب به رأس السائس.

وثب هكتـور من المـركبة وبدأ القتال مع باتروكليس من أجل جثة سائسه، بدأت المعـركـة الطـاحنة. كان اليونانيون والطرواديون يقاتلون كما تصطخب ريح الشــرق وريـح الجنـوب في واد حراجي، حين تتـمايـل الأشجـار بصخب، وهي تصطدم بأغصان بعضها، ويتردد من حولك أنين أشجار البلوط والصنوبر والشوح المتكسـرة. استمـر قتـال اليونانيين والطرواديين طويلاً. وبدأت الشمس تميل إلى الغـروب. ثلاث مرات هاجم باتـروكليس الطـرواديـين، وفي كل مرة كان يجندل برمحه تسعة من أبطالهم، وحين انقض على الطرواديين للمرة الرابعة تصدى الإله أبولون له، وهو مسربل بالظلمة التامة. وقف خلف باتروكليس وضربه على ظهره وكتفيه، فأظلمت الدنيا في عيني باتروكليس. انتزع الإله أبولون الخوذة عن رأس باتروكليس، تلك الخوذة التي سبق لها أن تألقت على رأس بيلياس، وتدحرجت

الخوذة على الأرض. وانكسر رمح باتروكليس في يده، وسقط ترسه الثقيل على الأرض. وتجنباً للهلاك راح باتروكليس يتراجع نحو صفوف اليونانيين. لكن هكتور رآه فأصابه بطعنة رمح قاتلة. كان فرح ابن بريام لايوصف، فقد قتل صديق أخيل. الذي هدد بتدمير طروادة العظيمة. سقط باتروكليس على الأرض، وقال لهكتور وهو يحتضر:

- بوسعك الآن أن تفخر ياهكتور بنصرك، الذي حققته بمعونة زوس وأبولون. لقد غلبني الآلهة. هذا سهل على الآلهة، لكن لو أن عشرين من أمثالك هاجموني، إذن لجندلتكم جميعاً برمحي. تذكر ماسأقول لك: لم يبق لك من الحياة إلا القليل، والموت قاب قوسين منك لقد كتب القدر القاسي لك الموت على يد أخيل.

ما إن أنهى باتروكليس كلامه حتى أسلم الروح. وبكل هدوء طارت روحه إلى مملكة هادس الكئيب وهي تشكو من أنها فارقت جسداً شاباً قوياً. وصاح هكتور بالميت:

- لماذا تنذرني بالموت ياباتروكليس؟ من يعرف: فقد يفارق أخيل الحياة قبلي بطعنة من رمحي؟

انتزع هكتور رمحه من جثة باتروكليس، وانقض على أوتوميدون، بغية الاستيلاء على جياد أخيل.

القتال من أجل جثة باتروكليس[٤٧]:

رأى الملك مينيلاوس باتروكليس راقداً على الأرض، فاندفع إليه: لم يكن يريد أن يمثل الطرواديون بجثة البطل، الذي حارب من أجله. وكما الأسد المحصور راح يصول ويجول قرب باتروكليس، محتمياً بترسه، وملوحاً برمحه الثقيل.

ودنـا الطـروادي ايفـوربـوس، الـذي أصـاب باتـروكليس في ظهـره، من مينيلاوس، وهو يتحرق رغبة للانتقام لأخيه من قاتله، ملك أسبارطة.

طعن برمحـه ترس مينيـلاوس، لكنه لم يستطع خرق الترس. أما مينيلاوس فقـد غرز رمحـه، بطعنة قوية، في صدر إيفوربوس، فهوى الطروادي الشاب على الأرض. بدأ مينيلاوس يخلع الدروع المزادنة بالأحجار الكريمة عنه. لكن هكتور انقض على مينيلاوس. فتراجع مينيلاوس عن جثة باتروكليس، وإن كان يعرف أن اليـونـانيـين سيـدينـونـه على هذا، لكنـه خاف أن يجد نفسـه وقـد حاصـره الطـرواديـون. قرر مينيـلاوس الاستنجـاد بأجـاكس. وكـان هكتور قد تمكن من الإمساك بجثة باتروكليس، ونزع دروع أخيل عنها، حين وصل أجاكس، فاضطر هكتور للانسحاب. وإذ رأى غلوكوس ذلك راح يوبخ ابن بريام على لامبالاته، وعلى خوفه من أبطال الاغريق. بهذه الكلمات أرغم غلوكوس هكتور على العودة إلى القتال. ونادى خدمه ليعودوا، بعد أن كان قد أمرهم بحمل دروع باتروكليس إلى طروادة، وارتـداهـا هو. وفكـر زوس، قاذف الصـواعق، حين رأى هكتـور يتسلح بسـلاح أخيـل: «إنـك لاتـرى أيهـا المسكين مدى قرب الموت منك. إنك ترتـدي دروع البطل، الذي يهابه الجميع. الآن سأهبك النصر مكافأة لك. على أن زوجتـك أنـدرومـاك لن تأخـذ من يديك أبداً دروع أخيل». هذا ماخطر ببال زوس، وكدليل على أن هذا ماسيكون قطب حاجبيه.

أمـا هكتـور فقـد شعر أنه مفعم بالقوة والجرأة، فانطلق إلى القوات، وراح يحث الأبطـال على القتـال. أمـا مينيـلاوس فكان في هذا الوقت ينادي اليونانيين بصـوت عال لحمايـة جثـة باتـروكليس. تراصت تروس الأبطـال من حول جثـة باتـروكليس، لكن الطـرواديـين صدوهم. بيد أن أجاكس تيلامونيد الجبار شتت صفوف الطروادين، وانتزع جثة باتروكليس منهم.

حمي وطيس المعركة من جديد، واختلت صفوف الطرواديين، لكن أبولون

تمكن من حث إينيـاس على القتـال، فأوقف هزيمـة القوات. كانت المعركة تدور كالنار الشرهة، التي لاتبقي ولاتذر.

نصـح أجـاكس مينيـلاوس الأبطال برفع جثة باتروكليس، وحملها إلى المعسكر. أما هو نفسـه فقـد راح يغطيهم فيصـد الطـرواديـين. ولم يكـد الطـرواديون يرون أن الأبطال قد رفعوا جثة باتروكليس حتى انقضوا عليهم، كالكلاب الضارية. لكن كان يكفي أن يلتفت أجـاكس ناحيتهم حتى يتـوقف الطـرواديـون وقـد شحبت وجـوههم من شدة الفـزع. وازدادت المعـركـة ضراوة كالحـريق الذي يدمر المدينة فيلتهم كل ماحـولـه. سار مينيـلاوس ببـطء حامـلاً جثـة باتروكليس على يديه. وبالكاد تمكن أجاكس من صد هجمات الطرواديين وفي طليعتهم إينياس وهكتور.

في هذا الـوقت كان أخيـل جالسـاً لدى خيمتـه يفكـر وقـد استبد به القلق بسبب تأخـر باتـروكليس. وفجأة اقترب منه ابن نسطور وهوييكي. لقد حمل إلى أخيـل نبأ مقتـل باتـروكليس. استـولى على أخيـل حزن لايوصف. وبكلتا يديه غرف الـرمـاد من المـوقـد، ورش رأسـه به. وقع أخيل على الأرض، وراح يمزق شعـره حزنـاً. وبكى أنتيلوخ الشـاب. كان يمسـك بيـد أخيـل، لكي لاتـدفعه المصيبـة إلى الانتحـار. كان أخيل ينتحب بصوت عال، وسمعت ثيتيس بكاءه، فأجهشت بالبكاء.

تجلت ثيتيس مع شقيقاتها أمام أخيل، واحتضنت رأس ابنها الحبيب باكية، ثم سألته:

- لماذا تبكي بهذا الصـوت العـالي؟ لاتخفِ عني شيئاً، واخبرني بكل شيء. فقد لبى زوس طلبـك، ودفـع بقـوات الاغريق حتى مراكبهم. إنهم لايريدون إلا شيئاً واحداً، أن تمد لهم يد المساعدة.

وأجاب أخيل:

- إنني أعرف هذا ياأمي الحبيبة، لكن أي فرح في هذا! لقد فقدت باتروكليس.

كنت أحبه أكثر من الجميع، وأصونه كما أصون حياتي. لقد قتله هكتور، واختطف تلك الدروع، التي أهداها الآلهة لبيلياس. لاحياة لي بين الناس إن لم أتمكن من طعن هكتور برمحي، وإن لم يدفع لي حياته ثمن موت باتروكليس.
وصاحت ثيتيس:
- لكنك بدورك ستموت في أعقاب هكتور.
- حسناً، فلأمت الآن إن كنت لاأستطيع إنقاذ صديقي. سأنسى غضبي من أغاممنون وأخوض غمار القتال من جديد، لكي أقتل هكتور. فلست أهاب الموت، إن أحداً لاينجو من الموت، إنني مستعد للموت هناك، حيث كتب علي القدر، لكنني سأبلغ قبل ذلك المجد العظيم. كلا لاتثنيني عن عزمي ياأماه.

هكذا رد أخيل على والدته. ولم تطلب منه الربة ثيتيس إلا شيئاً واحداً: أن لايدخل القتال قبل أن تأتيه بدروع جديدة من عند الإله هيبايستوس.

وفي معسكر الاغريق ناح أخيل على باتروكليس، ووضع يديه على صدر القتيل.

أمر أخيل أصدقاءه بغسل الجثة الدامية، ومسحها بالطيب. وضعوا جثة باتروكليس على فراش فاخر، وغطوها بقماش رقيق، ومن الأعلى وضعوا غطاء مزخرفاً. ظل الميرميدونيون يندبون باتروكليس الليل بطوله.

ثيتيس عند هيبايستوس. سلاح أخيل(٤٨):

طارت ثيتيس على جناح السرعة إلى الأولمب المشرق، نحو قصر الإله هيبايستوس. حين وصلت الربة ثيتيس إلى هناك وجدته في مشغل الحدادة. كان، والعرق يتصبب منه، يصنع عشرين حاملاً دفعة واحدة. كانت الحوامل على دواليب ذهبية. فكانت تتدحرج نحو الإله بنفسها، ثم تعود بنفسها. ولم يبق

للإلـه إلا أن يضـع لهذه الحـوامـل القبضات الذهبية. كان الاله منكباً على صنع المسامير للقبضات حين دخلت الربة ثيتيس القصر بهدوء. رأت هاريت الحسناء، زوجة الإله هيبايستوس الربة ثيتيس، فأخذتها من يدها بلطف، وقالت لها:

- ادخلي القصر ياثيتيس، إنك نادراً ماتزورينا. ماهي الحاجة، التي جاءت بك إلينا؟

أمسك هيبايستوس بيد ثيتيس، وسألها:

- قولي لي أيتهـا الـربة ماذا تريدين؟ وإذا كان بمقدوري فإنني على استعداد لأن أفعل كل شيء من أجلك.

حدثتها ثيتيس، وهي تذرف الدموع، كيف فقد ولدها تلك الدروع، التي أهـداها الآلهة لأبيه بيلياس، وكيف قتل هكتور باتروكليس، وكيف يتعذب أخيل حزنـاً على صديقـه، ويتعطش للانتقام من القاتل، لكن لا سلاح لديه. وطلبت الـربـة من هيبـايستـوس أن يصنـع السلاح لابنها. ما ان سمع هيبايستوس كلام ثيتيس حتى وافق فوراً على أن يصنـع ذلـك الـسلاح، الـذي سيبهر جميع الناس بجماله النادر.

قبـل كل شيء صنـع هيبـايستـوس لأخيل ترساً، وزينه بالصور الساحرة. وبعـد صنـع الـترس صنـع الدروع لأخيل فجاءت براقة، كاللهب الساطع. ثم صنع له خوذة ثقيلة، ذات عرف ذهبي، وغمداً من القصدير المرن.

بعد أن أنهى عمله حمل السلاح إلى ثيتيس، التي انطلقت كالنسر السريع من على الأولمب إلى الأرض البعيدة، لكي تقدم الدروع لابنها.

صلـح أخيـل وأغـاممنـون[٤٩]:

عمـدت ثيتيس، من أجـل تهدئـة خاطـر ابنهـا، إلى عرض الدروع، التي جلبتها، عليه.

سار أخيـل عبر شاطىء البحـر، يدعـو الجميـع إلى المجلس، فاجتمعت القوات كلها عند خيمة أغاممنون، وقد جاء أوديسيوس وديوميد وهما يعرجان، كما خرج أغاممنون، الذي يتألم من جرحه. وحين التأم شمل الجميع، وخيم الصمت المطبق، عرض أخيـل على أغـاممنـون أن يتصالحـا، وراح يستعجل الجميع على خوض القتـال ضد الطـرواديين. فرح اليونانيون حين سمعوا أن العداء بين أخيل وأغـاممنـون قد انتهى. نهض أغـاممنـون من مكانه، واعترف بذنبه، وقال أن آلهة الشقـاق هي التي أعمت بصـيرته. وأمر أغاممنون بأن يسلم أخيل فوراً كل الهبات التي وعـده بها لقـاء المصـالحة. لكن أخيل لم يعد بحاجة إلى الهبات، بل كان كل همه القتال والانتقام من هكتور، فراح يهيب بالجميع أن يقاتلوا. لكن أوديسيوس تمكن من إقناع أخيل بتأجيل بدء المعركة. وقد جلب الهبات من خيمة أغاممنون، كما جيء للبطل بالأسيرات ومعهن بريزئيس.

انصـرف كل إلى خيمتـه، أمـا المـيرميدونيون فقد أخذوا هبات أغاممنون، وذهبوا إلى مراكبهم، وقد ذهب أخيل برفقتهم.

أخيـل يخوض القتال ضد الطرواديين(٥٠):

بدأت فصـائـل الاغريق تخرج من المعسكر فصيلة إثر أخرى. كان عددهـم كبـيراً. وتحت أشعـة الشمس كانت تسطـع الخـوذات والـرمـاح والتروس. وماد شاطىء البحـر تحت وقـع أقـدام المحـاربين. تسربل ابن بيلياس بالسلاح. فقد ارتدى الدروع التي صنعها له هيبايستوس، وعلق سيفه على كتفه، وتناول ترسه، الـذي يسطـع كالبـدر، وأخـرج من الصندوق رمحه الضخم، الذي لم يكن بوسع أحـد آخـر أن يقـاتـل به. كما ارتـدى الخـوذة، التي تتألق كالنجم، ثم خرج من خيمته. وكانت عيناه تقدحان شرراً، أما قلبه فكان لايزال يعاني من الحزن الذي

لايطاق. ربط أخيل جياده إلى المركبة، ثم صعد إلى متنها، وساق جياده إلى الميدان. أما اليونانيون فقد رتبوا صفوفهم في الميدان، ثم بدأوا زحفهم على الطرواديين، الذين كانوا يتمركزون في المرتفعات المطلة على طروادة.

وفي هذا الوقت أمر زوس، قاذف الصواعق، الربة ثيتيس بدعوة الآلهة إلى المجلس. وفي قصر زوس اجتمع الآلهة جميعهم، حتى آلهة الأنهار والسيول، وحوريات وربات الينابيع. وقال إله الصواعق أنه لن يتدخل في القتال، بل سيراقب مجرى المعركة من على قمة الأولب، وأن بوسع جميع الآلهة أن يشاركوا في القتال سواء إلى جانب اليونانيين، أو الطرواديين. وللحال هبط الآلهة إلى الأرض. وقد وقفت الربتان هيرا وأثينا بالاس، والأرباب بوزيدون، هرمس وهيبايستوس إلى جانب اليونانيين، أما الربات أفروديت، أرتيميس ولاتون والإلهان أيريس وأبولون، وإله النهر اسكاماندر فقد وقفوا في صف الطرواديين.

ما إن اقترب آلهة الأولب من القوات حتى صعّدت الربة إيريس حدة القتال. وصاحت أثينا بالاس متوعدة، وهي تمر بين صفوف اليونانيين. ورد عليها آريس بصرخة كالعاصفة العاتية. اشتبك الطرفان، وقرقعت رعود زوس، وتدحرجت عبر السماء، وزلزل الإله بوزيدون الأرض كلها، وتمايلت الجبال من أسفلها إلى ذراها، ومادت طروادة العظيمة، وتراقصت مراكب اليونانيين. وخاف هادس، حاكم مملكة أرواح الموتى، فوثب عن عرشه، خشية أن تنقلب الأرض. وينفتح عالمه المرعب، الذي تقشعر له حتى أبدان الآلهة الخالدين. بدأت المعركة، كان أخيل يتوق إلى شيء واحد فقط - أن يلتقي في ميدان القتال بهكتور.

اندفع أخيل يخوض غمار المعركة بشراسة، وقد جندل الكثير من الأبطال، وهو يبحث عن هكتور. أما هكتور فكان الإله أبولون قد منعه من الهجوم على أخيل، وأمره بالبقاء في صفوف المقاتلين الخلفية. لكن ها هو أخيل يصرع

بوليـدوروس برمحـه . وكـان بوليـدوروس أصغر ماتبقى من أبناء ملك طروادة . ولم يكـد هكتـور يرى موت أخيـه حتى نسي نصائح أبولون، واندفع إلى حيث يقاتل أخيل . رأى أخيل هكتور فتلألأت عيناه الرهيبتان فرحاً، وصاح قائلاً :

ـ ها هو ذا الذي أصاب قلبي بالحزن العميق . هيا اقترب كي أستطيع إرسالك على جناح السرعة إلى مملكة هادس .

لكن هكتور أجاب أخيل بقوله :

ـ غير معـروف حتى الآن من منـا سيقتـل . صحيـح أنني لست بقوتك ياأخيل، لكن الآلهة وحدهم يعرفون من سيلقى حتفه منا، ولتعرف أن رمحي ثاقب أيضاً .

قذف هكتـور رمحـه ، لكن أثينـا بالاس حرفت الرمح بتنفسها ، فسقط عند قدمي أخيل ، فانقض أخيل على هكتور، لكن أبولون هرع لنجدته ، ودثر هكتور بالظلمـة ، ثلاث مرات انقض أخيـل على هكتـور، لكنـه في كل مرة كان يصيب الظلمة برمحه . وحين انقض عليه في المرة الرابعة صرخ به متوعداً :

ـ لقـد نجـوت من جديـد ـ أيها الكلب ـ من الموت ، فمن جديد أنقذك أبولون ، لكنني سأنال منك قريباً إذا كان لدي حام بين الآلهة .

وفي ثورة غضبـه انقض أخيـل على أبطـال طروادة الآخـرين ، فسقـط الكثيـرون منهم بطعنـات رمحـه القـاتل . الكثيرون من الطروادبين حاولوا النجاة بجلدهم عن طريق نهر سكـامـاندر، وهاج النهر وماج لكثرة المقاتلين ، الذين ألقوا بأنفسهم في ميـاهـه . بعضهم كان يريـد النجـاة سبـاحة ، وبعضهم الآخر حاول الاختباء تحت ضفـافـه المتعرجة . واندفع أخيل ، والسيف في يده ، يخوض في مياه سكـامـانـدر، وهـو يحصد الطراديين الفارين . وصاح إله نهر سكاماندر من اللجة بصوت عال :

ـ أخيـل! اطـرد الطـرواديـين من مياهي . اقتلهم في الميدان ، لا في مياهي . لقد

وقفت جثثهم حجر عثرة في طريقي إلى البحر. تلاف قتل الطرواديين في مجراي.

فرد أخيل على الإله:

- لن أتوقف عن قتل الطرواديين ياسكاماندر إلى أن أزربهم في طروادة، وأقاتل هكتور.

وحينذاك نادى سكاماندر الإله أبولون بصوت عال:

- أيها الإله الهداف! إنك لاتنفذ أوامر زوس قاذف الصواعق. ألم يأمرك أنت بالدفاع عن الطرواديين إلى أن يسدل الليل ستاره على الجبال والسهول؟

اصطخبت مياه سكاماندر، وراحت، وهي تزأر متوعدة، تقذف إلى الضفة بجثث القتلى، أما الأحياء منهم فقد خبأهم إله النهر في الكهف. تدافعت الأمواج من حول أخيل، الذي ألقى بنفسه في النهر. وثب أخيل من النهر، وجرى عبر السهل، ومن خلفه تدحرجت موجة سكاماندر العاتية، مهددة باغراقه، رفعت الموجة المغطاة بالطين الماء عالياً، وكالجدار راحت تحاصر أخيل. خافت الربة هيرا من موت ابن بيلياس، فأرسلت لمساعدته ابنها الاله هيبايستوس، اندلع في الميدان لهب شديد، واحترقت جثث الطرواديين، الذين قتلهم أخيل. وبسرعة جف الميدان، بعد أن غمرته الأمواج، حتى النهر أضرم هيبايستوس النار فيه.

كانت المياه تبقبق من شدة الحرارة، وتوقف النهر عن الجريان، وراح إله نهر سكاماندر يتوسل لهيرا أن تكبح جماح ابنها. وأقسم يميناً عظيمة أنه لن يساعد الطرواديين بعد الآن. أوقفت هيرا الإله هيبايستوس، فخمدت النار.

اندلع الخصام القوي بين الآلهة. فقد هرعوا إلى القتال، ومادت الأرض تحت وقع أقدامهم. وضحك زوس وهو يرى الآلهة يتقاتلون فيما بينهم. فإله الحرب أريس هاجم الربة أثينا بالاس، للانتقام منها لأنها ساعدت ديوميد على

جرحه. وقد أصاب أريس الربة في ترسها، لكنه لم يستطع اختراقه، وهنا اختطفت أثينا حجراً ضخماً، فأصابت به أريس في عنقه، قرقعت الدروع على أريس، وغطى الغبار شعره. وجاءت أفروديت ربة الحب، لنجدة أريس، وراحت تحاول سحبه من ميدان القتال، لكن أثينا أصابتها بطعنة من رمحها في صدرها. فسقطت أفروديت على الأرض. وتحدى إله البحر بوزيدون الإله أبولون لمنازلته. لكن الإله الهداف لم ينازله. كان أبولون يخاف أن يرفع يده على بوزيدون مزلزل الأرض. وراحت الربة أرتيميس توبخ أخاها أبولون لأنه تقاعس عن خوض القتال. سمعت الربة هيرا ذلك فقبضت على ذراع أرتيميس، وانتزعت القوس منها، ثم ضربت الربة الشابة به. تناثرت نبال أرتيميس، فهربت باكية. جمعت الربة ليتو النبال، ثم رفعت قوس ابنتها، ولحقت بها. أما أرتيميس فقد صعدت إلى الأولمب، وراحت تشكو إلى زوس بحرقة كيف أهانتها هيرا.
وعاد الآلهة الآخرون إلى الأولمب: بعضهم فخوراً بالنصر، والآخر بقلوب مفعمة بالسخط. أما أبولون فقد انطلق إلى طروادة على عجل: كان يخشى أن يدك اليونانيون أسوار طروادة، رغم أنف القدر.

ومن البرج العالي رأى الشيخ بريام أخيل وهو يطارد الطرواديين عبر الميدان، فأمر بفتح بوابة المدينة كي يتمكن الطرواديون من الاحتماء فيها. كان المقاتلون يقفون على الأسوار، وقد أرهقهم القتال، وهم يروون عطشهم، ويمسحون عرقهم. ولم يبق في الميدان إلا هكتور. كان يقف عند بوابة سكيس، لكأن القدر المحتوم ثبته في مكانه.

مبارزة أخيل وهكتور[٥١]:

انطلق أخيل عبر الميدان نحو أسوار طروادة كالنجم الثاقب، يسطع في

سماء الخريف، إنـه سيريـوس ـ كما يسميـه البشر ـ نذير شؤم للفانين. حين رأى الشيـخ بريـام أخيـل يقـترب من أسـوار طروادة راح من شدة الخـوف يتوسل إلى هكتور أن يدخل المدينة.

كما راحت أمه العجوز هيكوب تتوسل إليه أن يختبيء في طروادة. وراحت تذكـر ابنهـا كيف أرضعتـه في طفولته وكيف هدهدته. فهل يعقل أن يموت هكتور أمـام عينيهـا، دون أن تتمكن لاهي ولا أنـدرومـاك من النـواح عليـه، أما جثته فستمزقها كلاب مراكب المرميدونيين؟

لكن هكتور صمم على انتظار أخيل، فوقف ينتظر خصمه، وقد استند بترسه إلى نتوء البرج. لم يكن هكتور يستطيع التملص من قتال أخيل.

كان أخيـل يقـترب رويـداً رويداً. واستولى الخوف على هكتور، وانطلق هاربـاً من ابن بيليـاس الـرهيب، يدور حول طروادة، وأخيـل العاصف يطارده. وحـين مر البطـلان للمرة الرابعة قرب ينابيع سكاماندر رمى الإله، قاذف الصواعق، قرعـة المـوت في الميـزان الـذهبي بين أخيل وهكتور. فانخفضت قرعة هكتور إلى مملكـة هادس الكئيب. غادر الإلـه أبـولـون هكتـور، أمـا الـربة أثينا بالاس فقد اقـتربت من أخيـل. وقـد أوعزت للبطل أن يتوقف، ووعدته بتحقيق النصر على هكتـور. ثم اتخـذت هيئـة ديئيـفـوبـوس، شقيق هكتـور. وقـد أقنعت هكتـور بقتـال ابن بيليـاس، واعدة بالمساعدة، فتوقف هكتور. والتقى البطلان.

كان هكتور أول من صاح:

- لن نعود، ياابن بيليـاس، إلى البحث عن النجـاة بالفـرار، فلنتبـارز، ولنرَ هل ستقتلني أنت، أم أفـوز أنـا. ولنهب بالآلهـة أن يكونوا شهوداً قبل القتال. إنني أعد بأن لا أمثل بجثتك إن وهبني قاذف الصواعق الغلبة، فالتزم بدورك بهذا الاتفاق.

لكن أخيل رد عليه متوعداً:

ـ كلا، لاتعـرض علي الاتفـاقات أيها العدو اللدود! كلا. فاستجمع كل قواك، وتـذكـر كل فنـك في القتـال. لن تنجو مني. ولسوف تدفع لي ثمن دم صديقي باتروكليس، الذي أرقت، ودم أصدقائي الآخرين، الذين قتلت.

قذف أخيل هكتور برمحه بيده الجبارة، لكن هكتور أقعى فنجا من الضربة القـاتلة. طعن هكتـور أخيـل برمحـه في وسط ترسه. لكن الرمح ارتد كالعصا عن الترس، المصنوع بيدي الإله هيبايستوس. ولم يكن لدى هكتور رمح آخر. أطرق برأسـه، وراح يستنجـد بديئيفـوبـوس بصـوت عال، لكنـه لم يجد له أثراً. وأدرك هكتور أن أثينا بالاس قد خدعته، كما أدرك أنه ملاق حتفه لامحالة، امتشق هكتور سيفه، وانقض على أخيل، وبدوره انقض أخيل على هكتور، وبيد جبارة أصابه بطعنة من رمحه في عنقه. سقط هكتور على الأرض، وقد أصيب بجرح قاتل. ولم يكن بمقدوره إلا أن يقول عدة كلمات لأخيل المنتصر:

ـ أستحلفـك ياأخيـل أن لاتترك جثتي تمزقها كلاب الميرميدونيين، رد جثتي لأبي وأمي، ولسوف يدفعان لك لقاءها فدية لاتعد ولاتحصى.

وأجاب أخيل:

ـ كلا. عبثاً تتوسل إلي أيها الكلب الحقير. إن أحداً لن يرد الكلاب عن جثتك، ولـو عرضـوا علي أسخى الهبات وأثمن العطايا، حتى ولو أعطوني وزنك ذهباً! لن يندب جثتك أبداً لابريام ولاهيكوب.

وقال هكتور لأخيل، وهو يفارق الحياة:

ـ كنت أعرف أن توسلي لن يؤثر فيك، ففي صدرك قلب من حديد. لكن احذر سخـط الآلهـة. فلسـوف يأتي دورك وتأتي نهايتـك، لسـوف يصرعك باريس بسهمه بمساعدة الإله أبولون، قرب بوابة سكيس.

مات هكتور، وطارت روحه، وهي تشكو حظها العاثر، إلى مملكة هادس الكئيب.

دعا أخيل جميع اليونانيين، وقد ذهلوا لرؤية طول قامة وجمال هكتور الممدد على الأرض. وراح كل من كان يقترب يطعن جثة هكتور برمحه. الآن أصبحت إصابته سهلة.

كان أخيل قد نوى أمراً فظيعاً. فقد ثقب قدمي هكتور ومرر عبر الثقبين سيراً متيناً، ثم ربط هكتور من قدميه إلى المركبة، ثم ركبها، وقد رفع عالياً الدروع، التي انتزعها عن جثة هكتور، وأطلق لجياده العنان عبر الميدان، جاراً جثة هكتور وراءه، وارتفع الغبار في الميدان، واسود وجه هكتور الجميل من الغبار، وهو يصطدم بالأرض.

ومن فوق أسوار طروادة رأت هيكوب أخيل وهو يجلل بالعار جثة ابنها. فراحت من فرط حزنها تنتف شعرها الشائب، وتدق على صدرها، بعد أن مزقت غطاءها. وبدوره كان بريام ينتحب. سمعت أندروماك صراخ الطرواديين المفجوع، فهرعت إلى الأسوار، ورأت من عليها جثة زوجها، تجرها عربة أخيل في التراب. سقطت زوجة هكتور المسكينة على أيدي الطرواديات، غائبة عن الوعي. وسقط عنها خمارها، المزدان بالأحجار الكريمة، هدية أفروديت لها. وحين ثابت إلى رشدها راحت تبكي وتولول. كان الحزن، الذي لايوصف، يمزق قلب أندروماك. ومن حولها كانت الطرواديات يبكين بصوت عال، فقد مات حامي طروادة العظيم.

جنازة باتروكليس[٥٢]:

عاد اليونانيون إلى مراكبهم. وأوعز أخيل للميرميدونيين بأن يطوفوا على مركبة حول جثة باتروكليس ثلاث مرات.

وعلى المتكأ، الذي كان يرقد عليه باتروكليس القتيل، ألقى أخيل بجثة

هكتور، دون أن يغطيها بشيء. وأحيا ابن بيلياس مأدبة عامرة لجيشه الميرميدوني.

وأقام الأبطال اليونانيون بدورهم احتفالاً، تفرقوا بعده على خيامهم. وحده أخيل استلقى بقلب مفجوع على شاطىء البحر المصطخب أبداً. وأخيراً راح بدوره في سبات عميق.

وعند الصباح الباكر أرسل أغاممنون اليونانيين إلى سفح إيدا الشاهق لجلب الأخشاب اللازمة لمحرقة الدفن، وعلى شاطىء البحر أقام اليونانيون محرقة عالية. وحمل الميرميدونيون باتروكليس في موكب مهيب. وقدموا الكثير من النعاج والثيران قرباناً عن باتروكليس، وغطوا جثته كلها بشحوم هذه الأضاحي، كما وضعوا من حول المحفة، التي وضعت عليها الجثة، أوعية العسل والزيت. ثم قتلوا أربعة جياد وكلبين. وعلى المحرقة وضعوا جثث اثني عشر شاباً طروادياً، قتلهم أخيل بيديه. أما جثة هكتور فقد وضعت عند المحرقة.

حين أصبح كل شيء جاهزاً للدفن أضرم أخيل النار. ظلت ألسنة اللهب تتراقص عالياً في المحرقة طوال الليل، أما أخيل فقد راح يغرف النبيذ بقدح ذي قعرين، وهو يريق النبيذ، وينادي روح باتروكليس.

وعند الصباح بدأت النار في المحرقة تخبو. ورقد أخيل المرهق على الأرض قرب المحرقة، التي توشك أن تنطفيء، فاستولى عليه سلطان الكرى. وقد استيقظ على أصوات زعماء الاغريق. وبناء على طلب أخيل أخمد الزعماء جمر المحرقة المتوهج بالنبيذ، ثم جمعوا عظام باتروكليس، ووضعوها في وعاء من الذهب، ومن ثم أقاموا هيكلاً، ووضعوا الوعاء فيه، ومن فوق الهيكل شيدوا تلة دفن عالية.

بعد الدفن أقام أخيل على شرف الميت ألعاب دفن فاخرة. ووزع أخيل هباته السخية على كل المشاركين فيها.

انتهت الألعــاب، وتفــرق الأبطــال، ولم يلبث المعسكـر كله أن استسلم للنـوم. وحـده أخيـل لم ينم. كان ـ وهـو المفجوع ـ يندب صديقه. وأمضى فترة طويلة وهـو يذرع شاطىء البحـر جيئـة وذهاباً. أخيراً، وحين انبلج الفجر، ربط أخيـل جيـاده إلى المـركبـة، ثم ربط إليها جثة هكتور، ودار ثلاث مرات حول تلة القـبر، وهـو يجر من خلفـه جثة ابن بريام المسكين. وبعد ذلك رمى جثة هكتور، وذهب إلى خيمته.

بريام في خيمة أخيل. دفن هكتور[٥٣]:

رأى الآلهــة من على الأولمب كيف راح أخيـل يمثـل بجثـة هكتـور. وقـد غضب الإلـه أبـولـون منه بسبب ذلك. أراد الآلهة أن يقوم هرمس باختطاف جثة هكتــور، لكن الــربتــين هيرا وأثينـا بالاس عارضتـا ذلـك، كما عارضـه الإلـه بوزيدون. مر أحد عشر يوماً وهكتور ملقى عند خيمة أخيل لايغطيه بشيء. وراح أبولون يقرع الآلهة لأنهم يسمحون لأخيل، الذي نسي التعاطف والضمير، فراح يمثـل بجثـة هكتـور. انـدلـع الجـدل بين أبـولـون وهيرا. وقد فض زوس قاذف الصـواعق هذا الجـدل. فقـد قرر أن يرسـل ثيتيس إلى أخيل، لكي تبلغه مشيئة زوس بأن يسلم جثـة هكتـور لوالـده لقـاء فديـة كبيرة. كان هكتور العظيم أحب الطروادين إلى قلب زوس.

ومثل البرق الخاطف انطلقت إيريس قاصدة ثيتيس، وفي طرفة عين مثلت أمـامهـا. نزلت ثيتيس إلى الأرض، ودخلت خيمـة ابنهـا. جلست بجـوار ابنهـا الحـزين، واخـبرتـه، وهي تلاطفـه بحنان، أن زوس وجميع الآلهة غاضبون منه، ويأمرونه بتسليم بريام جثة هكتور. رضخ أخيل الجبار لمشيئة الآلهة.

وفي نفس الـوقت أرسـل زوس قاذف الصواعق إيريس، تابعة الآلهة، إلى

بريام. كان الشيخ المسكين متمدداً على الأرض، يذرف الدموع حزناً على ولده القتيل. اقترب بت إيريس من الشيخ بريام وأمرته، باسم زوس، أن يسافر إلى معسكر اليونانيين. قاصداً أخيل ومعه فدية كبيرة. ووعدت إيريس بريام بأن يرافقه الإله هرمس إلى المعسكر.

ما إن سمع بريام كلام الربة حتى نهض، وسار إلى القصر، وأوعز بإعداد عربة لنقل الهبات، وتجهيز المركبة له. ولدى دخوله القصر نادى بريام زوجته هيكوب، وأخبرها أنه يريد الذهاب إلى معسكر اليونانيين. خافت هيكوب، وراحت تتوسل إلى زوجها أن لايذهب، إلى هلاكه المؤكد، لكن بريام طمأنها بأنه ذاهب إلى أخيل بمشيئة آلهة الأولمب. اختار بريام الهدايا السخية، ثم بدأ يستعد للسفر. صعد بريام إلى مركبته، وساط جياده. وأمام المركبة كانت البغال تجر العربة المحملة بالهبات. وقد بكى كل من كان في وداع بريام لكأنه كان ذاهباً إلى موته الأكيد.

حين ظهر بريام في السهل أرسل زوس قاذف الصواعق الإله هرمس للقائه. وقد تجلى هرمس لبريام في هيئة شاب جميل حينما كان الأخير يسقي جياده وبغاله في النهر. خاف بريام، أن يقتله الشاب ويسلبه الهبات. لكن هرمس، الذي قدم نفسه على أنه خادم أخيل، عرض عليه أن يرافقه إلى المعسكر. حين اقترب بريام من خيمة أخيل كشف هرمس له عن حقيقته، وأمره بدخول الخيمة بكل جرأة. دخل بريام الخيمة، دون أن ينتبه إليه أحد، وخر على ركبتيه أمام أخيل، وراح يتوسل إليه:

- تذكر ياأخيل العظيم والدك وهو شيخ طاعن في السن مثلي. وربما يكون جيرانه قد حاصروا مدينته أيضاً، وليس هناك من يدرأ عنه المحنة. أما أنا، البائس، فقد فقدت جميع أبنائي تقريباً. وأنت قتلت هكتور، أعظم أبنائي، ومن أجله

جئت إلى مراكبك. ارثِ لمصابي! تقبل الفدية السخية. إنك ترى كم أنا بائس، فأنا مرغم على تقبيل يدي قاتل أولادي.

أثارت كلمات بريام ذكريات أخيل عن أبيه، فبكى بمرارة. أما بريام فقد تمدد على الأرض، وراح يبكي ولده. أخيراً نهض أخيل، ثم أنهض بريام وقال له:

- يالك من بائس! لقد رأيت الكثير من البؤس في حياتك. كيف جرؤت على أن تأتي إلى هنا لوحدك، إلى من قتل العديد من أولادك؟ لكن اطمئن، توقف عن البكاء، واجلس ها هنا.

ورد بريام:

- كلا يا أخيل! تقبل الهدايا، ودعني ألقي نظرة على جثة ولدي.

نظر أخيل إلى بريام غاضباً، ثم قال:

- حاذر أن تثير غضبي أيها الشيخ. أنا نفسي أعرف أن علي أن أعيد لك جثة هكتور، تلك مشيئة زوس، فاسكت. إنني أخاف أن يدفعني الغضب إلى انتهاك وصية زوس - الرأفة بالسائل.

قال أخيل ذلك وخرج. غسلت وصيفات أخيل جثة هكتور، والبسته الثياب الفاخرة، وقام أخيل بنفسه برفع الجثة، ووضعها على متكأ فاخر الرياش، أما أصدقاؤه فقد وضعوا الجثة على عربة. بعد القيام بكل هذا عاد أخيل إلى الخيمة، وقال للشيخ أن كل شيء جاهز. أعد أخيل عشاء سخياً، ودعا بريام لتناول الطعام والشراب. وفي أثناء العشاء راح بريام ينظر بدهشة إلى أخيل الجميل والعظيم كالاله، بينما كان أخيل ينظر بإعجاب إلى المظهر الجليل للشيخ، أبيض الشعر، ويصغي إلى أحاديثه الحكيمة.

حين انتهى العشاء طلب بريام من أخيل السماح له بأخذ قسط من النوم، لأنه لم يعرف طعم النوم مذ قتل هكتور. حين هم بريام بأن يخلد للنوم سأله أخيل

كم يوماً يلزمه لدفن ولده، ووعده بعدم بدء القتال في هذه الأيام. طلب بريام عشرة أيام للدفن. وقد وعده أخيل أن لايدخل هو نفسه القتال خلال هذه الأيام، وسيحول بين الاغريق وبين القتال أثناءها. شد أخيل على يد بريام بكل حنان. رغبة منه في طمأنة الشيخ، ثم افترقا.

عند مطلع الفجر وصل بريام إلى طروادة، كانت كساندرا أول من رآه، فراحت تندب هكتور بصوت عال، وتنادي الطرواديين والطرواديات. اجتمع حشد كبير من الناس عند بوابة طروادة، وفي مقدمة الجميع كانت تقف هيكوب وأندروماك، وهما تنتحبان وتمزقان شعرهما. كل الطرواديات كن ينتحبن، وهن يحاولن الاقتراب قدر الامكان من العربة، التي تحمل جثة هكتور، لكن بريام أمر الجمهور بتركه يمر، ففتح المحتشدون الطريق بين صفوفهم إلى داخل طرادة.

كانت أندروماك تبكي بصوت عال ـ كانت تندب زوجها، وحاميها الوحيد. كانت الآن تعرف أن طروادة سوف تسقط، ويسوق الاغريق جميع الطرواديات في الأسر القاسي. وبدورها كانت هيكوب تنتحب، وهي تذرف الدمع على ولدها الحبيب.

وبكت هيلين فلم يسبق لها أن سمعت من هكتور كلمة تأنيب ولم ترمنه أية إساءة. كان هكتور، ذو الروح المرهفة، يدافع عنها أبداً، وبفضل حمايته لها كان الآخرون يتورعون عن الاساءة إليها. والآن مات صديقها الوحيد في طروادة، حيث كان الجميع يكنون لها الكراهية.

أمر بريام بتجهيز محرقة الدفن. ظل الطرواديون على مدى تسعة أيام يجلبون الأخشاب للمحرقة من جبل إيدا. وفي اليوم العاشر وضعوا جثة هكتور على المحرقة، ثم أضرموا فيها النار. بعد ذلك جمعوا رفاته في وعاء ذهبي، وضعوه في قبر، ثم غطوا القبر بالصفائح الحجرية. وبينما كان الطرواديون يضعون

الـتراب فوق القبر على شكل كثيب، كان الحراس يراقبون لكي لايباغتهم اليونانيون بالهجوم. بعد الدفن أحيا بريام في قصره احتفالاً جنائزياً فاخراً.

القتال ضد الامازونيات. بانتيزيليا(٥٤):

بعد موت هكتور حلت على طروادة أزمنة عصيبة، فلم يبق لديها بطل جبار يذود عن حياضها، لم يبق في طروادة بطل يستطيع منازلة أخيل. كان يبدو وكأن أيام المدينة الأخيرة قدحلت. وفجأة جاءت النجدة للطرواديين.

فمن بونتوس البعيد جاءت الأمازونيات المحاربات على جياد سريعة لمساعدة الطرواديين. وكان على رأسهن ملكهتن بانتيزيليا، التي أرادت أن تكفر عن ذنبها، بقتل أختها عن غير قصد أثناء الصيد، من خلال قتال اليونانيين. كانت أرتيميس غاضبة منها بسبب هذه الجريمة، فكانت بانتيزيليا تأمل استرضاء أرتيميس، حامية الطرواديين، بالقتال إلى جانبهم. راحت ابنة أريس الجبارةتتبجح بأنها ستقتل جميع أبطال اليونان الأمجاد، وستطرد اليونانيين من على مشارف طروادة، وتحرق مراكبهم. استقبل الطرواديون الأمازونيات بفرح كبير. واستقبل بريام بانتيزيليا كأنها ابنته، وأقام على شرفها احتفالاً فاخراً.

في اليوم التالي خرجت الأمازونيات بسلاحهن الرائع على رأس القوات الطروادية لمهاجمة اليونانيين. وبدأ القتال الضاري. ومثل الزوبعة العاصفة كانت انتيزيليا تشق صفوف اليونانيين، والأمازونيات يرافقنها. كن يجندلن الأبطال الواحد تلو الآخر. فاختلت صفوف اليونانيين وبدأوا بتراجعون. وظلت بانتيزيليا تدفعهم حتى المراكب مباشرة. أصبح النصر النهائي للأمازونيات وشيكاً. وفجأة جاء لنجدة اليونانيين أخيل وأجاكس تيلامونيد. كانا قد تخلفا عن القتال. فقد تمددا على الأرض قرب قبر باتروكليس، وهما حزينان لفقد صديقهما. وما ان

سمعا صخب القتال حتى تسلح البطلان على جناح السرعة، وانطلقا إلى الميدان كأنهما أسدان. ولم يستطع الأمازونيات والطرواديون التصدي لهما. رأت بانتيزيليا أخيل الجبار، فتصدت له بجسارة. رمت أخيل برمحها، لكن الرمح تكسر على ترسه. وفي ثورة غضبه انقض عليها أخيل فأصابها في صدرها. وبعد أن استجمعت بانتيزيليا كل ماتبقى لديها من قوة أرادت أن تستل سيفها، لكن أخيل الجبار صرعها هي والجواد برمحه. سقط الجواد على الأرض، وتمددت بانتيزيليا بجواره. نزع أخيل الخوذة عنها، ووقف ذاهلاً أمام الجمال الفريد لابنة أريس إله الحرب. كات بانتيزيليا الميتة رائعة مثل الربة أرتيميس. وقف أخيل فوق جثتها غارقاً في الحزن. ودنا ثيرسيت منه، وسارع، وهويسخر من حزن أخيل، إلى سمل عين بانتيزيليا الحسناء برمحه. وثارت ثائرة أخيل، فضرب ثيرسيت على وجهه ضربة كانت القاضية.

رفع أخيل بكل هدوء جثة بانتيزيليا، التي قتلها، وحملها من الميدان. وبعد ذلك سلم اليونانيون الطرواديين جثة بانتيزيليا واثنتي عشرة أمازونية أخرى بكامل سلاحهن. فأقام الطرواديون جنازة فاخرة لهن، واحرقوا الجثث على محارق الدفن.

أما أخيل فقد قصد جزيرة ليسبوس، وهناك قدم القرابين السخية للإله أبولون والربة أرتيميس ولأمها ليتو، وراح يتوسل إليهم أن يطهروه من رجس دم بانتيزيليا الذي أراق.

القتال ضد الاثيوبيين، ميمنون(٥٥)

بعد موت بانتيزيليا أصبح الطرواديون يواجهون صعوبة أكبر في صد زحف اليونانيين. لكن النجدة جاءتهم من جديد، وعلى غير انتظار. فمن شواطىء

الأوقيانوس الشائب، الذي يحزم الأرض كلها بمياهه، جاء ميمنون إلى طروادة على رأس جيش جرار من الاثيوبيين. كان ميمنون ابن إيوس ربة الفجر الرائعة وتيفون، وأحد أقرباء بريام. ولم يكن أي من البشر الفانين يضاهيه جمالاً. كان كنجمة الصبح يتلألأ بين الطرواديين في دروعه الذهبية، التي صنعها الإله هيبايستوس بنفسه.

كان ميمنون خصماً يليق بأخيل. ومن جديد حمى وطيس القتال تحت أسوار طروادة. في طليعة الطرواديين كان ميمنون، بينما كان أخيل في مقدمة اليونانيين، لكن أخيل كان يتهرب من لقاء ميمنون، كان ابن ثيتيس يعرف أنه إذا ماقتل ميمنون لن يلبث هو نفسه أن يلقى حتفه بسهم أبولون، هاجم ميمنون الشيخ نسطور.

فأدار نسطور عنان جياده، يريد الفرار للنجاة بجلده. لكن باريس شد قوسه، وأصاب بسهمه أحد جياد نسطور.

وحين رأى نسطور الموت الأكيد يترصده استنجد بابنه أنتيلوخ. وقد هرع الابن البار لنجدة أبيه. أمسك أنتيلوخ حجراً ضخماً، ورمى ميمنون به، لكن الخوذة، التي صنعها هيبايستوس، أنقذت ميمنون من الضربة. وطعن ميمنون أنتيلوخ برمحه في صدره، فسقط ابن نسطور على الأرض وقد فارق الحياة. أجهش الشيخ نسطور بالبكاء، وهو يرى موت ابنه.

وهم ميمنون بنزع دروع أنتيلوخ القتيل، فاندفع نسطور بنفسه للدفاع عن جثة ولده. دار القتال شرساً بين اليونانيين والطرواديين حول جثة أنتيلوخ. وقد استنجد نسطور بأخيل الجبار. ولاتسل عن وقع نبأ مقتل أنتيلوخ على أخيل. فقد كان يحبه كثيراً، وكان أفضل صديق له بعد باتروكليس. واندفع أخيل يخوض غمار القتال، وقد نسي أنه سوف يموت بعد موت ميمنون. امتشق البطلان سيفيهما، وانقض أحدهما على الآخر. كانا كلاهما متعادلين من حيث القوة، وكلاهما كانا

ولـدي ربتـين، وعلى هذا وذاك كانت تتـوهـج الـدروع المصنـوعـة على يدي هيبـايستـوس. راح البطـلان يتقـاتـلان وقـد احتمى كل منهـما بترسه. ومن على الأولمب العالي كان الآلهة يراقبون هذه المبارزة، وراحت أماهما الربة أيوس، والربة ثيتيس، تتـوسـلان إلى زوس، أن ينقذ ابنها. أخذ زوس الميزان الذهبي، ووضع عليه قرعتي البطلين، ووزنهما. فانخفضت قرعـة ميمنـون منـذرة بالموت على يد أخيل. فأجهشت الربة، ايوس بالبكاء: لقد كان عليها أن تفقد ولدها الذي تكن له كل الحب، أخيراً لوح أخيل برمحه الثقيل، وطعن به ميمنون في صدره. التفت الربة ايوس في غيمة داكنة، إعراباً عن الحزن.

أمـا الأثيـوبيون فقد حولهم الآلهة إلى طيور. ومنذ ذلك الحين وهذه الطيور تأتي كل عام فتحـط عنـد قبر ميمنـون، وتنـدب ملكهـا. دفن اليونانيون أنتيلوخ الشاب بكل مظاهر الاجلال والتكريم.

مـوت أخيـل[٥٦]:

كان أخيل يتقد غضباً من الطرواديين. وقد قرر أن ينتقم منهم بقسوة لموت باتـروكليس وأنتيلوخ. كان أخيـل يقـاتل كالأسد الضاري. وقد لاذ الطرواديون بالفرار، وأسرعوا للاحتماء خلف أسوار طروادة.

ظل أخيل يطاردهم كالمجنون حتى بوابة سكيس مباشرة.

وكان يمكن أن يقتحم طروادة المقدسة، ويدمرها، لولم يأت الاله أبولون، وهـدد أخيـل الإلـه بأنـه سيصرعه برمحه. كان القدر الغاشم قد وضع غشاوة على بصـيرة أخيـل. غضب أبـولون، ونسي أنه سبق له أن وعد بحماية أخيل في عرس بيلياس وثيتيس، فقام، وقد تدثر بغيمة سوداء، بحيث لا يراه أحد، بتوجيه سهم باريس، فأصـاب أخيـل في كعبـه. كان هذا الجرح مميتاً لأخيل. شعر أخيل بدنو

أجله، فانتزع السهم من جرحه، ووقع على الأرض. ومن جديد استجمع أخيل قواه، ونهض عن الأرض رهيباً كالأسد المحتضر، لكن البرودة دبت في أوصاله، وأصبح الموت قاب قوسين. تمايل أخيل، ثم استند إلى رمحه، وصرخ بالطرواديين متوعداً:

- الويل لكم، لسوف يحيق بكم الهلاك. لسوف أنتقم منكم حتى بعد مماتي.

ومن هول هذه الصرخة ولى الطرواديون الأدبار. لكن ضعف أخيل راح يزداد، وفقد آخر مالديه من قوة، فارتمى على الأرض، فرقعت الدروع الذهبية عليه، ومادت الأرض. مات أخيل، لكن الطرواديين لم يجرؤوا على الاقتراب منه حتى وهو ميت. وشيئاً فشيئاً بدأوا يتغلبون على مخاوفهم، ودار القتال الضاري حول جثة أعظم الأبطال. وفي هذه المعركة اشترك أقوى الأبطال من الطرفين، وتكومت الجثث جبالاً من حول أخيل، أما هو فكان يرقد دون حراك، ولم يعد يسمع ضجيج القتال. وكان يبدو وكأن القتال لن ينتهي أبداً. وفجأة قصف زوس برعوده، وثارت العاصفة، فأوقفت الطرواديين. لم يكن زوس يرغب في أن يستولي الطرواديون على جثة أخيل. رفع أجاكس تيلامونيد الجبار جثة أخيل، وحملها نحو المراكب، بينما كان أوديسيوس يحميه فيصد الطرواديين المهاجمين. أوصل أجاكس أخيل إلى المراكب. غسله اليونانيون، ومسحوه بزيت الطيب، ثم وضعوه على منصة ذات زينة فاخرة. أحاط اليونانيون بالمنصة، وراحوا يندبون بطل الأبطال، وينتفون شعرهم حزناً. سمعت الربة ثيتيس بكاءهم، فخرجت من لجة البحر مع شقيقاتها النيريئيد. وحين عرفت ثيتيس بموت ولدها الحبيب، أطلقت صرخة من قلب مفجوع، اقشعرت من هولها أبدان اليونانيين جميعاً. استمر النواح على أخيل سبعة عشر يوماً. ومن على الأولمب العالي نزلت ربات الإلهام، وهن ينشدن الأناشيد الجنائزية على شرف الميت. وفي اليوم الثامن عشر أقيمت محرقة الدفن، وعليها أحرقت جثة أخيل. وحين خمدت النار جمعت عظام أخيل،

ووضعت في وعاء ذهبي، كان ديونيزوس قد أهداه لثيتيس. وفي هذا الوعاء نفسه كانت قد وضعت عظام باترو كليس. أقام اليونانيون تلة عالية فوق القبر، كانت تبدو من مكان بعيد في البحر، دليلاً على المجد الكبير للبطلين المدفونين تحتها.

بعد الدفن أقيمت الألعاب على شرف الميت. ومن البحر جلبت الربة ثيتيس الأحجار الكريمة، لتوزع كجوائز على الفائزين في الألعاب.

موت أجاكس التيلاموني(٥٧):

بعد موت أخيل بقيت دروعه الذهبية، المصنوعة على يد الاله هيبايستوس. وقد أمرت ثيتيس بأن تعطى لذلك الذي بز الجميع في الدفاع عن جثة أخيل.

وكان من المفروض أن تعطى إما لأجاكس أو لأوديسيوس. وقد دب الخلاف بينهما من أجل الدروع. كان كلا البطلين جديراً بالمكافأة. أخيراً قررا أن يكون الطرواديون الأسرى الحكم في هذا الخلاف. وهنا أيضاً عمدت أثينا بالاس إلى مساعدة محبوبها أوديسيوس. فبمساعدتها قام أغاممنون ومينيلاوس باستبدال قرعة أجاكس، كما إنهما لم يكونا دقيقين في إحصاء أصوات الطرواديين، فكانت الدروع من نصيب أوديسيوس، مما حز في نفس أجاكس، فانصرف إلى خيمته وفي نيته أن ينتقم من ابني أتريوس ومن أوديسيوس.

خرج أجاكس تحت جنح الظلام، ومعسكر الإغريق كله يغط في سبات عميق، خرج من خيمته وسيفه في يده، وقد عزم على قتل أغاممنون ومينيلاوس. لكن الربة أثينا بالاس أصابته بمس من جنون. وكانت الربة غاضبة عليه منذ عهد بعيد، لأنه كان يرفض معونة الآلهة، ويعتمد على قوته. انقض أجاكس المجنون على قطيع الثيران، وراح يقتلها في الظلمة، ظناً منه أنه يقتل اليونانيين.

أما الثيران الباقية فقد ساقها إلى خيمته، ظناً منه أنه يسوق الأسرى. وفي خيمته سام أجاكس الثيران صنوف العذاب، وكان يتلذذ بتعذيبها وموتها، فهي بالنسبة له لم تكن ثيراناً، بل كان يظنها ابني أتريوس. أخيراً بدأ أجاكس يثوب إلى رشده رويداً رويداً. ولاتسل عما استبد به من هلع حين رأى أن كل خيمته مملوءة بالحيوانات الميتة. ويطلب أجاكس أن يوضحوا له ماذا جرى. وحين أخبروه بكل شيء كاد قلب البطل العظيم ينفطر من هول المصيبة. وقد قرر أن يكفر بموته عما لحق به من عار. وبعد أن وضع ابنه في عهدة أخيه تيفكروس والمقاتلين، الذين جاءوا من سالامين برفقته، ذهب إلى شاطىء البحر، آخذاً معه السيف، الذي سبق لهرقل أن وهبه له، وقال لرفاقه أنه ذاهب ليلتمس من الآلهة أن ترأف به وترحمه؛ أما سيفه فيود أن ينذره لهادس ولربة الليل.

انتشر خبر ماقام به أجاكس في معسكر الإغريق، وقد عثروا على الثيران والنعاج، التي قتلها، وعلى جثث الرعاة. أدرك أوديسيوس بواسطة الآثار الدامية أن كل هذا من صنع أجاكس. وقد تملك أغاممنون ومينيلاوس غضب شديد، وقررا الانتقام من أجاكس.

وفي هذا الوقت جاء رسول من عند تيفكروس، وأخبر أصدقاء أجاكس بضرورة حماية البطل العظيم لأن الموت يتهدده، وفي هذا اليوم فقط، وإذا مامر هذا اليوم بسلام فلن يبقى شيء يتهدد أجاكس. ولم يلبث أن وصل تيفكروس نفسه إلى المعسكر. وحين عرف أن أخاه قد ذهب إلى شاطىء البحر هرع للبحث عنه. كان يخاف أن يكون أجاكس قد أصيب بمكروه. وبالفعل فقد وجد أن أخاه لم يعد على قيد الحياة. فعلى شاطىء البحر لم يجد تيفكروس سوى جثة أجاكس، كان قد رمى بنفسه على سيفه. هكذا قضى بطل الإغريق الأقوى بعد أخيل.

رفض مينيلاوس وأغاممنون السماح لتيفكروس بدفن جثة أخيه. وكان يمكن أن يدب العداء السافر بين تيفكروس وابني اتريوس، فيندلع القتال بين

الأخوة في معسكر الإغريق، لو لم يتدخل أوديسيوس في الأمر. فقد أقنع أغاممنون بالسماح لتيفكروس بدفن أجاكس، الذي قدم لليونانيين الكثير من الخدمات الجليلة. ارتفعت تلة دفن جديدة قرب تلة أخيل، وتحت هذه التلة كانت ترقد رفات أجاكس الجبار ابن تيلامون.

فيلوكتيت. أيام طراودة الأخيرة[٥٨]:

بعد موت أخيل وأجاكس استمر اليونانيون في حصار طروادة، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة. وفي ذات مرة سمع أوديسيوس في كمينه كلام العراف هيلينوس، ابن بريام، حول الطريقة الكفيلة بالاستيلاء على المدينة، ومن ثم عمد إلى أسره بالمكر والحيلة. وقد استطاع أوديسيوس أن يحصل منه على أن طروادة لن تسقط إلا إذا جاء إلى قوات الاغريق فيلوكتيت حاملاً نبال هرقل المسمومة وبرفقته نيوبتوليم، ابن أخيل الشاب، وللحال قرر أوديسيوس الذهاب في هذه الرحلة البعيدة في طلب هذين البطلين.

لم يجد أوديسيوس، الذي وصل جزيرة سكيروس إلى الملك ليكوميد كبير عناء في إقناع ابن أخيل الشاب بالمشاركة في حصار طروادة. فقد كان نيوبتوليم الجميل، مثله مثل والده، يتحرق شوقاً لاجتراح المآثر العظيمة. وقد انطلق للحال برفقة أوديسيوس، وذلك على الرغم من محاولات والدته ديئيداميا إقناعه بالبقاء، وبالرغم من كل ماذرفت من دموع. لكن إقناع فيلوكتيت كان أصعب بكثير. كان فيلوكتيت يعيش على جزيرة خريس غير المأهولة، قرب ليمنوس، وحيداً في كهف ذي مدخلين، أحدهما من الشرق، والآخر من الغرب. وعبر هذين المدخلين كانت الشمس تدفيء الكهف شتاء، وفي الصيف كانت الريح تخفف من وطأة الحر فيه. وكان فيلوكتيت غالباً مايعاني من الجوع. وكان يجد

صعـوبـة كبيرة في تأمين مايقتات به، فيصطاد الحمام البري بنباله. كان الجرح في ساقـه يؤلمـه كثيراً، وبالكاد كان المسكين يتحرك لجلب الماء. وبصعوبة بالغة كان يتمكن من إضـرام النـار بضـرب حجـرين ببعضهما. عانى فيلوكتيت من الحرمان والعذاب الفظيع في جزيرة خريس على مدى عشر سنوات. ونادراً ماكان البحارة يرسـون إلى شواطىء الجـزيـرة، بيـد أن أياً منهم لم يوافق على نقل فيلوكتيت إلى اليـونـان. وكـان الـذنب في كل هذا العـذاب يعـود إلى ابني اتـريـوس وإلى أوديسيوس، فكان فيلوكتيت يكن لهم كرهاً فظيعاً. وكان بوده لو يصرعهم بنبال قوسه.

كان أوديسيـوس يعـرف أن سيلقى حتفه حتماً في حال وقعت عينا فيلوكتيت عليـه، ولـذا فقـد قرر أخـذه بالحيلة والمكـر، حيث أقنـع نيوبتوليم بالذهاب إلى فيلوكتيت، وإخبـاره أنـه عائد من تحت أسوار طروادة. وأنه ترك القوات لأن زعماء الاغـريق أهـانـوه. وفي حال طلب فيلوكتيت أخذه إلى اليونان فيجب أن يوافق، لأنـه سيكـون بالامكـان ـ بهذه الطـريقة ـ أخذ فيلوكتيت وقوسه ونباله. وحينذاك سيكون من السهل جلب فيلوكتيت إلى ضواحي طروادة. لم يكن نيوبتوليم يريد أن يلجأ إلى الخداع، لكن أوديسيوس أقنعه أن هذه هي الطريقة الوحيدة الكفيلة بجذب فيلوكتيت إلى المركب، وقد وافق ابن أخيل على ذلك.

حين وصـل المـركب إلى جزيـرة خريس، نزل نيوبتوليم إلى الشاطىء مع عدة محاربين، قاصداً الكهف، فلم يجد فيلوكتيت داخله، لكن فيلوكتيت لم يلبث أن جاء.

كان يسير نحو الكهف وهويئن بصوت عال، فقد كان جرحه يعذبه كثيراً. سر فيلوكتيت حين رأى زواره، وتضاعف سروره حين عرف أنـه أمـام نيوبتوليم، ابن أخيل. روى نيوبتوليم لفيلوكتيت القصة التي اختلقها أوديسيوس، كما حدثه عن موت أخيـل باتـروكليس وأجـاكس. حزن فيلوكتيت حين عرف بموت أولئك

الـذين أحب أكثـر من جميـع الأبطـال الآخرين . وافق فيلوكتيت على الابحار مع نيـوبتـوليم إلى اليـونـان ، حتى أنـه سلم ابن أخيـل الشاب قوسه وسهامه ، وراح يتوسل إليه أن يحميه من دهاء أوديسيوس وغدره ، كما راح يستعجله أن يبحر إلى اليونان .

وعلى غير انتظـار جاء أحـد المحـاربـين يزعم أن البطـل فينيكـوس وابني ثيسيـوس يقـتر بون لكي ينقلوا فيلوكتيت إلى عند طروادة عنوة . وعلى الرغم من آلامـه الفظيعـة فقـد أسـرع فيلوكتيت نحـو الشـاطىء . كان نيـوبتوليم يرى هذه الآلام . ولم يعد قادراً على الاستمرار في خداعه ، فيخبر فيلوكتيت بالحقيقة كلها . وهم نيـوبتـوليم بإعادة القوس والسهام لفيلوكتيت ، لكن أوديسيوس ، الذي خرج من مكمنـه على عجـل ، لم يدعـه يفعـل ذلك . أراد فيلوكتيت أن يهرب ، ويلقي بنفسـه من على قمـة الصخـور إلى البحـر ، المهم أن لايصبـح أداة طيعة في يدي أوديسيـوس الكـريـه وابني أتريوس . أوعز أوديسيوس للخدم بالإمساك بفيلوكتيت ونقله إلى المـركب بالقـوة . واستولى اليأس على فيلوكتيت . ولم يستطع نيوبتوليم أن يرى عذابـه ، فأعطى القـوس والنبـال للمسكـين . وهنا تداعت خطة أوديسيوس كلها ، حتى أنه لاذ بالفرار لينجو بجلده ، لأنه كان يعرف مدى فظاعة الموت بسهام هرقل .

قام نيـوبتـوليم بمحـاولـة أخـرى لإقنـاع فيلوكتيت بمرافقته إلى طروادة ، ومساعدة الإغريق في الاستيلاء عليها . لكن فيلوكتيت رفض بشكل قاطع ، فهو لم يستطع أن ينسى ذلك العذاب الذي جره عليه أغاممنون ، مينيلاوس وأوديسيوس . كان يبـدو أنهم سيغـادرون الجزيرة بخفي حنين ، أو أن يعود نيوبتوليم إلى الخداع والحيلة من جديد .

وفجأة ظهـر طيف هرقـل متألقـاً أمـام فيلوكتيت . وقـد أوعـز لفيلوكتيت بالـذهـاب إلى أسـوار طروادة ، وقد وعده بطل الأبطال بشفائه من جرحه وبالمجد

العظيم عند فتح طروادة، رضخ فيلوكتيت لمشيئة صديقه، فصعد إلى مركب أوديسيوس باختياره، ثم أقلع قاصداً طروادة.

اجترح نيوبتوليم الكثير من المآثر بعد وصوله إلى أسوار طروادة. ولم يكن بمقدور أحد أن يقارن بابن أخيل قوة وجرأة. فقد سقط على يديه الكثير من الطرواديين. وفي مبارزة ضارية قتل يفربيلوس الجبار ابن تيليفوس وأحد أحفاد هرقل. وكانت أمه هي التي أرسلته لمساعدة بريام، بعد أن أغرتها الهبة الثمينة - شجرة الكرمة الذهبية، التي كان زوس قد زرعها لغانيميد الجميل. وبعد ميمنون كان يفربيلوس، الرائع كالاله، الأقوى من بين المدافعين عن طروادة. لكن حب أمه للمنفعة جر عليه الموت.

بعد وصول فيلوكتيت إلى أسوار طروادة بفترة قصيرة جرح بسهمه باريس، الذي اندلعت هذه الحرب بسببه. لقد أصابه فيلوكتيت بجرح غير قابل للشفاء من سهم هرقل المسموم، وكان عذاب باريس لا يوصف، فقد راح السم ينفذ في جسمه شيئاً فشيئاً. وغادر باريس طروادة إلى الغابة، حيث مات بعد عذاب لا يطاق. لقد مات في نفس المكان الذي سبق له أن عاش فيه راعياً بسيطاً. عثر الرعاة على جثة باريس، فبكوا بلوعة موت رفيقهم القديم. أقام الرعاة محرقة عالية، ووضعوا جثة باريس فوقها، ثم أضرموا النار فيها. بعد ذلك جمعوا رفاته في وعاء، وضعوه في القبر.

يوماً بعد يوم كان دفاع الطرواديين عن المدينة يزداد صعوبة. ومع ذلك فلم يتمكن الاغريق من الاستيلاء عليها بالقوة. وحينذاك قرر أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة من جديد. فشوه وجهه بضربات السوط، ثم ارتدى الأسمال البالية، ودخل طروادة في زي شحاذ، لكي يكتشف كل مايخطط له الطرواديون. رأى الطرواديون الشحاذ المسكين، وهو يجمع الصدقات. وحدها هيلين الحسناء عرفت أوديسيوس. فدعته إلى دارها، وغسلت جسمه، ثم أقسمت أنها لن

تكشف للطرواديين عن حقيقته. تنسم أوديسيوس كل الأخبار، وعاد إلى معسكر الاغريق بسلام، بعد أن قتل العديد من الحراس. وبعد ذلك عمد أوديسيوس وديوميد إلى دخول طروادة سراً، ثم تسللا إلى معبد أثينا بالاس. وهناك كان ينتصب تمثال الربة، الذي كان قد وقع من السماء (تمثال البالاديون). كان لابد للاغريق من الحصول على هذا التمثال. فلم يكن بالإمكان الاستيلاء على المدينة مادام هذا التمثال فيها. وقد وجد البطلان صعوبة كبيرة في اختطافه. وفي طريق العودة قتلا الكثير من الطرواديين، ثم عادا إلى المعسكر.

سقــوط طــروادة[٥٩]:

ومع هذا فلم يستطع الاغريق الاستيلاء على المدينة، وحينذاك اقترح أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة، فنصح ببناء حصان خشبي ضخم، يستطيع أن يختبىء في جوفه أقوى أبطال اليونان، أما القوات الباقية فتبحر كلها، مبتعدة عن طروادة، وتختبىء خلف جزيرة تينيدوس[٦٠]. وسيقوم الطرواديون بجر الحصان إلى المدينة، وفي الليل يخرج المقاتلون من جوفه، ويفتحون أبواب المدينة للإغريق العائدين خفية. وراح أوديسيوس يؤكد أن هذا الأسلوب هو وحده الكفيل بالاستيلاء على طروادة.

وبدوره راح العراف كالخاس، الذي تلقى علامة زوس، يحاول إقناع اليونانيين باللجوء إلى المكر. أخيراً وافق اليونانيون على اقتراح أوديسيوس. قام الفنان الشهير إيبيوس وتلميذه، تساعدهما الربة أثينا بالاس ببناء حصان خشبي ضخم. وقد مليء جوف الحصان بالمقاتلين المدججين بالسلاح. وأغلق ايبيوس الشق الذي دخل منه المقاتلون بشكل متقن، بحيث لا يخطر بالبال أبداً أن

المقـاتلين موجـودون داخـل الحصـان . ومن ثم أحـرق اليـونـانيـون كل الأبنية في معسكرهم . وركبوا مراكبهم ، وانطلقوا إلى عرض البحر.

من على أسوار طروادة العالية رأى المحاصَرون حركة غير عادية في معسكر اليونانيين . ولفترة طويلة لم يعرفوا ماذا يجري هناك . وفجأة رأوا ـ والدنيا لاتسعهم من فرط السـرور، أن أعمـدة الـدخـان الكثيفـة ترتفـع فوق معسكر اليونانيين ، وادركوا أن اليونانيين قد غادروا أرض طروادة . خرج الطرواديون جميعاً من المدينة فرحـين ، واتجهـوا إلى المعسكـر . كان المعسكـر مهجـوراً بالفعـل ، وكانت الأبنية لاتـزال تحتر ق هنـا وهنـاك . وبكـل فضول راح الطرواديون يجوبون تلك الأماكن التي كانت تقوم فيها حتى عهد قريب خيام أخيل ، أغاممنون مينيلاوس وغيرهـم ، من الأبطال ، كانوا واثقين أن الحصار قد انتهى ، وأن كل المحن والأرزاء قد ولت .

وفجأة توقف الطرواديون ذاهلين إذ رأوا الحصان الخشبي . كان الطرواديون يتأملونـه وهم في حيرة من أمـر هذا البنـاء الـرائـع . بعضهم نصح بأن يلقى به في البحر، أما البعض الآخر فقد نصح بجره إلى المدينة ، ووضعه على الأوكروبل . بدأ الجدل . وهنا ظهر أمام الطرواديين ، لاوكوودن ، كاهن الإله أبولون ، وقد راح يحث مواطنيـه بكـل حماسـة على تدمـير الحصان . كان لاوكوون على ثقة أن هذه إحـدى مكـائد أوديسيوس الحربية . لم يصدق لاوكوون أن اليونانيين غادروا أرض طروادة نهائيـاً . وكم توسـل لاوكوون للطرواديين أن لايأمنوا جانب الحصان . كان لاوكوون يخاف الاغريق ، وقد تناول رمحاً ضخماً ورمى الحصان به ، فاهتز الحصان من شدة الضربة ، وأطلق السلاح في داخله رنيناً خافتاً . لكن الآلهة أعموا بصيرة الطرواديين ، فلم يسمعوا رنين السلاح ، وقرروا جر الحصان إلى المدينة .

وبينـما كان الطـرواديـون يقفون من حول الحصان أحضر الرعاة أسيراً شد وثـاقـه . إنـه اليـونـاني سينـون ، وقد راح يشكو ، وهو يذرف الدموع ، من مصيره

بمرارة. أثارت دموع سينون شفقة بريام وجميع الطرواديين، وراحوا يسألونه عمن يكون وعن سبب بقائه. وحينذاك روى لهم سينون قصة كان أوديسيوس قد ألفها له، لخداع الطرواديين، ومفادها أن الآلهة طلبوا منهم قرباناً بشرياً لكي يعودوا إلى الـوطن سالمـين. تردد كالخـاس طويلاً في اختيـار ضحيـة للآلهـة، إلى أن وقع اختياره أخيراً على سينون. وقد شد اليونانيون وثاق سينون، وقادوه إلى المذبح. لكن سينون قطع الحبل، ولاذ بالفرار للنجاة بجلده من الموت الأكيد. وقد أمضى سينون فترة طويلة مختبئاً بين نباتات القصب الكثيفة، بانتظار إقلاع الاغريق إلى الـــوطن. وحـــين أقلعـــوا خرج من مخبئـــه، وسلم نفسـه للرعـاة طوعـاً. صدق الطرواديون اليوناني الماكر، فأوعز بريام بفك وثاقه، وسأله ماذا يعني هذا الحصان الخشبي، الـــذي تركـــه الاغـريق في المعسكـر. كان سينـون ينتظـر هذا السؤ ال بالذات. وبعد أن دعا الآلهة ليكونوا شهوداً على صدق كلامه، قال بأن اليونانيين تركـوا الحصـان لكي يهدئـوا خاطر أثينا بالاس الرهيبة، التي أغضبها خطف تمثال البالاديون من طروادة. وحسب كلام سينون فإن هذا الحصان سيكون حامياً قوياً لطروادة إذا ماأدخله الطرواديون إلى المدينة. صدق الطرواديون سينون.

ومما زاد في اقتناع الطرواديين بصدق كلام سينون المعجزة التي أرسلتها أثينا بالاس. فقد ظهرت على سطح البحر حيتان هائلتان، كانتا تسبحان بسرعة نحو الشـاطيء، وهما تتلويـان بدوائـر لاتحصى على أمـواج البحر. وعلى رأسيهما كان يرتفع عالياً عرفان أحمران كالدم. وكانت عيونهما تقدح شرراً. خرجت الحيتان من البحـر قرب ذلـك المكـان الـذي كان لاوكـوون يقـدم فيـه القـربـان لإلـه البحـر بوزيـدون. تفـرق الطرواديون وقد استبد بهم الهلع. أما الحيتان فقد انقضتا على ولدي لاوكوون والتفتا عليهما. وهرع لاوكوون لنجدة ولديه، ولكن الحيتين التفتا عليـه أيضـاً، وراحتـا تمزقـان بأنيـابهما الحادة جسم لاوكوون وولديه، وراح السم يتغلغل أعمق أعمق في جسمه. كان عذاب لاوكوون وولديه فظيعاً. هكذا مات

لاوكوون لأنه أراد إنقاذ وطنه، رغماً عن أنف الآلهة. أما الحيتان فقد زحفتا، بعد أن قامتا بعملهما الفظيع، واختفيتا تحت ترس تمثال أثينا بالاس.

زاد موت لاوكوون من اقتناع الطرواديين بأن عليهم إدخال الحصان الخشبي إلى المدينة. ولما كان يستحيل إدخال الحصان الضخم عبر البوابة، فقد هدموا جانباً من سور المدينة، وراحوا يجرون الحصان بالحبال إلى المدينة وهم يغنون، ويعزفون الموسيقى تعبيراً عن فرحهم. أربع مرات توقف الحصان وهو يصطدم بالجدار لدى سحبه عبر الفجوة. ومن شدة الصدمات كان سلاح اليونانيين يقرقع داخله، لكن الطرواديين لم يسمعوا ذلك. أخيراً أوصلوا الحصان إلى الأوكروبل. وقد استبد الذعر بالعرافة كاساندره حين رأت الحصان في الاوكروبل، وتنبأت بدمار طروادة. لكن الطرواديين ردوا عليها ضاحكين، فهم لم يكونوا يصدقون نبوءاتها.

كان اليونانيون جالسين في جوف الحصان في صمت مطبق، وقد تحولوا إلى آذان مرهفة لتلقف كل صوت يأتي من الخارج. وقد سمعوا هيلين الحسناء، وهي تناديهم بأسمائهم، مقلدة أصوات زوجاتهم. وبالكاد استطاع أوديسيوس منع أحد الأبطال من الرد عليها. بأن كم فمه. كما سمع اليونانيون هتافات الفرح، التي أطلقها الطرواديون وصخب الاحتفالات المرحة بمناسبة انتهاء الحصار. أخيراً حل الليل، وهدأ كل شيء، وغطت طروادة في سبات عميق. وعند الحصان الخشبي سمع صوت سينون، لقد أعطى للمقاتلين الإشارة بأن بإمكانهم أن يخرجوا.

وقد تمكن سينون من إقامة محرقة كبيرة عند بوابة طروادة، كإشارة لليونانيين المختبئين خلف تندوس، لكي يسرعوا بدخول المدينة. خرج اليونانيون من الحصان بهدوء، محاذرين إحداث ضجة، وكان أوديسيوس وايبييوس أول الخارجين. انتشر المقاتلون في دروب المدينة النائمة، واشتعلت النار في البيوت، في

الـوقت الـذي اقتحمت فيـه القـوات اليـونـانيـة المدينة عبر الثغرة. بدأت المعركة الهـائلة. كان الطـرواديـون يدافعـون عن أنفسهم بكـل ماتيسر لهم، كانوا يرمون اليـونـانيـين بالجمـر بالطـاولات بسقـط المتـاع، ويقاتلون بالسفود، التي كانوا قد استخـدمـوهـا لتـوهم في شي اللحـوم للمأدبـة. لم يرحم اليـونانيون أحداً. وكان الطـرواديون يدافعون ببطولة اليائس. وازدادت ضراوة الاقتحام لدى اليونانيين. كسر نيوبتوليم بوابة القصر بالبلطة وكان أول من اقتحمه. امتلأ قصر بريام بنحيب النساء وبكاء الأطفال. ولدى مذبح الآلهة اجتمعت بنات بريام وزوجات أبنائه، ظنـاً منهن أن المذبح سيحميهن. وأراد بريام، المسربل بالدروع، أن يدافع عنهن، أو يسقط في القتال، لكن هيكوب راحت تتوسل إلى الملك الكهل أن يبحث عن الحـمايـة عنـد المذبح. وبطعنة من رمحه جندل نيوبتوليم بوليتوس على الأرض عند أقـدام أبيـه. رمى بريام نيوبتوليم برمحه، لكنه ارتد ـ كالعصا الخفيفة ـ عن دروع ابن أخيـل. وفي ثورة غضبـه أمسـك نيـوبتوليم ببر يام من شعره الشائب، وطعنه بسيفـه في صدره. مات بريـام في القصـر الـذي عاش فيـه سنـوات عديـدة يحكم طروادة العظيمة. ولم ينج أحد من أبنائه حتى حفيده، استياناكوس، ابن هكتور. انتـزع من أحضـان أنـدرومـاك المسكينة، وألقي به من فوق أسوار طروادة. وكان مينيـلاوس قد هم من شدة غضبـه بقتـل هيلين الحسناء، لكن أغاممنون حال بينه وبـين ذلـك. ومن جديـد أيقظت الربة أفروديت حب هيلين في صدر مينيلاوس، وهكذا فقد قادها بكل مهابة باتجاه مركبه.

حاولت العـرافـة كاسـانـدره، ابنة بريام، اللجوء إلى معبد أثينا بالاس. وارتمت على تمثـال أثينـا، واحتضنتـه بيـديهـا. لكن أجاكس أمسك بها بفظاظة، وجذبها بقوة بعيداً عن التمثال لدرجة أن التمثال المقدس سقط على أرض المعبد، وتحطم. غضب اليونانيون من أجاكس، كما غضبت منه الربة العظيمة، وفيما بعد كان انتقامها من أجاكس على هذا قاسياً.

لم ينج من جميع أبطال طروادة سوى إينياس، الذي حمل من طروادة على يديه أباه العجوز أنخيس وابنه الصغير اسكاني. كما عفا اليونانيون عن البطل الطروادي أنتينور لأنه كان ينصح الطرواديين باستمرار أن يعيدوا لليونانيين هيلين الحسناء والكنوز التي نهبها باريس إلى مينيلاوس.

ظلت النيران مشتعلة في طروادة لفترة طويلة، وكانت أعمدة الدخان تصل إلى عنان السماء، وكان حريق طروادة يشاهد من بعيد. وقد عرفت الأقوام المجاورة من أعمدة الدخان ومن الحريق الكبير ليلاً بسقوط طروادة، التي ظلت لفترة طويلة المدينة الأقوى في آسيا.

عودة الإغريق إلى بلادهم[٦١]:

استولى اليونانيون على الكثير من الغنائم في طروادة. وقد حمل اليونانيون معهم الكثير من الذهب والفضة وسقط المتاع، وعدداً لا يحصى من الأسيرات الحسناوات.

حين رست مراكب اليونانيين إلى الساحل المقابل لهيليسبونت ظهر لهم طيف أخيل العظيم. وطالب البطل بأن يضحى له ببوليكسينا، ابنة بريام الحسناء، والتي سبق أن وعد بها له زوجة. لكن أغاممنون لم يرغب في تسليم بوليكسينا. وقد راحت كاساندره تتوسل إليه أن يرحم أختها. لكن أوديسيوس أصر على هذه التضحية، مذكراً بالخدمات الجليلة التي قدمها أخيل لليونانيين أثناء حصار طروادة. ثم إن بوليكسينا نفسها كانت مستعدة لأن تقدم نفسها ضحية، فقد كانت تعرف أن في ذلك نجاتها من العبودية القاسية في أرض الغربة. مشت بوليكسينا بكل هدوء نحو المذبح، وكان الكاهن ينتظرها بجواره وسكين القربان في يده. لكنها لم تسمح للشاب، الذي كان سيقودها إلى الموت أن

يمسهـا، فهي لم ترغب بالنـزول إلى مملكـة هادس امـة. بل اقـتر بت من المـذبح بنفسها، وبنفسها كشفت عن صدرها، فتضرج بالدم الحار مذبح أخيل(٦٢).

بعـد أن تمت التضحيـة ببـوليكسينا استأنف اليونانيون رحلتهم البعيدة إلى الـوطن، وقـد تعـرضـوا للكثـير من المحن والأرزاء في طريق العـودة، فقـد هلك الكثير ون من الأبطال قبل أن تكتحل أعينهم برؤ ية الوطن.

وكانت أثينا بالاس الغاضبة قد أثارت الخلاف بين مينيلاوس وأغاممنون في أثناء تدمير طروادة. كان مينيلاوس يريد الابحار إلى اليونان على جناح السرعة، بينـما كان أغـاممنـون يصـر على بقـاء اليـونـانيـين في طروادة إلى أن يستر حموا أثينا بالضحايا. ولم يكن أغاممنون يدري أن لاشيء يمكن أن يخفف من غضب الربة. وهكذا فقد أبحر قسم من المراكب اليونانية مغادراً طروادة، بعد أن أخذ حصته من الغنيمـة الكبـيرة. فقد أبحر نسطور، ديوميد، نيوبتوليم ايدومينيوس وفيلوكتيت. وبعد هؤلاء بفترة قصيرة غادر مينيلاوس، الذي لحق بنسطور وديوميد في جزيرة ليسبوس.

من ليسبـوس أقلع اليـونـانيـون باتجـاه جزيرة أثبيا، وفي هذه الجزيرة قدموا ضحيـة للالـه بوزيدون عند الرأس المنذور للاله هيفستوس، ثم تابعوا طريقهم. وبعـد أربعـة أيـام وصـل نسطـور إلى بيلوس وديـوميـد إلى أرغـوس. كما نجـح إيدومينيوس وفيلوكتيت بالعودة إلى الوطن بسلام.

أما مينيلاوس فقد عانى من الكثير من المصائب، فحين بدأت مراكبه تلف حول رأس ماليوس الخطير (الطرف الجنوبي - الغربي للاكونيا) سلط عليه زوس عاصفـة هوجـاء، دفعت بقسم من مراكب مينيلاوس إلى كريت، حيث تحطمت على الصخـور، وبـالكـاد استطـاع اليـونـانيـون، الموجودون على متنها، النجاة بأرواحهم. أمـا المـراكب البـاقيـة، التي كان مينيـلاوس على أحدها، فقد ظلت

أمــواج البحــر تتقــاذفهــا طويــلاً إلى أن وصلت أخـيراً سواحـل مصـر. أمضى مينيلاوس سبع سنوات طويلة يطوف بين الأقوام الغريبة. وقد حصل على الكثير من الهبـات، وجمـع الثـروات الطـائلة. أخـيراً، وفي طريق العودة من مصر، رسا مينيلاوس إلى جزيرة فاروس[٦٣]. وفي هذه الجزيرة أمضى مينيلاوس عشرين يوماً بانتظار الريح المواتية. كانت الجزيرة قاحلة. وأوشكت المؤونة أن تنضب، وأصبح الموت جوعاً يتهدد الجميع. وكانت الربة ايدوفيا، ابنة إله البحر بروتيوس[٦٤]، هي التي أنقـذت مينيـلاوس ورفاقه. فقد تجلت لمينيلاوس، وعلمته كيف يسيطر على بروتيـوس، ويجـبره على الكشف عن مشيئـة الآلهـة. وفي الصبـاح البـاكـر توجه مينيـلاوس إلى شـاطئ البحـر برفقـة ثلاثـة أبطـال أقـوياء. وهناك كانت ايدوفيا تنتظـرهـم ومعهـا أربعـة جلود من جلود الفقمـة. ألبست ايدوفيا مينيلاوس ورفاقه هذه الجلود، وطلت أنـوفهم بالأمـبر وزيـا لكي لاتعـذبهم رائحة الجلود الكريهة. رقـد مينيـلاوس ورفاقه على شاطئ البحر دون حراك. أخيراً خرج بروتيوس مع قطيـع الفقمـة. وبعد أن أحصى عدد الفقمات استلقى على الرمل وغفا. انقض مينيلاوس ورفاقه على بروتيوس، وبدأ القتال الضاري. تحول بروتيوس إلى أسد فأفعى فنمـر فخنـزيـر بري، ثم إلى ماء فشجـرة، لكن مينيـلاوس ورفـاقـه ظلوا يمسكــون به بقــوة. أخـيراً رضـخ العجـوز، وعـاد إلى هيئتـه الأولى، ثم سأل مينيلاوس عما يريد أن يعرف منه. وسأل مينيلاوس الشيخ البحري مَن مِنَ الآلهة غاضب عليه فلا يرسل له ريحاً مواتية. فأوعز بروتيوس لمينيلاوس بالعودة إلى مصر ليقـدم القـرابـين للآلهة، وحينذاك فقط سيرضى عنه الآلهة، ويمكنونه من العودة إلى وطنـه بســلام. كما تنبأ العـراف بروتيـوس لمينيـلاوس بمصـيره ومصير زوجته هيلين، وكشف له عن كل ماينتظـر كل يونـاني في طريق العـودة من طروادة. نفـذ مينيـلاوس ماأمـره به بروتيـوس فعاد إلى مصر، وقدم الضحايا للآلهة، فأرسل له الآلهـة ريحـاً مواتيـة، وعـاد بســلام إلى وطنـه أسبـارطة، حيث عاش حياة طويلة

وسعيدة. وبعد الموت نقل مينيلاوس وزوجته، هيلين الحسناء، إلى جزر السعداء، حيث يعيشان خالدين لايعرفان الحزن.

وبدوره صادف الملك أغاممنون الكثير من المخاطر لدى عودته إلى الوطن، فقد وصل هوومرافقوه إلى سواحل أثبيا، وهنا، عند رأس هيرا، هبت عاصفة هوجاء، أرسلتها الربة أثينا، الغاضبة من اليونانيين. وبالكاد تمكنت مراكب أغاممنون من النجاة من الهلاك، ووصلت أخيراً إلى سواحل الوطن. لكن عودة أغاممنون إلى ميسين، الغنية بالذهب، كانت نحساً عليه. فهناك كان يترصده الموت على يد زوجته الخائنة كليتمينسترة[٦٥].

هوامش

١ ـ اقتبسنا أساطير الملحمة الطروادية من ملحمة هوميروس، «الالياذة» ومن تراجيديات سوفوكل «أجاكس» «فيلوكتيد» ويوربيدس «ايفيجينيا في تاوريس» «أندروماخي» «هيكوب» وملحمتي «الانيادة» لفرجيل و«البطلات» لأوفيديوس وعدد من المؤلفات الأخرى.

٢ ـ مقاطعة في غرب اليونان الأوسط.

٣ ـ حاضرة لاكونيا في البيلوبونيز.

٤ ـ ومن هنا يقال: «تفاحة الفتنة أو الشقاق».

٥ ـ زوجة بريام أنجبت له ١٩ صبياً (أكبرهم هكتور) ونفس العدد من البنات. بعد سقوط طروادة استرقها أوليس.

٦ ـ أحب أبولون كساندرا فرزقها موهبة التنبؤ، لكن كساندرا رفضت حبه فانتقم أبولون منها بأن جعل الجميع لايصدقون تنبؤاتها.

٧ ـ كان هيلينوس يتمتع بموهبة العرافة، وكان يعرف بسقوط طروادة المنتظر.

٨ ـ نسبة إلى مقاطعة لقريا في اليونان الأوسط، بين بيوتيا وايتوليا.

٩ ـ عراف مشهور، اشترك في حملة طروادة، وقد تنبأ أن حرب طروادة ستستمر عشر سنوات.

١٠ ـ جزيرة في بحر إيجه تقع شمال شرق جزيرة أثبيا.

١١ ـ في فتوته المبكرة قتل باتروكليس خطأ أحد أقرانه فاضطر للهرب إلى فتيوتيد، حيث تصادق مع أخيل، وأصبح وصيفه المخلص.

١٢ ـ شيخ تسالي علم أخيل الفصاحة وفن الحرب.

١٣ ـ بنات أطلس السبع تحولن إلى برج، يعرفن بام الفيرجيلات لدى الرومان.

١٤ ـ أول ملك طروادي، وينتسب الطرواديون إليه فيعرفون باسم «التوسريون».

١٥ ـ بلاد في شمال غرب آسيا الصغرى حاضرتها بيرغام.

١٦ ـ مدينة على المضيق الذي يفصل بين جزيرة أثبيا واليونان الأوسط.

١٧ ـ أسلوب البلاغة الملحمية. بهدف اعطاء إحساس بضخامة الحرب القادمة. أما في الواقع فلم يكن عدد المحاربين كبيراً إلى هذا الحد.

١٨ ـ ابن هرقل من أوجيه ابنة الملك الاركادي، أرضعته غزالة أرتيميس، أصبح رائد ملوك البيرغاميين.

١٩ ـ عن تراجيديا يوربيديس «إفجينيا في أوليس».

٢٠ ـ شبه جزيرة القرم حالياً.

٢١ ـ عن أعمال مختلفة لكتاب قدامى. أما مشهد موت بالاميد فمأخوذ من ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٢٢ ـ ملك تساليا. بعد موت بروتيسيلاوس توسلت زوجته لاوداميا إلى الهة العالم السفلي أن يعيدوا لها زوجها للقاء قصير، ومن ثم اقتفت أثره إلى العالم السفلي.

٢٣ ـ مدينة في ميزيا تحمل نفس اسم حاضرة بيوتيا وطيبة المصرية، مكانها غير معروف بدقة

٢٤ ـ كان اليونانيون يعتقدون أن أرواح الموتى، الذين يحرمون من الدفن، كانت لاتكف عن التطواف، ولاتجد لنفسها مكاناً آمناً. ولذا فقد كان الحرمان من الدفن يعتبر أكبر تدنيس للميت.

٢٥ ـ بريسا ـ ابنة بريسيس ملك الليليج.

٢٦ ـ لدى عودة اليونانيين من تحت أسوار طروادة أشعل نوبليوس المنارة المزيفة. مما أدى إلى تحطم الكثير من المراكب اليونانية.

٢٧ ـ عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٢٨ ـ الاثيوبيون عند هوميروس هم الشعوب السعيدة المباركة والمعمرة، التي كانت تقطن سواحل المحيط المنذورة لهيليوس. في العام العاشر لحرب طروادة جاء مينون، ملك الاثيوبيين إلى تحت أسوار طروادة لمساعدة بريام، فقتل على يد أخيل.

٢٩ ـ Acheens طائفة يطلق اسمها توسعاً على طوائف الاغريق.

٣٠ - عن «اليـاذة» هومـيروس. ثيـرسيت مقاتـل يونـاني نفر، يصوره هوميروس شريراً وثرثاراً بشعاً. وهنا يعبر هوميروس عن مصالح الزعماء، الذين كان ثيرسيت ضدهم.

٣١ - ريح الجنوب وريح الشرق.

٣٢ - اسم نهر يجري بالقرب من طروادة.

٣٣ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٣٤ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٣٥ - بطـل طروادي، ابن أفـروديت وأنخيس (حفيـد الملك ايلوس الطـروادي)، ولد في جبل إيـدا وتـربى على أيـدي الحـوريـات، أثناء عودته من حصار طروادة استقر البطل، بعد الكثير من المغامرات والرحلات، في ايطاليا، حيث أسست ذريته روما.

٣٦ - ربة الحرب الدموية. مخربة المدن، وصيفة أريس.

٣٧ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٣٨ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٣٩ - عن ملحمة هوميروس «الألياذة».

٤٠ - جبل في آسيا الصغرى، إلى الشرق من طروادة في فريجيا الجنوبية ـ الغربية.

٤١ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٢ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٣ - ربـة الشقـاق، أخت أريس ورفيقته، أم المشادات، المصائب والجوع وغيرها. تقابلها في الأساطير الرومانية ديسكورويه رفيقة ربة الحرب بيلونه.

٤٤ - بطل طروادي وعراف، صديق هكتور، تميز بفصاحته ورجاحة عقله.

٤٥ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٦ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٧ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٨ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٤٩ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٥٠ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٥١ - عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٥٢ ـ عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٥٣ ـ عن ملحمة هوميروس «الالياذة».

٥٤ ـ عن ملحمة أوفيديوس «البطلات» وفرجيل «الانيادة».

٥٥ ـ عن ملاحم «الاوذيسة» (هوميروس)، «التيفوني» (هسيود) و«الانيادة» (فرجيل).

٥٦ ـ كان الكعب نقطة الضعف الوحيدة في جسم أخيل، إن مياه نهر ستيكس الجوفي لم تلامسه، وكانت الربة ثيتيس قد غطست أخيل وهو طفل صغير في مياه هذا النهر، لكي تجعله خالداً، وكانت تمسك بالطفل من كعبه. ومن هنا عبارة «كعب أخيل» ـ أي نقطة الضعف.

٥٧ ـ عن تراجيديا سوفوكليس «أجاكس غاضباً».

٥٨ ـ عن تراجيديا سوفوكل «فيلوكتيت».

٥٩ ـ عن ملحمة فرجيل «الانيادة».

٦٠ ـ جزيرة في بحر إيجه قرب سواحل طروادة.

٦١ ـ عن تراجيديا يوربيدس «أندروماك» و«هيكوب».

٦٢ ـ إن حكايات مابعد هوميروس تجعل بوليكسينا سبب هلاك أخيل، الذي جاء إلى معبد أبولون للقائها (أو للزواج بها) وهناك قتله باريس.

٦٣ ـ جزيرة صغيرة عند السواحل المصرية، وفيها بعد اشتهرت منارة فاروس، التي اعتبرت واحدة من عجائب الدنيا السبع.

٦٤ ـ إله بحري تابع لبوزيدون، شيخ، قادر على اتخاذ أية هيئة، عراف، كان يقطن جزيرة فاروس، حيث كان يرعى قطعان بوزيدون من الفقمة.

٦٥ ـ انظر «أغاممنون وأوريست».

أوديســـــيــوس

أوديسيوس عند الحورية كاليبسو[١]

واجه أوديسيوس الكثير من المصائب القاسية والأخطار في طريق عودته من حصـار طروادة، وأضـاع جميـع رفـاق الـدرب، فقد هلكوا جميعاً، ولم يرحم القدر الغاشم أيا منهم. وبعد رحلة طويلة وجد نفسه في جزيرة أوجيجيا[٢] عند الحورية كاليبسو[٣]. وقد اضطر أوديسيوس إلى قضاء سبع سنوات طويلة في العذاب عند السـاحـرة الجبـارة. وحـل العام الثامن. فشده الشوق إلى موطنه[٤] وإلى أسرته، لكن كاليبسو لم تتركـه وشأنـه. أخـيراً رثى آلهة الأولمب له، وقرر زوس في اجتماع الآلهة، بنـاء على طلـب ابنتـه أثينـا بالاس، أن يعيد أوديسيوس إلى وطنه، على الـرغم من أن بوزيـدون، إلـه البحـر كان لايكف يطـارد أوديسيوس في كل أرجاء البحر، ويصب عليه جام غضبه لأنه أعمى ابنه السيكلوب بوليفيم.

في ايثاكه الخطاب يعيثون فساداً في غياب أوديسيوس وينهبون أملاكه[٥]:

حين قرر الآلهة إعادة أوديسيوس إلى موطنه سارعت الربة المحاربة أثينا بالهبوط من الأولمب العالي إلى الأرض، في إيثاكه، وقصدت دار أوديسيوس في هيئة منتيس[٦] ملك التفيانيين. وفي البيت وجدت الخطاب الهائجين، الذين جاءوا يخطبون بنلوبة، زوجة أوديسيوس[٧]. كان الخطاب جالسين في صالة المآدب، وهم يلعبون بالأكعاب. كان تليماخ، ابن أوديسيوس، أول من رأى أثينا. وقد استقبل تليماخ منتيس المزيف بالترحاب، ثم قاده إلى البيت، وأجلسه إلى مائدة منفردة. بدأت المأدبة. وحين شبع الخطاب نادوا المنشد فيميوس لكي يسليهم بأغانيه. أما تليماخ فقد راح يشكو لمنتيس، بحيث لايسمعه الخطاب، من تلك المصائب، التي يتحملها بسببهم. وسأل تليماخ الضيف عن هويته، فادعت أثينا بالاس أنها منتيس، وأنها كانت تعرف أباه، وترى أنه شبيه به، ثم سألت تليماخ عما إذا كانوا يحتفلون بأحد الأعياد، ولماذا يعربد ضيوفه هكذا؟ فحدثها تليماخ كيف يحاول الخطاب إرغام والدته بنلوبة على اختيار أحدهم زوجاً لها. كما حدثها عن فسادهم وعن نهبهم لأملاك أوديسيوس. كان تليماخ حزيناً لأن غيبة والده أوديسيوس قد طالت، وكان على ثقة من أن عودة أبيه ستضع حداً لكل مصائبه.

أصغت أثينا لحديث تليماخ، ثم نصحته بالسفر إلى الشيخ نسطور في بيلوس، وإلى مينيلاوس ملك أسبارطة ليعرف منهما ماجرى لأبيه أوديسيوس. ولم تكد أثينا تسدي له هذه النصيحة حتى تحولت إلى طائر، واختفت. وحينذاك أدرك تليماخ أنه إنما تحدث إلى إحدى الربات.

وفي هذا الوقت نزلت بنلوبه من مخدعها إلى صالة المآدب في الأسفل. فقد

سمعت فيميوس، وهو يغني عن عودة الأبطال من حصار طروادة، فراحت ترجوه أن يتوقف عن هذا الغناء الحزين. لكن تليماخ طلب منها أن لاتتدخل في الأمور التي لاتخصها، وقال إنه هو الشخص الوحيد الذي يأمر وينهى في بيت والده أوديسيوس. أصغت بنلوبة لقول ابنها، ثم عادت إلى مخدعها بإذعان، وإذ تذكرت أوديسيوس أجهشت بالبكاء، وأخيراً جعلتها الربة أثينا تستسلم لسلطان الكرى.

أما الخطاب فقد بدأوا، بعد انصراف بنلوبة، يتجادلون من سيكون منهم زوجاً لها. لكن تليماخ لم يلبث أن قاطعهم بقوله أنه سيلجأ إلى المجلس لكي يمنعهم من جر الافلاس على بيته. كما هددهم تليماخ بسخط الآلهة. لكن تهديداته لم تؤثر على الخطاب، فقد تابعوا ضجيجهم كأن شيئاً لم يكن. ولم يتفرقوا إلا في وقت متأخر من الليل.

وبدوره ذهب تليماخ إلى مخدعه، ترافقه العجوز أوريكليا، خادمة أوديسيوس المخلصة. والتي تربى تليماخ على يديها. وهناك رقد ابن أوديسيوس على سريره. لكن تليماخ أمضى الليل بطوله لم يغمض له جفن، فقد كانت النصيحة، التي أسدتها له أثينا شغله الشاغل.

في الصباح الباكر من اليوم التالي أوعز تليماخ للمنادين بالدعوة إلى عقد المجلس. وقد التأم المجلس بسرعة. ولم يلبث أن جاء تليماخ لحضور المجلس. وكان من الروعة بحيث أن جميع المجتمعين راحوا يتأملونه بإعجاب. وقد أفسح له شيوخ إيثاكه الطريق، فجلس مكان أبيه. وخاطب تليماخ القوم راجياً أن يحموه من عربدة الخطاب، الذين ينهبون داره.

بعد أن أنهى كلمته الغاضبة جلس في مكانه مطرق الرأس، وراحت الدموع تتدحرج من عينيه. فران الصمت على المجلس كله، لكن أحد الخطاب، وهو أنطينوس، راح يرد على تليماخ بوقاحة. فقد لام بنلوبة على ذلك

المكـر الـذي لجأت إليـه لكي تتجنب الزواج بأي من الخطاب. فقد قالت لهم أنها ستختار زوجاً لنفسها بعد أن تنتهي من حياكة هذا النسيج الغالي، إن بنلوبة تحوك النسيج نهاراً، لكنها لاتلبث أن تحل في الليل ماتمكنت من حوكه في النهار[٨]. وهدد أنطينـوس بأن الخطـاب لن يغـادروا دار أوديسيـوس إلى أن تختـار بنلوبـة لنفسهـا زوجاً. ونادى تليماخ زوس ليكون شاهداً على مايتحمل على أيدي الخطاب من إهانات، ومايلحقون به من ضرر. استجاب زوس ـ قاذف الصواعق ـ لنداء تليماخ، وأرسـل إشـارة. فقـد طار فوق الحضور نسران، راحا يحلقان على ارتفاع شاهق، وهما يتعاركان، وقد مزق كل منهما صدر الآخر وعنقه، ولم يلبثا أن اختفيا عن أعين القـوم الحيـارى. وقـال عراف الطيور اليثر للقوم أن هذه الإشارة تبشر بقرب عودة أوديسيـوس، والـويـل حينذاك للخطاب. لسوف يعود أوديسيوس متنكراً، وينزل أشد العقاب بمن ينهب بيته.

وأعلن الخطـاب بكـل فخـر أنهم لايخـافـون أحـداً، لاتليماخ، ولا الطيور العرافة، ولا أوديسيوس.

لم يعـد تليـماخ إلى محاولاتـه الـراميـة إلى اقنـاع الخطـاب بالتـوقف عن عربدتهم. وطلب من القوم أن يعطوه مركباً سريعاً ليتمكن من الإبحار على متنه إلى نسطـور في بيلوس، حيث كان يأمـل في أن يتنسم الأخبـار عن أبيه. ولم يؤيد تليماخ إلا منطور العاقل، صديق أوديسيوس[٩].

انصـرف تليـماخ وهـو في غاية الحزن إلى الشاطىء. وهناك راح يتوسل إلى الربة أثينا. وتجلت له أثينا في هيئة منطور، وقد نصحته أن يترك الخطاب وشأنهم، لأنهم بعماهـم يحفـرون قبورهم بأيديهم، فنهايتهم تقترب رويداً رويداً، ووعدته الـربـة بالعثور له على مركب وبمرافقته إلى بيلوس. كما أمرته الربة بالذهاب إلى البيت وإعداد كل ماهو ضروري لسفرة طويلة.

لم يخبر تليماخ بنيته بالسفر إلى بيلوس إلا أوريكليا، ورجاها أن تهتم بوالدته

في غيابه. وراحت الخادمة المخلصة تتوسل إلى تليماخ أن لايغادر إيثاكه، فقد كانت تخاف عليه من الهلاك، لكنه ظل متشبثاً بقراره.

دخلت أثينا القاعة، حيث يحتفل الخطاب، خفية، وسلطت عليهم سلطان الكرى، فراحوا في سبات عميق. ومن ثم أخرجت تليماخ من القصر، وسارت به نحو المركب. وبسرعة أحضر رفاق تليماخ المؤونة، التي أعدتها أوريكليا، ثم شحنوها على المركب. وأرسلت أثينا ريحاً مواتية فاندفع المركب إلى عرض البحر بسرعة.

تليماخ عند نسطور ومينيلاوس[10]:

أرسلت أثينا لتليماخ رحلة بحرية رائعة. ففي اليوم التالي وصلت سفينة تليماخ بيلوس[11]. وقد وجد تليماخ جميع القوم يحتفلون بالتضحية لإله البحر بوزيدون. كان البيلوسيون قد نحروا الكثير من الثيران، وأعدوا مأدبة سخية. وحين بدأ الخدم يقدمون الطعام رأى نسطور الغرباء القادمين وفي طليعتهم الربة أثينا بالاس في هيئة منطور. رحب ملك بيلوس الكهل بالغرباء، ودعاهم ابنه بيزيسترات لمشاركتهم المأدبة. قدم بيزيسترات لأثينا قدح الخمرة، وطلب منها أن تشرب نخب الرب بوزيدون، سرت أثينا أن بيزيسترات الشاب قد كرمها بالقدح الأول.

عند انتهاء الاحتفال سأل نسطور الغرباء من أين هم آتون، فأجاب تليماخ أنه ابن أوديسيوس، وقد جاء إلى بيلوس لكي يتنسم أخبار أبيه. سر نسطور إذ عرف أن الشاب ابن أوديسيوس، الذي كان يحترمه أكثر من جميع الأبطال بسبب رجاحة عقله. حدث نسطور تليماخ بكل المصائب والمحن، التي واجهها اليونانيون في طريقهم من طروادة. لكنه لم يستطع أن يخبره بشيء عن أوديسيوس. ونصحه

الشيخ الحكيم بالعودة سريعاً إلى البيت، على أن يقوم قبل ذلك بزيارة الملك مينيلاوس، لأنه كان آخر من عاد إلى الوطن، ومن المحتمل أن تكون لديه بعض الأخبار عن أوديسيوس. كان نسطور على يقين أن الآلهة، وأثينا بخاصة، سوف تساعد ابن أوديسيوس.

أرخى الليل سدوله، فهم تليماخ بالعودة إلى مركبه، لكن نسطور لم يتركه، كان يريد أن يقضي ابن أوديسيوس الليل في قصره.

وفي صباح اليوم التالي ضحى نسطور للربة أثينا بعجلة، ذات قرنين مذهبين. وبعد تقديم القربان والاحتفال شد أبناء نسطور الجياد إلى المركبة. وقد صعد إلى متنها تليماخ وبيزيسترات وانطلقا قاصدين مينيلاوس.

كانت الجياد تجري بسرعة، ومع حلول المساء وصل المسافران مدينة فيريا[١٢]، حيث كان يعيش البطل ديوكليس، الذي أمضى البطلان الليل في ضيافته، ولم يكد ينبلج الفجر حتى تابعا طريقهما، حيث وصلا اسبارطة مع حلول المساء.

اتفق عند وصول تليماخ وبيزيسترات إلى اسبارطة ان كان مينيلاوس يحتفل بتجهيز ابنته [هرميونة ابنة هيلين الحسناء ـ المترجم] لارسالها إلى نيوبتوليم ابن أخيل، وكان قد وعده في طروادة بأن يزوجها له. ولما كان مينيلاوس قد مر بالكثير من المحن فقد كان لايضن بحسن الضيافة على أحد. هرع الخدم لتنفيذ أوامر الملك. وبعد أن فك الخدم الجياد، رافقوا الغريبين إلى القصر. دخل تليماخ وبيزيسترات قاعة الاحتفالات، بعد أن اغتسلا في طستين رائعين، وارتديا الثياب النظيفة.

كان الاحتفال الذي أحياه مينيلاوس سخياً. ومن شدة إعجاب تليماخ بروعة قصر مينيلاوس انحنى على بيزيسترات، وقال له بصوت خافت إنه لم يسبق له أن رأى مثل هذه الأبهة، وأنه يعتقد أنه لايوجد أفخم منه إلا قصر زوس

نفسه . وحين سمع مينيلاوس قول تليماخ قال ، وهو يبتسم ، إنه إذا كانت فخامة قصره عظيمة ، فإن أعماله أيضاً كانت جليلة ، كما كانت كبيرة تلك المخاطر ، التي واجهها ، وهو يجني هذه الثروة . ولكن هذه المخاطر الكبيرة لاتقارن بتلك المحن ، التي رزيء بها أوديسيوس . بكى تليماخ حين سمع الكلام يدور عن أبيه . وفي هذا الوقت دخلت هيلين الحسناء ، زوجة مينيلاوس . ولم تكد تنظر إلى الغريبين حتى أذهلها الشبه الكبير بين أحدهما وبين أوديسيوس ، فأخبرت مينيلاوس بالأمر . وحين سمع بيزيسترات كلامها قال إن صديقه هو فعلاً تليماخ بن أوديسيوس . فرح مينيلاوس بذلك . فإلى جانبه يجلس ابن صديقه الحبيب . وبدأ يتذكر مآثر أوديسيوس ، ومامر به من محن إبان حصار طروادة . كما تذكرت هيلين أوديسيوس . ولدى سماع هذه الذكريات عن والده طفرت الدموع من عيني تليماخ من جديد . ولكن الاحتفال انتهى ، فأجل ملك اسبارطة الحديث مع تليماخ إلى اليوم التالي .

في الصباح الباكر سأل الملك مينيلاوس تليماخ عن سبب قدومه إلى اسبارطة ، فأجاب تليماخ أنه جاء أسبارطة ليعرف ماحل بأبيه . وهنا أخبر مينيلاوس ابن أوديسيوس أن بروتيوس ، إله البحر ، كشف له عن مصير الأبطال ، الذين عادوا من حصار طروادة . وأوديسيوس ـ كما قال له بروتيوس ـ يتعذب في الأسر في جزيرة الحورية كاليبسو . وهذا كل مااستطاع مينيلاوس أن يذكره لتليماخ عن أبيه . وراح ملك أسبارطة يرجو من تليماخ البقاء في ضيافته ، لكن تليماخ رجاه أن لايؤخره ، ويتركه يعود إلى دياره على جناح السرعة .

مؤامرة الخطاب ضد تليماخ[١٣] :

بينما كان تليماخ في بيلوس وأسبارطة عرف الخطاب أن تليماخ غادر إيثاكه . خاف الخطاب لأنهم اعتقدوا أن تليماخ قد سافر إلى بيلوس وأسبارطة في طلب

النجدة. وقد نصحهم أنطينوس بتجهيز مركب، والوقوف به في عرض البحر، بانتظار تليماخ، للهجوم عليه بغتة وقتله.

اكتشفت بنلوبة هذه الخطة الماكرة، فاستولى عليها اليأس ولم تكن - بدورها - تعرف أن تليماخ غادر إيثاكه. وهمت بنلوبة بإرسال الخادم إلى الشيخ لايرت، والد أوديسيوس. لإخباره بالخطر الذي يتهدد حفيده، لكن الخادمة أوركليا حالت بينها وبين القيام بذلك، ونصحت بنلوبة بالاستغاثة بالربة أثينا. عملت الملكة بنصيحة أوريكليا، فقدمت قرباناً للربة، وراحت تستنجد بها، ومن ثم رقدت في سريرها الفاخر ونامت. سمعت الربة أثينا لتوسلاتها، فأرسلت لبنلوبة في المنام طيف اختها إفتيما، يبشرها بأن تليماخ سوف ينجو.

أوديسيوس يغادر جزيرة الحورية كاليبسو[١٤]:

قرر الآلهة في اجتماعهم أن على أثينا أن تساعد تليماخ في العودة إلى الوطن سالماً، وعدم تمكين الخطاب من مهاجمته. وكان على هرمس أن يطير إلى جزيرة أوجيجيا، ويوعز للحورية كاليبسو باطلاق سراح أوديسيوس. وفي الحال أرسل قاذف الصواعق هرمس إلى كاليبسو.

ارتدى هرمس صندله المجنح، وحمل الصولجان بيديه، ثم انطلق بسرعة الخاطر من على الأولمب. كانت الجزيرة رائعة. وقد نمت عليها بكثافة أشجار الدلب والحور الصنوبر والأرز والسرو. أما الروابي فكانت مفروشة بالعشب اليانع، وبين الأعشاب كانت أزهار البنفسج والليلك ترسل أريجها العطر. كانت أربعة ينابيع تروي الجزيرة. وكان ثمة في الجزيرة كهف، اختارته الحورية كاليبسو لسكناها بسبب برودته. وكان الكهف كله مغطى بشجيرات الكرمة، وكانت العناقيد اليانعة تتدلى منها. حينما دخل هرمس الكهف كانت الحورية كاليبسو

تحوك بمكوك ذهبي خماراً بزخرفة رائعة. لم يكن أوديسيوس موجوداً في الكهف، بل كان جالساً لوحده على صخرة قرب شطيء البحر، وقد أرسل ناظريه بعيداً. كان أوديسيوس يذرف الدمع الحزين وهو يتذكر موطنه إيثاكه. هكذا كان يزجي الأيام حزيناً وحيداً.

ماإن رأت كاليبسو هرمس داخلاً حتى نهضت لاستقباله. وقد دعته للجلوس وقدمت له الأمبر وزيا والنيكتار. بعد أن شبع هرمس من طعام الآلهة بلغ الحورية مشيئة زوس. استولى الحزن على كاليبسو حين عرفت أن عليها أن تفارق أوديسيوس. فقد كانت تريد إبقاءه إلى الأبد لديها على الجزَيرة. وأن تهبه الخلود، لكنها لم تكن تستطيع مخالفة مشيئة زوس.

حين غادر هرمس كاليبسو ذهبت إلى الشاطيء، حيث كان يجلس أوديسيوس حزيناً، وقالت له:

- لا تحزن بعد الآن ياأوديسيوس، فأنا أسمح لك بالذهاب إلى بلادك. فاذهب، وخذ البلطة، واقطع الأشجار، واصنع طوفاً متيناً، لكي تبحر عليه، ولسوف أرسل لك ريحاً مواتية. إذا كانت تلك مشيئة الآلهة فلسوف تعود إلى وطنك.

فرد أوديسيوس على كاليبسو:

- إنك أيتها الربة لاتدبرين لي العودة إلى الوطن، بل شيئاً ما آخر. فهل أستطيع قطع البحر الهائج على متن طوف سهل الانقلاب؟ حتى المركب السريع لايستطيع قطعه بسلام دائماً. كلا أيتها الربة، لن أحزم أمري بصعود الطوف إلا إذا أقسمت لي يمين الآلهة القاطع أنك لاتنوين الايقاع بي.

وصاحت كاليبسو:

- حقاً إنك ياأوديسيوس الأذكى والأبصر بين الفانين. أقسم لك بمياه ستيكس[*] انني لاأريد لك الهلاك.

عادت كاليبسو إلى الكهف برفقة أوديسيوس. وهناك في أثناء المأدبة راحت تحاول إقناع أوديسيوس بالبقاء، لكن أوديسيوس كان بغاية الشوق للعودة إلى الوطن، وقد فشلت كل المغريات التي قدمتها كاليبسو في جعله ينسى موطنه إيثاكه وأسرته.

في صباح اليوم التالي بدأ أوديسيوس بناء الطوف. أمضى أوديسيوس أربعة أيام منكباً على العمل، يقطع الأشجار، يشذب الأخشاب، ويربطها إلى بعضها، ويركب الألواح. أخيراً أصبح الطوف جاهزاً، وثبت عليه الصاري والأشرعة. أعطت كاليبسو أوديسيوس مؤونة الطريق، وودعته. أرخى أوديسيوس الشراع، فخرج الطوف إلى البحر تسوقه الريح المواتية.

أبحر أوديسيوس ثمانية عشر يوماً، وكان يهتدي بالنجوم ـ الثريا والدب الأكبر. أخيراً ظهرت الأرض عند الأفق ـ كانت تلك جزيرة الفيسيانيين[١٦].

واتفق حينذاك أن بوزيدون رأى، وهو عائد من عند الاثيوبيين، طوف أوديسيوس، فغضب، وتناول رمحه ثلاثي الرؤوس، ثم ضرب به البحر، فهبت عاصفة هوجاء. وغطت السحب السماء، وخيمت العتمة، لكأن الليل قد حل. هاج البحر وماج بسبب الرياح، التي راحت تهب من كل الجهات، فدب الرعب في قلب أوديسيوس، ومن شدة خوفه شعر بالحسد تجاه أولئك الأبطال الذين سقطوا مكللين بغار المجد عند أسوار طروادة. انقضت موجة هائلة على طوف أوديسيوس، وقلبته في البحر. غاص أوديسيوس عميقاً في لجة اليم، وبالكاد استطاع العودة إلى سطحه. كانت الثياب، التي أعطته إياها كاليبسو عند الوداع تضايقه، ومع ذلك فقد تمكن من اللحاق بطوفه، وأمسك به، وبعد لأي تمكن من الصعود إلى متنه. كانت الرياح تتقاذف الطوف في شتى الجهات.

في هذا الخطر رأت ربة البحار لوكوثيا[١٧] أوديسيوس. فطارت من البحر في هيئة بطة بحرية، وحطت على طوف أوديسيوس، ثم عادت إلى هيئتها الحقيقية،

وأمــرتـه أن يخلع ثيـابـه، ويـرمي بنفسـه عن الطـوف في اليم، ثم يسبـح باتجـاه الشـاطىء، وأعطتـه الـربـة حجاباً رائعاً كان من شأنه أن ينقذه. بعد هذا تحولت لوكوثيا إلى بطة، وطارت. لكن أوديسيوس لم يجرؤ على مغادرة الطوف. وفي هذه اللحظـة دفـع الالـه بوزيدون بموجة هائلة الحجم، كأنها جبل، وانقض بها على طوف أوديسيـوس. وبـالكـاد تمكن أوديسيـوس من الإمسـاك باحـدى الأخشاب والجلوس فوقهـا. وعلى جنـاح السـرعـة خلع ثيابه، وتمنطق بحجاب لوكوثيا، ثم ألقى بنفسه في البحر، وراح يسبح باتجاه الجزيرة. وما إن رأى بوزيدون ذلك حتى صاح:

- والآن يكفيـك هذا. الآن اسبـح عبر البحر العاصف إلى أن ينقذك أحدهم، لسوف تكون الآن راضياً عني.

بعد هذه الصيحة ساق بوزيدون جياده نحو قصره الجوفي. وكانت أثينا هي التي سارعت لمد يد العـون لأوديسيـوس. فقد حظرت على الرياح كلها أن تهب، وراحت تهدىء من هياج البحر المصطخب.

أمضى أوديسيـوس يومـين يصـارع أمـواج البحـر العـاتية، ومن على ذروة إحـدى الأمـواج شاهـد أوديسيوس الأرض قريبة فكان سروره بذلك كبيراً. لكنه حين اقـتـرب من الشـاطىء سمـع صخب الميـاه. كانت الأمـواج تتلاطم بين الصخـور السـاحليـة والأحجار الموجودة تحت الماء. كان هلاك أوديسيوس محتوماً، وكان سيتحطم على الصخور لولا أن ساعدته أثينا بالاس. فقد تمكن أوديسيوس من الإمسـاك بإحـدى الصخـور، لكن المـوجة المتكسرة سحبته وهي تنحسر بكل قوة، ودفعتـه إلى البحـر. والآن راح أوديسيـوس يسبح في محاذاة الشاطىء، باحثاً عن مكـان منـاسب للخـروج إلى الشاطىء، إلى أن عثر أخيراً على مصب أحد الأنهـار، فراح يصـلي لإلـه النهر أن ينجده، سمع الإله دعاءه فأوقف مجرى النهر، وسـاعـد أوديسيـوس ببلوغ الشـاطىء. خرج أوديسيـوس إلى الشـاطىء، لكن

الابحار الطويل استنزف كل قواه لدرجة أنه وقع على الأرض فاقد الوعي. وبعد لأي ثاب إلى رشده. فنزع حجاب لوكوثيا، وألقاه في الماء دون أن يلتفت. سبح الخمار بسرعة وعاد إلى بين يدي الربة. وغير بعيد عن الشاطىء عثر أوديسيوس على شجرتي زيتون كانت تحتهما كومة من الأوراق اليابسة. فدفن نفسه في الأوراق هرباً من برودة الليل، وأخذته الربة أثينا في سبات عميق.

أوديسيوس ونوسيكا[18]:

بينما كان أوديسيوس نائماً، دافناً نفسه في كومة الأوراق اليابسة، ذهبت الربة أثينا إلى مدينة الفيسيانيين وتجلت للملكة النائمة نوسيكا في هيئة ابنة الملاح ديماس. وراحت الربة توبخ نوسيكا لأنها لاتهتم بالثياب، وتستعجلها أن تركب مع إمائها، وتذهب إلى الجداول على شاطىء البحر لغسل الثياب.

استيقظت نوسيكا مع الفجر، وهي في دهشة من أمر الحلم الذي رأت. فهرعت إلى والديها. وجدت أمها أريتا قرب الموقد، منكبة على حياكة النسيج الأرجواني، تحيط بها الجواري. كما التقت بأبيها بالباب - كان ذاهباً إلى مجلس أعيان الفيسيانيين. اقتربت نوسيكا من أبيها، ورجته أن يعطيها العجلة، التي تجرها البغال، لكي تستطيع الذهاب إلى النهر لغسل الثياب.

وقالت نوسيكا:

- لقد تراكم لدينا الكثير من الثياب الوسخة، وسأذهب لغسلها، إن عليك أن تكون في ثياب زاهية في مجلس الأعيان، ثم إن أولادك الشباب يريدون أن يكونوا في الثياب النظيفة حين يترددون على حفلات الرقص والغناء التي تحييها عذارى فيسيا. انني أنا وحدي من يهتم بالثياب.

هذا ماقالته نوسيكا، دون أن تنبس ببنت شفة عن الزواج، الذي كانت

تهفو إليه بكل روحها. لكن الملك الكينووس أدرك سر ماترمي إليه ابنته، فابتسم لها بحنان، وأوعز إلى العبيد أن يجهزوا العجلة، ويربطوا إليها البغال. ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى كانت نوسيكا جاهزة.

انطلقت نوسيكا مرحة برفقة جواريها إلى شاطىء البحر. وإذ وصلن الجدول بدأن تنظيف الثياب وغسلها، ومن ثم نشرنها لتجف على شاطىء البحر الرملي. وبعد أن أنهين العمل اغتسلت الفتيات في النهر، ومسحن أجسامهن بالطيب. وبعد أن أكلن رحن يتسلين على ضفة النهر بلعبة الكرة. وهنا وجدت أثينا الطريقة لإيقاظ أوديسيوس. فقد رمت نوسيكا الكرة لصديقاتها، فعمدت أثينا خفية إلى صدها بيدها بقوة فوقعت في البحر. وأطلقت الفتيات صرخة قوية، فاستيقظ أوديسيوس على هذه الصرخة، ولم يعرف ماذا يفعل، هل يخرج من مخبئه، أم يبقى فيه؟ وأخيراً خرج إلى الفتيات، وقد غطى جسده بالأغصان. كان منظر أوديسيوس رهيباً، وقد غطاه الوحل والنباتات المائية. خافت الفتيات وتفرقن، ولم يبق إلا نوسيكا. فقد ألهمتها الربة أثينا الجرأة. أما أوديسيوس فلم يجرؤ على الاقتراب من العذراء الحسناء، بل راح يتوسل إليها من بعيد أن تساعده قائلاً:

- أيتها العذراء الجميلة، إليك أمد يدي متوسلاً. إنك تعادلين بجمالك الربة أرتيميس. أولست ربة؟ إذا كنت من الفانين فبالسعادة والديك أن تكون لهما ابنة مثلك. هلا رثيت لي أيتها الحسناء! لقد أمضيت عشرين يوماً في البحر العاصف، فاعطني ولو قطعة من قماش أستر بها عريي! وليحقق لك الآلهة الخالدون كل ماتصبو إليه نفسك على هذه المساعدة، وليكافئوك بالزواج السعيد.

وردت نوسيكا على أوديسيوس:

- أرى أيها الغريب من كلامك أنك لست بالإنسان البسيط، وأن الآلهة وهبوك

الحكمة. لكن زوس يرسل الفرح والترح سواء للنبلاء أولغير النبلاء، فتحمل ماقسم لك زوس. لسوف أدلك على الطريق إلى المدينة. إنني ابنة الكينووس، ملك الفيسيانيين.

نادت نوسيكا جواريها وأمرتهن أن يعطين أوديسيوس ثوباً نظيفاً ويطعمنه. وكانت أثينا قد جعلت أوديسيوس جميلاً لدرجة أنه حين جلس على شاطىء البحر اعتقدت نوسيكا أن أحد الآلهة جاء إلى الأرض.

كان كل شيء جاهزاً للعودة إلى المدينة. وقد دعت نوسيكا أوديسيوس أن يقتفي أثرها، ونصحته أن يقوم، حال دخوله القصر، بالركوع أمام الملكة أريتا، والاستنجاد بها. لأن القوم يجلونها إجلال الربة، بسبب حكمتها العظيمة. بعد أن قالت نوسيكا ذلك ساقت البغال باتجاه المدينة، ومن خلفها سار أوديسيوس والجواري.

أوديسيوس عند الملك الكينووس:

حين عادت نوسيكا إلى القصر خرج أخوتها للقائها، وبعد أن فكوا البغال من العجلة أدخلوا سلة الغسيل إلى القصر، بينما ذهبت نوسيكا إلى جناحها، حيث أعدت لها حاضنتها الجارية ايفرميدوزا عشاء شهياً.

أما أوديسيوس فقد انتظر عند بوابة المدينة قليلاً ثم دخلها، وهنا التقى أثينا في هيئة عذراء من فيسيا، وحين طلب منها أن تدله على قصر الكينووس وافقت أثينا على مرافقته. سار أوديسيوس خلف الربة صامتاً. وقد أدهشه ثراء المدينة، والأرصفة التي ترسو اليها المراكب، وساحة المدينة الشاسعة والأسوار المنيعة. أخيراً وصلا قصر الكينووس.

أذهل ثراء المدينة أوديسيوس، وأذهلته أكثر فخامة قصر الكينووس. كان

القصـر كله مشيـداً من النحـاس الـبراق، وكـانت جدرانـه من الأعلى مزدانـة بالحـديـد، أمـا الباب المؤدي إلى القصر فقد سبك من الذهب الخالص. وكانت عتبته العليا من الفضة والسفلى من النحاس. ولدى الباب كان يقف كلبان حيان خالـدان من صنـع الإلـه هيبـايستـوس نفسـه ـ أحـدهما من الذهـب، والآخر من الفضـة. دخل أوديسيوس القصر. وهناك رأى المقاعد، المزدانة بشكل فاخر، وعليها أغطيـة من الأحجـار الكـريمة. وعلى حوامل كانت تقف التماثيل الذهبية لشبان يحملون المشـاعـل في أيـديهم. كان قصر الكينووس في غاية الروعة. لكن حديقة القصـر كانت أكثـر روعة. ففيها كانت تنضج الثمار اليانعة بمختلف أنواعها صيفاً وشتـاء. وقف أوديسيـوس طويـلاً يتأمـل كل ذلك بإعجاب، إلى أن دخل أخيراً قاعـة الاحتفـالات، حيث كان يجلس الكينـووس، أريتـا وأعيـان فيسيـا. كانـوا يشـربـون النبيـذ الزكي الرائحة على شرف الإله هرمس. دنا أوديسيوس من أريتا وركـع أمامها، وراح يتوسل إليها بصوت عال أن تساعده، ابن السبيل المسكين. بعد أن قدم أوديسيوس التماسه تراجع، ثم جلس عند الموقد كمن يطلب الحماية. وبنـاء على نصيحـة أحـد الفيسيـانيـين، وهـو أكـبرهم سنـاً، أخـذ الكينـووس أوديسيـوس من يده وأجلسـه إلى جانبـه. قدم الخدم لأوديسيوس النبيذ والطعام، وراح جميـع الحـاضـرين يشـربـون نخب زوس. قاذف الصواعق، وحـامي المسافرين، أخبر أوديسيوس الملك بكل ماعانى من المصائب في طريقه من جزيرة الحـوريـة كاليبسـو. وكيف ساعـدتـه الأمـيرة نوسيكا، التي التقاها على شاطىء البحر. أصغى الكينووس لأوديسيوس باهتمام كبير، ثم صاح:

ـ ألا ياآلهـة الأولمب النـير ين! لو أنكم وهبتم نوسيكـا زوجـاً كهذا الغريب، إذن لاعطيتـه ثروة كبـيرة مهـراً لها. لكننـا أيها الغريب لن نبقيك في جزيرتنا عنوة، ولسـوف نوصلك إلى بلادك. فالفيسيـانيـون لا يخشـون السفر في البحر. مهما كان الدرب بعيداً.

أوعـزت الملكـة أريتـا بإعـداد سرير لأوديسيوس ، الذي لم يلبث أن راح في سبات عميق . وخيم سلطان الكرى على قصر الكينووس كله .

وفي صباح اليوم التالي أمر الكينووس بعقد اجتماع يضم جميع الفيسيانيين، لكي يقـرروا كيفيـة إيصـال أوديسيـوس إلى بلاده . كانت أثينـا نفسهـا قد طافت أرجاء المدينة ، تدعو المواطنين ، في هيئة مناد ، إلى الساحة . وإلى الساحة أحضر الكينـووس أوديسيـوس وأجلسـه إلى جانبه . كان الفيسيانيون ينظرون إلى البطل بكـل دهشـة ، فقـد وهبتـه أثينـا جمالاً وعظمـة يجلان عن الـوصف . وقـال الملك الكينووس مخاطباً الحضور:

- اسمعـوا أيهـا المـواطنـون! لقد جاءنا غريب ، يتوسل أن نساعده في العودة إلى وطنـه . لم سبق لنـا أن رفضنـا مد يد العون للغرباء أبداً . فلنجهز مركباً ، ولنعد ضيفنا إلى وطنه . إنني أدعو إلى المأدبة جميع من سيذهب في هذه السفرة ، كما أدعـو جميـع الأعيـان . ولسوف نكرم هذا الزائر بمأدبة عامرة في قصري . وليدعَ إلى الاحتفال المنشد ذومودوك لكي يبهج بغنائه الساحر قلوب الضيوف .

جيء بالمنشـد ذومـودوك الأعمى إلى الاحتفـال . جلس الضيـوف إلى المـائـدة ، ويـدأ الاحتفال المرح . وحين شبع الجميع تناول ذومودوك قيثارته ، وراح يداعب أوتـارهـا الـرنـانة ، وينشد قصة الخلاف الذي دب بين البطلين العظيمين أوديسيوس وأخيل في أثناء الاحتفال المهيب . وما إن سمع أوديسيوس هذه الأغنية حتى داهمتـه الـذكـريـات الحـزينـة فراحت الـدمـوع تتدحرج من عينيه . ولكي لايشـاهـد الفيسيانيون دموعه غطى رأسه بوشاح أرجواني . أنهى ذومودوك أغنيته . ومسـح أوديسيـوس دمـوعـه ، ثم تنـاول قدحـاً ذهبيـاً وأراقـه ، على شرف الآلهـة الخـالـدين . وعاد ذومودوك يغني عن مآثر الأبطال تحت أسوار طروادة ، ومن جديد بكى أوديسيـوس ، لكن أحـداً لم ينتبـه لدمـوعه . الملك الكينووس وحده فكر ملياً وفهم سبب هذه الدموع .

حين شبع جميع الضيوف دعاهم الكينووس للذهاب إلى الساحة للاشتراك في الألعاب.

بعد المباريات أوعز الكينووس بجلب القيثارة للمنشد ذومودوك. داعب ذومودوك الأوتار الذهبية، وأنشد أغنية مرحة راح الشباب يرقصون رقصة خفيفة على إيقاعها. راح أوديسيوس ينظر اليهم بإعجاب ذاهلاً من جمال حركاتهم. وحين انتهت رقصة الشباب، أمر الملك الكينووس أن يقدم كل منهم هدية لأوديسيوس ـ رداء مزخرفاً وزنة من الذهب.

كانت الشمس قد مالت إلى الغروب فأسرع الجميع إلى قصر الكينووس. وهناك دخل أوديسيوس جناحه، ووضع كل العطايا، التي قدمت له في صندوق مزخرف، أرسلته له أريتا، ثم ربطه بحبل، وعقد طرفي الحبل عقدة فنية، كانت قد علمته إياها الساحرة كيركه. ارتدى أوديسيوس ثيابه الفاخرة، وذهب إلى قاعة الاحتفالات، وهناك التقى نوسيكا. وخاطبته الأميرة بكلام مشوب بحزن الفراق:

ـ أيها الغريب الجميل! عما قريب ستعود إلى وطنك فتذكرني هناك، فأنت مدين بنجاتك لي أنا أيضاً.

وأجابها أوديسيوس:

ـ إذا مامكنني زوس، قاذف الصواعق، من العودة إلى وطني بسلام فلسوف أصلي، يانوسيكا الجميلة، لك كل يوم، كما يُصلى للربة، لأن نجاتي كانت على يدك.

بعد أن قال أوديسيوس ذلك جلس قرب الكينووس، وبدأت الحفلة المرحة. طلب أوديسيوس من ذومودوك أن يغني عن الحصان الخشبي، الذي بناه اليونانيون عند أسوار طروادة. فغنى ذومودوك، وعاد أوديسيوس يذرف الدموع المرة. وقطع الكينووس غناء ذومودوك بالسؤال عن السبب الذي يجعل الغريب

يذرف الـدمـع كلما سمـع الغنـاء عن مآثر الأبطال عند أسوار طروادة . وطلب من الغريب أن يقول من يكون ومن أبوه وأمه . ووعد الكينووس بإعادته إلى وطنه أياً كانت هويته . وقطع على نفسه عهداً بتنفيذ وعده ، وإن كان يعرف أن بوزيدون ، إلـه البحـار، يهدد بإنـزال العقاب بالفيسيانيين لأنهم ينقلون الغرباء إلى أوطانهم ضد إرادتـه . وهـدد بوزيـدون الفييسيانيين أنـه سـوف يقوم في وقت من الأوقات بتحـويـل المركب، الـذي ينقـل الغـربـاء إلى أوطـانهم إلى صخـرة . أما المدينة فسيغلقهـا إلى الأبـد بجبل شاهق . كان الكينووس يعرف ذلك ومع هذا فقد قرر إيصـال أوديسيـوس إلى موطنـه . أمـا الآن فقـد كان بوده أن يعرف من يكون هذا الغريب ، الجالس بجواره . وطلب من أوديسيوس أن يروي قصة المغامرات ، التي مر بها .

فرد عليه أوديسيوس :

- تريـد أيهـا الملك الكينـووس أن تعـرف كل المصـائب التي واجهتني ، وتريد أن تعــرف من أكــون ، ومـن أين أهــلي ، ومن يكــون أبي . إذن فلتعــرف أنني أوديسيـوس بن لايـرت ، ملك جزيرة إيثاكه . إنك تعرف ماذا جرى لي بعد أن غادرت جزيرة الحورية كاليبسو . أما الآن فلسوف أحدثك بتلك المغامرات التي كانت من نصيبي بعد مغادرتي طروادة .

وبدأ أوديسيوس يروي قصة مغامراته .

أوديسيوس يروي قصة مغامراته[١٩] :

السيكـونيـون[٢٠] واللوتـوفـاغيـون[٢١] : أبحـرنا من طروادة تدفعنا ريح مواتية ، عبر البحر الشاسع ، إلى أن وصلنا أخيراً أرض السيكونيين . وقد استولينا على مدينتهم إيسماروس ، وقتلنا السكان عن بكرة أبيهم ، وأسرنا النساء ، ودمرنا

المدينة . وحاولت طويلاً إقناع رفاقي بالابحار سريعاً إلى الوطن، لكنهم لم يصغوا إلي . وفي هذا الوقت جمع من نجا من سكان مدينة إيسماروس أبناء جلدتهم ممن يقطنون ضواحي المدينة، لمساعدتهم، ثم انقضوا علينا . كان عددهم بعدد الأوراق في الغابة، بعدد أزهار الربيع في المروج . قاتلنا السيكونيين طويلاً بالقرب من مراكبنا، لكنهم تغلبوا علينا، واضطررنا إلى أن نلوذ بالفرار، بعد أن فقدت ستة مجذفين بواسل من كل مركب . وقبل أن نبحر إلى عرض البحر نادينا رفاقنا الغائبين ثلاث مرات، ومن ثم أبحرنا ونحن نندب قتلانا وفرحين بنجاتنا .

لكننا لم نكد نخرج إلى عرض البحر حتى سلط علينا زوس قاذف الصواعق بير ياس إله ريح الشمال، الذي أثار عاصفة هوجاء في البحر، وتلبدت السماء بالغيوم الداكنة، ودثرت الظلمة كل ماحولنا . ثلاث مرات مزق بير ياس العاصف الأشرعة عن الصواري . أخيراً، وبعد جهد جهيد، تمكنا بالتجذيف من الوصول إلى جزيرة غير مأهولة . أمضينا فيها نهارين وليلتين بانتظار هدوء العاصفة . وفي اليوم الثالث نصبنا الصواري، وأرخينا الأشرعة، ثم استأنفنا رحلتنا . لكننا تهنا عن الدرب أثناء العاصفة . أخيراً، وفي اليوم العاشر من الرحلة رسونا إلى إحدى الجزر . كانت تلك جزيرة اللوتوفاغيين . أشعلنا النار على الشاطىء، وبدأنا نجهز طعام الغداء . وأرسلت ثلاثة من رجالي ليعرفوا أي شعب يسكن الجزيرة . رحب اللوتوفاغيون بهم وقدموا لهم اللوتس اللذيذ . لكن ما إن أكله رجالي حتى نسوا وطنهم، ولم يعودوا يرغبون في العودة إلى بلادهم إيثاكه . لكننا أحضرناهم إلى المراكب عنوة، ثم قيدناهم لكي لايتمكنوا من الهرب . وللحال أوعزت إلى جميع رفاقي بالجلوس إلى المجاذيف، ومغادرة الجزيرة بأسرع مايمكن . كنت خائفاً من أن ينسى الباقون الوطن، بعد أن يأكلوا اللوتس اللذيذ .

أوديسيوس في جزيرة السيكلوبات. بوليفيم[٢٢]: بعد رحلة طويلة وصلت مع رفاقي إلى أرض السيكلوبات الهائجين،[٢٣] الذين لايعرفون للقانون معنى. وعلى الرغم من أنهم لايمارسون الزراعة فإن الأرض تعطيهم كل شيء بوفرة. لم نتمكن من الرسو إلى أرضهم حالاً. كانت أصوات السيكلوبات وثغاء قطعانهم تصل إلينا. وفي الصباح التالي قررت الابحار في مركبي إلى أرض السيكلوبات لكي أعرف أي قوم هم. قطعنا المضيق غير العريض بسرعة، ورسونا إلى الشاطىء. ولدى البحر تماماً شاهدنا مغارة، تغطيها أشجار الفاره، ويحيط بها سياج من الأحجار الضخمة. أخذت معي اثني عشر رفيقاً من أولئك الذين يمكن الاعتماد عليهم. ومعنا دن من الخمرة، ثم دخلنا كهف السيكلوب. وكما عرفنا لاحقاً فقد كان هذا السيكلوب ضارياً جداً، وكان يعيش بعزلة عن الآخرين، ويرعى قطيعه لوحده. ولم يكن، مثله مثل جميع السيكلوبات، شبيهاً بالبشر. كان عملاقاً، يتمتع بقوة هائلة، وليس له سوى عين واحدة في جبينه. حين دخلنا الكهف لم يكن موجوداً هناك. وفي كهف السيكلوب كانت توجد السلال وفيها الكثير من الأجبان، وفي الدلاء والجامات كان يوجد اللبن الرائب. وكان ثمة في الكهف زرائب للحملان والمعز. راح رفاقي يحاولون إقناعي بالعودة إلى المركب، بعد أخذ أفضل الحملان والمعز والكثير من الأجبان، لكنني، وللأسف، لم أصغ لهم. كان بودي أن أنظر إلى السيكلوب نفسه. أخيراً جاء السيكلوب. ألقى حزمة كبيرة من الأخشاب على الأرض قرب مدخل الكهف. ولم نكد نرى السيكلوب حتى تملكنا الخوف، ولذنا بأكثر زوايا الكهف ظلمة.

أما السيكلوب فقد زرب قطيعه في الكهف. وسد المدخل بصخرة، ثم راح يحلب المعز والنعاج. وبعد أن انتهى من حلبها أشعل النار لكي يعد طعامه. وهنا رآنا، فسألنا بصوت مثل هزيم الرعد:

- من أنتم؟ من أين جئتم؟
- كلنا يونانيون - جاويت السيكلوب - ونحن نبحر من طروادة. لقد دفعت بنا العاصفة إلى هنا. إننا نتوسل إليك أن تستقبلنا، بود، كما يستقبل الضيوف، فأنت تعرف أن زوس يعاقب من يسيء إلى المسافرين، ولايكرم وفادتهم.

وصاح السيكلوب بي بوحشية:

- واضح أنك جئت من بعيد أيها الغريب، مادمت تعتقد أنني أخاف آلهتك. ومـاذا يهمني زوس! لست أخاف غضب زوس. ليس في نيتي أن أرأف بكم. ولسوف أفعل مايحلو لي. قل لي أين مراكبك؟

وأدركت سبب سؤال السيكلوب عن مركبي، فأجبته:

- لقد حطمت العاصفة مركبي على الصخور الساحلية، ولم ينج أحد إلا أنا ورفاقي.

لم يحر السيكلوب جواباً. بل أمسك بيديه الهائلتين اثنين من رجالي، وضرب بهما الأرض فقتلهما، ومن ثم سلقهما وأكلهما. تملكنا هلع لايوصف، ورحنا نصلي لزوس أن ينقذنا. أما السيكلوب فما إن انتهى من تناول عشائه الرهيب حتى تمدد على الأرض، وغفا. وهممت بقتله، حتى أنني امتشقت سيفي، لكنني حين نظرت إلى الصخرة الضخمة، التي كانت تسد المدخل، أدركت أننا لن نتمكن من النجاة على هذا النحو. حل الصباح. ومن جديد قتل السيكلوب اثنين من رجالي. وبعد أن التهمهما أخرج القطيع من الكهف، وسد المدخل بالصخرة. فكرت طويلاً بوسيلة للنجاة إلى أن وجدتها أخيراً. فقد عثرت في الكهف على خشبة ضخمة، شبيهة بالصاري، وبسيفي قطعت نهاية الخشبة، ثم جعلت رأسها حاداً وشويتها على النار، وخبأتها. وعند المساء عاد السيكلوب مع قطيعه. ومن جديد قتل اثنين من رجالي، وحين فرغ من عشائه البشع هم

بالنـوم . لكنني دنـوت منـه وعـرضت عليـه قدحـاً من الخمـرة . شرب السيكلوب الخمرة ، ثم قال لي :

- صب لي أيضاً واخبر ني ماإسمك ، فبودي أن أعد لك هدية .

صببت للسيكلوب القـدح الثـاني ، فطلب قدحاً ثالثاً ، وصببت له الثالث ، وقلت للسيكلوب ، وأنا أقدمه له :

- تريد أن تعرف اسمي؟ إن اسمي لاأحد .

- طيب اسمع يالاأحد ، سوف تكون آخر من ألتهم ، وستكون هذه هديتي لك .

هكـذا أجـابني السكلوب ضاحكـاً ، ثم شرب القـدح الثـالث . ولعبت الخمرة برأسه ، فهوى على الأرض ، ونام .

وحينـذاك أعطيت الإشـارة لرفـاقي ، فتناولنا الخشبة . ووضعنا طرفها الحاد فوق النار ، ثم حرقنا بها عين السيكلوب . وزأر السيكلوب من شدة الألم ، وانتزع من عينـه الـوتـد المـدخن ، ثم راح يستنجـد بالسيكلوبـات البـاقين . فهرعوا إلى الكهف ، وراحوا يسألون :

- ماذا جرى لك يابوليفيم؟ من أساء إليك؟ لماذا أيقظتنا؟

فأجاب بوليفيم بزئير وحشي :

- إن لا أحد يقتلني ، لا بالقوة بل بالمكر .

غضب السيكلوبات ، وصاحوا ببوليفيم :

- إن كان لاأحـد قد أسـاء إليـك إذن فلا داعي للصـراخ هكـذا . وإن كنت قد مرضت فتلك مشيئة زوس ، وليس بمقدور أحد أن يبدلها .

قال السيكلوبات ذلك ، ثم انصرفوا .

حل الصبـاح ، وراح بوليفيم يبعـد الصخـرة عن المدخل ، وهويئن بصوت عال ، ثم راح يخرج القطيـع إلى المـرعى ، وهـويتلمس ظهر كل نعجة وكل عنزة . وحينذاك ربطت كل ثلاثة خرفان سوية ، وتحت أوسطها ربطت واحداً من رفاقي .

أما أنا فقد تشبثت بالصوف الكثيف لكبش ضخم، محبوب بوليفيم ـ فكنت معلقاً تحت بطنه. مرت الخرفان، التي ربط إليها رفاقي من أمام بوليفيم بسلام. وكان الكبش، الذي تعلقت به آخر من غادر الكهف، فأوقفه بوليفيم. وراح يداعبه، ويشكو له مصابه. فقد أساء إليه لاأحد الوقح، ثم ترك الكبش يمر. وهكذا فقد نجونا من الهلاك المحتوم. سقنا قطيع بوليفيم على عجل باتجاه المركب، حيث كان رفاقنا بانتظارنا. ولم أسمح لرفاقي بالبكاء على القتلى، فقد صعدنا متن المركب بسرعة بعد أن أخذنا نعاج بوليفيم، ثم ابتعدنا عن الشاطىء. وحين أصبحنا بعيدين مسافة لايزال صوت الانسان منها مسموعاً صحت بالسيكلوب بصوت قوي:

ـ اسمع أيها السيكلوب! لقد جررت بظلمك عقاب زوس على نفسك، ولن تتمكن بعد الآن من قتل المسافرين المساكين والتهامهم.

سمعني السيكلوب، فرفع صخرة، وألقاها في البحر، فكادت تحطم مقدمة المركب. لكنني دفعت بالمركب بواسطة العصا. ومن جديد عدنا نبحر، وحين ابتعدنا صحت ببوليفيم:

ـ فلتعرف يابوليفيم أن من سمل عينك هو أوديسيوس ملك إيثاكه.

عوى السيكلوب الضاري من شدة الغضب، وصاح بصوت عالٍ:

ـ لقد تحققت نبوءة العراف. كنت أعتقد أن أوديسيوس مارد جبار، وليس دودة حقيرة مثلك.

راح بوليفيم يتوسل إلى أبيه بوزيدون أن يعاقبني لأنني أفقدته نعمة البصر، ثم تناول صخرة، أكبر من الأولى، ورمى بها في البحر، فسقطت خلف مؤخرة المركب. رفعت موجة عاتية مركبي، وقذفت به في البحر بعيداً. وهكذا نجونا. وهناك قدمنا الأضاحي السخية للآلهة. وفي اليوم التالي استأنفنا الرحلة عبر البحر الشاسع، ونحن نتأسى على رفاقنا الذين لاقوا حتفهم.

أوديسيوس في جزيرة إيلوس[٢٤]: لم يمض على إبحارنا طويلاً حتى وصلنا جزيرة إيلوس. وهي جزيرة عائمة، يحيط بها سور نحاسي منيع، أما شطآنها فترتفع على شكل صخور معلقة من أمواج البحر. كان يقطن هذه الجزيرة إيلوس مع زوجته وأولاده الاثني عشر، وهم ستة فتيان وست فتيات. كانت حياة إيلوس سعيدة هانئة. فكان يمضي أيامه في إحياء الاحتفالات المرحة مع أفراد أسرته في قصوره الفخمة. على مدى شهر كامل احتفى إيلوس بنا، واستمع إلى قصصي عن مآثر الأبطال عند أسوار طروادة.

أخيراً رحت أرجوه أن يسمح لنا بالعودة إلى الوطن. وافق إيلوس. وعند الوداع أعطاني قربة كبيرة، مربوطة بسلك من الفضة. وكان قد حبس في هذه القربة كل الرياح الخاضعة له، ولم يترك إلا ريح زيفير[٢٥] طليقة، لكي تسوق مراكبنا نحو ربوع الوطن - إيثاكه. وحظر إيلوس فتح القربة إلى أن نصل الوطن. لكن زوس لم يكتب لي العودة إلى الوطن. فحين ظهرت إيثاكه في اليوم العاشر من الرحلة سلط علي الآلهة نوماً عميقاً. وراح رفاقي يتحدثون عن احتمال أن يكون إيلوس قد أعطاني الكثير من الذهب والفضة، ووضعها في هذه القربة، مادمت لاأسمح بفكها. وبدافع الفضول فك رفاقي القربة، فانطلقت الرياح المحبوسة بداخلها، وأثارت عاصفة رهيبة في البحر.

ومن جديد ساقتنا ريح البورية[٢٦] إلى جزيرة إيلوس. وذهبت مع واحد من رفاقي إلى قصر إيلوس. ورحت أتوسل إليه أن يساعدنا بالعودة من جديد، لكن إيلوس غضب مني، وطردني من قصره وهو يقول أنه لن يساعد أبداً من يكرهه الآلهة ويلاحقونه.

أوديسيوس عند الليستريفون[٢٧]: استأنفنا رحلتنا. وبعد ستة أيام

وصلنا إحدى الجزر، فدخلنا خليجاً هادئاً، ورست مراكبي الاثنا عشر إلى الشاطىء. ثم سحبها رفاقي إلى الشاطىء الرملي. أما مركبي فقد رسوت به عند مدخل الخليج، وتسلقت صخرة عالية لأراقب المكان، فلم أر في أي مكان قطعاناً ولا حقولاً محروثة، فقط هنا وهناك كان يرتفع الدخان. أرسلت ثلاثة من رجالي ليعرفوا من يعيش في هذه الجزيرة، فانطلق هؤلاء. وبالقرب من بئر، غير بعيد عن مدينة كبيرة، التقوا صبية هائلة الحجم، وقد رافقتهم إلى المدينة، إلى قصر أبيها أنتيفات، حاكم الليستريفون. وفي القصر رأوا زوجة انتيفات، بقامة تشبه الجبل السامق. وأوعزت الزوجة بمناداة زوجها، الذي كان في مجلس الأعيان، فهرع إلى القصر، وأمسك بواحد من رجالي وقتله. وهنا فر الاثنان الباقيان، أما أنتيفات فقد نادى الليستريفون، وراح هؤلاء يقتلعون الصخور الضخمة، ويكسرون بها مراكبنا، فلم تكن تسمع إلا طقطقة الأخشاب المتحطمة وصراخ القتلى، قتل الليستريفون جميع بحارتي من المراكب الأحد عشر، ثم شكوا جثثهم على أوتاد، وعادوا بها إلى مدينتهم، وبالكاد استطعت النجاة بجلدي في مركبي، الذي لم يبق عندي سواه من أصل اثني عشر مركباً.

أوديسيوس في جزيرة الساحرة سيرسة[٢٨]: أبحرنا طويلاً عبر البحر الشاسع ونحن نذرف دموع الحزن على رفاقنا القتلى. وأخيراً وصلنا جزيرة إيا[٢٩]، حيث كانت تعيش الساحرة سيرسة، ذات الشعر الرائع، وابنة الإله هيليوس. أمضينا يومين على شاطىء الخليج الهادىء. وفي اليوم الثالث تمنطقت بسيفي، وحملت رمحي، ثم اتجهت إلى عمق الجزيرة. ومن على صخرة عالية رأيت في البعيد دخاناً يرتفع من خلف الغابة. فقررت العودة إلى المركب وإرسال عدة رجال لمعرفة من يعيش في الجزيرة. وفي طريق العودة إلى المركب تمكنت من قتل إيل ضخم برمحي، وحملته إلى المركب، ثم أعددنا مائدة عامرة. وبعد أن

أكلنا وشربنا نمنا على صوت الأمواج البحرية. وفي الصباح قسمت رجالي إلى مجموعتين، واحدة برئاستي والأخرى برئاسة أوريلوخ[٣٠]. وألقينا القرعة بين المجموعتين. لمعرفة أيهما ستذهب إلى عمق الجزيرة، وقد خرجت القرعة على أوريلوخ أن يذهب مع رجاله الاثني عشر.

انطلق أوريلوخ ورجاله، ووصلوا قصر سيرسة بسرعة. وبالقرب من القصر كانت تطوف الأسود والذئاب المروضة. ولم تكد هذه ترى رفاقي حتى هرعت إليهم، وراحت تتمسح بهم، كما تتمسح الكلاب بأصحابها ـ تلك كانت نتيجة الشراب السحري الذي استخدمته سيرسة لترويضها به. وفي هذا الوقت تناهى غناء رخيم من القصر إلى سمع رفاقي. نادى رفاقي سيرسة من قصرها. فخرجت، ودعتهم إلى الدخول ببشاشة. وفي القصر قدمت لهم النبيذ في أقداح بعد أن خلطته بعصير عشبة سحرية. شرب رفاقي النبيذ، أما سيرسة فلامست كلا منهم بصولجانها، ومسختهم إلى خنازير، ولم تترك لهم سوى العقل. بعد ذلك دفعت بهم إلى الزريبة، ورمت لهم بثمار البلوط طعاماً، فراحوا يذرفون الدموع المرة. وحده أوريلوخ تمكن من النجاة. فلم يدخل القصر مع من دخل.

وصل أوريلوخ المركب راكضاً، وحدثني، وقد تملكه الرعب، عن المصيبة التي حلت برفاقي. وللحال قصدت قصر سيرسة، ولم يكن في ذهني إلا شيء واحد ـ كيف لي بإنقاذ رفاقي. وفي الطريق تجلى لي الإله هرمس في هيئة شاب جميل. وقد علمني كيف أحرر رفاقي من سيطرة الساحرة، وأعطاني جذر نبات ذي مفعول عجيب، يبطل سحر لحاظ سيرسة، فلا يضر بي. وصلت قصر سيرسة. فاستقبلتني بالترحاب، وأدخلتني إلى القصر، ثم أجلستني في كرسي فاخر، وأحضرت الشراب السحري، فشربته بكل هدوء، أما هي فقد لامستني بصولجانها، وقالت:

ـ والآن اذهب إلى الزريبة، وتمرغ مع الآخرين.

وبعد أن امتشقت سيفي، كما أمرني الإله هرمس، انقضضت على الساحرة، ورحت أهددها بالموت، فركعت سيرسة أمامي، ثم صاحت:

- ألا من تكون؟ فحتى الآن لم يتمكن أحد من النجاة من شرابي السحري. أوه، إنني أعرف، فأنت أوديسيوس الماكر. منذ عهد بعيد تنبأ لي هرمس بقدومك إلى عندي.

وبعد أن أعدت السيف إلى غمده أرغمت سيرسة على أن تقسم بعدم إلحاق الأذى بي. وقد حلفت لي يمين الآلهة القاطع. رجتني سيرسة البقاء عندها، وعرضت علي أن أرتاح قليلاً؛ وقد وافقت. وبينما أخلدت للراحة انكبت جواري سيرسة، بنات آلهة الأنهار والجداول، على إعداد مائدة عامرة. ارتديت ثياباً فاخرة، ودخلت جناح الاحتفالات، وجلست إلى المائدة، المثقلة بكل مالذ وطاب، وغرقت في لجة أفكاري. وسألتني سيرسة عن سبب حزني، أما أنا فقد جاوبتها بأنني لن آكل شيئاً إلى أن تعيد لرفاقي هيئتهم الأولى. وحينذاك أخرجت سيرسة الخنازير من الزريبة، وطلتهم بمرهم سحري فأعادت لهم هيئتهم الأولى، لا بل إنها جعلتهم أكثر جمالاً وأشد بأساً مما كانوا عليه من قبل. سر رفاقي برؤيتي، حتى أن فرحهم أثر في سيرسة. وطلبت مني الساحرة أن أذهب إلى الشاطىء، وأعود بجميع رجالي إليها في القصر. وعلى الفور نفذت طلب سيرسة، وعدت بجميع رجالي، وإن كان أوريلوخ قد أوصاهم بعدم الثقة بالساحرة الماكرة. حين التأم شملنا جميعاً في قصر سيرسة أقامت لنا احتفالاً رائعاً.

أمضينا عاماً كاملاً في قصر سيرسة. وبمرور العام رحت أرجو سيرسة تركنا نعود إلى الوطن. فوافقت الساحرة. وقالت لي أنه سيكون علي، قبل العودة إلى وطني أن أزور مملكة هادس الكئيب، لأسأل هناك طيف عراف طيبة ثيريسيا[31] عن مصيري. وأخبرتني سيرسة بكيفية الوصول إلى مدخل عالم الأطياف السفلي، وعلمتني كيف يجب أن أقدم القرابين وأنادي أطياف الموتى. أصغيت

لوصـايـا الساحرة، ثم بدأت أجهز نفسي للسفر إلى طرف الأرض، حيث مدخل مملكة هادس الكئيب.

أوديسيوس ينزل إلى مملكة هادس(٣٢) : حين كشفت لرفاقي عن وجهتنا الجـديـدة استـولى عليهم الـذعـر، لكنهم أبحروا نزولاً عند أوامري. أرسلت لنا السـاحـرة سيرسـة ريحاً مواتية، راحت تسوق مركبنا بسرعة، إلى أن وصلنا أخيراً ميـاه المحيـط الشـائب، ورسـونـا إلى شاطىء بلاد السيماريين(٣٣) الحزينة، حيث النـاس محرومـون من ضوء الالـه هيليوس. فهذه البلاد مغطاة دائماً بضباب بارد، وتـدثـرها عتمة الليـل بغشاوة كثيفة. وهناك سحبنا مركبنا إلى الشاطىء، وأخذنا النعجـة التي أعطتنـا إيـاهـا سيرسـة، والكبش الأسـود لنضحي بهما لآلهـة العـالم السفلي. وذهبنا إلى الصخرة الشاهقة حيث يصب كوسيتوس وبير يفليغيثون في أشيرون(٣٤). وما إن وصلنا المكان حتى حفرت بسيفي حفرة عميقة، وأرقت فوقها العسل والنبيذ والماء، بعد أن خلطتها بدقيق الشوفان، ثم نحرت الذبيحتين فوق الحفرة، فتدفق دمهما إليها. وتدافعت أرواح الموتى بحشد كبير إلى الحفرة، ودب الخلاف بينها عمن سيكون أول من يروي غليله من دم الأضاحي. استولى الذعر علي وعلى رفـاقي. أحـرقنـا الـذبيحتـين، ورحنـا نستغيث بالاله الكئيب هادس وزوجتـه الـربـة برسفونة. امتشقت سيفي، وجلست قرب الحفرة لكي أحول بين أرواح المـوتى وبينهـا. وجاءت إلى الحفرة روح أمي أنتيكله. لقد كانت حية لدى مغـادرتي إيثاكه. وعلى الـرغم من تألمي فإنني لم أسمـح لها هي أيضـاً بالدنو من الحفـرة، لأنـه كان لابـد من أن يكـون العـراف ثير يسيا أول من يروي غليله من الدم. أخيراً جاءت روح ثير يسيا. وما إن ارتوت الروح، التي لاجسد لها، حتى أنبأتني أن الإلـه بوزيـدون، مزلـزل الأرض، غاضب مني لأنني سملت عين ولده السيكلوب بوليفيم. ومـع ذلـك، وخـلافـاً لارادة بوزيـدون، سوف أصل بلادي

شرط أن لايمس رفاقي ثيران هليوس في جزيرة ترينكاريا[٣٥]. وفي حال قتل رفاقي الثيران فإنهم سيلقون حتفهم عن بكرة أبيهم، وأكون العائد الوحيد إلى الوطن، بعد الكثير من المصائب والأهوال. وهناك سوف أنتقم من الخطاب، لكن علي بعد ذلك أن آخذ المجذاف، وأظل أتغرب إلى أن أصادف قوماً لايعرفون الملاحة، ولم يسبق لهم أن رأوا المراكب أبداً، ولسوف أعرف هؤلاء القوم لأن من أصادفه سيسألني لماذا أحمل هذا الرفش على كتفي. وعلي في هذه البلاد أن أضحي لبوزيدون، وبعد ذلك فقط أعود إلى البيت. وهناك يجب أن أقدم قرباناً سخياً لجميع الآلهة، وحينذاك فقط يمكن أن أعيش في إيثاكه بسلام حتى وفاتي. هذا ماقاله لي العراف ثريسيا ثم انصرف. رأيت الكثير من الأرواح. وقد حدثتني روح والدتي، بعد أن روت غليلها من الدم، بما جرى في إيثاكه قبل موتها، وطمأنتني بأن والدي ليرت وبنلوبة وتليماخ أحياء يرزقون. هممت أن أعانق أمي الغالية، ثلاث مرات مددت يدي نحوها، وفي كل مرة كان طيفها الخفيف ينسل مبتعداً. وفي مملكة هادس رأيت العديد من الأبطال، لكنني عاجز عن تعداد أسمائهم جميعاً. لقد تأخر الوقت، وآن الأوان لقطع قصتي، فقد حان موعد النوم.

لكن المجتمعين راحوا يرجون أوديسيوس متابعة قصته، بمن فيهم الملكة أريتا والملك الكينووس. فتابع أوديسيوس قصته:

وفي مملكة هادس رأيت روح الملك أغاممنون. كان يشكو بمرارة من زوجته كليتمينسترة وايجيستوس، اللذين قتلاه في يوم عودته. كما رأيت أرواح أخيل، باتروكليس، أنتيلوخ، وأجاكس تيلامونيد، كان أخيل يشكو من الحياة البائسة في عالم الأموات، ويفضل أن يكون أفقر فلاح على الأرض على أن يكون ملكاً في عالم أرواح الموتى. ورأيت الملك مينوس، قاضي الموتى، ورأيت عذاب تانتال وسيزيف، وأخيراً اقتربت مني روح بطل الأبطال هرقل، أما هو فإنه على الأولب، في محفل الآلهة الخالدين. ورحت أنتظر أن تدنو مني أرواح الأبطال

العظام الآخرين، من الأزمنة الغابرة، لكن الأرواح أثارت جلبة فظيعة، جعلتني أجري نحو المركب خائفاً.

أنزلنا المركب بسرعة إلى ماء المحيط الشائب، وغادرنا بلاد السيماريين. ولم نلبث أن وصلنا جزيرة أيا، ثم رحنا في سبات عميق، حال رسونا إلى الشاطيء.

أوديسيوس يبحر قرب جزيرة عرائس الماء وبالقرب من سيلا وخاريبديس[٣٦]: حين عرفت الساحرة سيرسة بعودتنا جاءت إلى شاطيء البحر، ومن خلفها جواريها وقد جلبن إلى المركب الكثير من الطعام وأدنان الخمرة. استمر احتفالنا على شاطيء البحر حتى حلول الليل. وحين أوى رفاقي إلى مضاجعهم حدثتني سيرسة بما ينتظرني من مخاطر في الطريق، وعلمتني كيف أتفاداها.

لم يكد الصباح ينبلج حتى أيقظت رفاقي، وأنزلنا المركب، وراح المجذفون يعملون بهمة ونشاط فاندفع المركب إلى عرض البحر. كانت الريح المواتية تدفع الأشرعة، فيندفع المركب بكل هدوء. وأصبحنا غير بعيدين عن جزيرة عرائس الماء. وحينذاك خاطبت رفاقي:

- أيها الأصدقاء! سوف نبحر الآن قرب جزيرة عرائس الماء. إنهن يستدرجن بغنائهن البحارة، الذين يمرون بجزيرتهن، ويقتلنهم بفظاعة. إن الجزيرة كلها مزروعة بعظام ضحاياهن. لسوف أسد آذانكم بالشمع اللين لكي لاتسمعوا غناءهن فتهلكوا، أما أنا فقيدوني إلى الصاري: فقد سمحت لي الساحرة سيرسة أن أسمع غناء عرائس الماء. وإذا ماسحرني غناؤهن ورحت أطلب منكم أن تحلوا وثاقي فشدوه أكثر.

ما إن قلت هذا حتى هدأت الريح المواتية بغتة. أنزل رفاقي الشراع، وجلسوا إلى المجاذيف. وظهرت جزيرة العرائس لنا. وضعت الشمع في آذان

رفـاقي ، أمـا هم فقـد ربطوني إلى الصاري بقوة بحيث لم أستطع أن أحرك أياً من مفاصلي. مر مركبنا قرب الجزيرة بسرعة ، ومن هناك تناهى غناء العرائس الرخيم.

كانت العرائس تغني :

- هلا جئت إلينا ياأوديسيوس العظيم! هلا وجهت إلينا مركبك. لن يمر بنا بحار واحد ، دون أن يسمع غناءنا الشجي. وبعد أن يتمتع به يغادرنا وقد اكتشف الكثير. إننا نعرف كل شيء - كم عانى اليونانيون عند أسوار طروادة بمشيئة الآلهة ، وماذا يجري على الأرض.

وتحت سحـر غنـائهن أشرت لرفاقي أن يحلوا وثاقي ، لكنهم تذكروا وصيتي فشـدوه أكثـر. ولم ينـزع رفاقي الشمع من آذانهم ، ويفكوا وثاقي إلى الصاري إلا بعد أن اختفت جزيرة العرائس.

تابـع مركبنـا إبحـاره بسـلام ، وفجأة سمعت أمـامنا ضجة فظيعة ، ورأيت دخـانـاً ، كنت أعـرف أنهـا خاريبـديس. خاف رفـاقي ، وتركوا المجاذيف فتوقف المركب. وطفت على رفاقي ، ورحت أشجعهم :

- أيها الأصدقاء! لقد عانينا الكثير من المحن ، وتغلبنا على العديد من المخاطر ، فلا تفقـدوا الشجـاعة ، وجذفوا بهمة! لسوف يساعدنا زوس في النجاة. وجهوا المـركب بعيـداً عن المكـان الـذي ترون فيـه الـدخـان ، وتسمعـون الصخب الفظيع. وجهوه أقرب إلى الصخرة.

رفعت معنـويـات رفـاقي ، فراحوا يجذفون بكل ماأوتوا من قوة. ولم أكن قد قلت لهم عن سيلا شيئاً. كنت أعرف أن سيلا لن تسلبني سوى ستة رجال ، أما في خاريبديس فكنا سنهلك جميعاً. نسيت وصايا سيرسة ، وأمسكت بالرمح في يدي بانتظار هجوم سيلا. وعبثاً كنت أبحث عنها بناظري.

أبحر المركب بسرعة عبر المضيق الضيق ، ورأينا خاريبديس وهي تبتلع مياه اليم ، وكـانت الأمـواج تصطفق عند شدقيها ، وفي بطنها العميق كان يغلي الوحل

البحري والتراب كما في المرجل. وحين تنفث الماء كان الماء يغلي ويصطخب بدوي هائل، وكان الرذاذ المالح يتطاير فيبلغ قمة الصخرة. كنت أنظر إلى خاريبديس، وقد اصفر وجهي من شدة الرعب. وفي هذا الوقت اشرأبت سيلا الفظيعة بأعناقها الستة كلها، وبأفواهها الهائلة الستة، ذات الصفوف الثلاثة من الأسنان، أمسكت بستة من رجالي. ولم أر إلّا كيف مرت أيديهم وأرجلهم في الجو بسرعة خاطفة، وسمعتهم وهم يستنجدون بي. التهمتهم سيلا عند مدخل مغارتها، وعبثاً راح المساكين يمدون أيديهم نحوي. بالكاد استطعنا المرور بخاريبديس وسيلا، وانطلقنا باتجاه جزيرة الاله هليوس ـ تريناكريا.

أوديسيوس في جزيرة تريناكريا، تحطم مركب أوديسيوس: لم يمض من الوقت إلا أقله حتى ظهرت لنا في البعيد جزيرة الاله هليوس، ورحنا نقترب منها رويداً رويداً، وأصبحت أسمع بوضوح خوار ثيران هليوس وثغاء نعاجه. ولما كنت لاأزال أذكر نصيحة العراف ثيريسيا وتحذير الساحرة سيرسة، فقد رحت أحاول إقناع رفاقي بالمرور بمحاذاة الجزيرة، دون التوقف فيها. كنت أريد تجنب الخطر الماحق. لكن رفاقي لم يوافقوا، وهنا أدركت أن المحنة ستحل بنا دون ريب. رسونا إلى الجزيرة، وسحبنا المركب إلى الشاطىء. وأرغمت رفاقي على أن يقسموا لي يميناً عظيمة بأنهم لن يقتلوا ثيران الاله هيلوس. جهزنا العشاء، وأثناء تناوله رحنا نتذكر ـ والدموع في مآقينا ـ رفاقنا، الذين اختطفتهم سيلا. بعد أن أنهينا عشاءنا استسلمنا جميعاً للنوم على الشاطىء.

وفي الليل أرسل زوس عاصفة هوجاء. كان بورياس يهدر بجنون، وتلبدت السماء بالسحب، فازداد الليل الدامس ظلمة. وفي الصباح سحبنا مركبنا إلى كهف ساحلي لكي لاتحطمه العاصفة، وعدت من جديد أطلب من رفاقي أن لايمسوا قطعان هليوس، فوعدوني بتنفيذ هذا الرجاء. استمر هبوب الرياح شهراً

كاملاً، وبقينا عاجزين عن استئناف رحلتنا. أخيراً نفد كل مالدينا من مؤونة. وأصبحنا نتغذى بما نصطاد من طيور وأسماك، وراح الجوع يعذب رفاقي أكثر فأكثر. وفي ذات مرة ذهبت إلى أعماق الجزيرة كي أتوسل إلى الآلهة - وأنا لوحدي - أن يرسلوا لنا ريحاً مواتية. ورحت أستغيث بآلهة الأولمب أن يستجيبوا لرجائي. ولم أنتبه إلا وقد جعلني الآلهة أروح في سبات عميق. وبينما كنت أغط في نومي انتقى رفاقي أفضل ثيران القطيع وقتلوها. وقد قدموا قسماً من لحمها قرباناً للآلهة. وبدلاً من دقيق الأضاحي أخذوا أوراق البلوط، وبدلاً من النبيذ أخذوا الماء، لأنه لم يبق عندنا لا هذا ولا ذاك. بعد تقديم القربان للآلهة بدأوا يشوون اللحم على النار. وفي هذا الوقت استيقظت، فذهبت إلى المركب. ومن بعيد شممت رائحة اللحم المشوي، وأدركت ماحدث. وصرخت من شدة الرعب:

- ألا ياآلهة الأولمب العظام! لماذا سلطتم علي النوم؟ فقد ارتكب رفاقي جريمة مروعة، إذ قتلوا ثيران هليوس.

غضب الإله العظيم هليوس، وراح يشكو للآلهة كيف أهانه رفاقي، ويهدد بالنزول إلى الأبد إلى مملكة هادس الكئيب، وحرمان الآلهة والبشر من ضوئه إلى الأبد. ولاسترضاء إله الشمس الغاضب وعد زوس بتحطيم المركب بصاعقة وإهلاك جميع من تطاول على المقدسات.

عبثاً رحت ألوم رفاقي على مااقترفوا، فقد أرسل لنا الآلهة إشارة رهيبة، إذ راحت جلود الثيران المسلوخة تتحرك وكأنها حية، أما لحومها فراحت تطلق خواراً مفجوعاً. استمرت العاصفة ستة أيام. أخيراً، وفي اليوم السابع، هبت ريح مواتية. فاستأنفنا رحلتنا في الحال. لكن لم تكد جزيرة تريناكريا تختفي عن الأنظار حتى حشد زوس قاذف الصواعق السحب المخيفة فوق رؤوسنا، وتحطم الصاري مثل العود، ثم سقط على المركب. ولدى سقوطه حطم رأس الربان. وومض البرق، فحطم المركب إلى قطع صغيرة، وابتلع اليم جميع الرفاق، ولم ينج أحد

غيري. وبعد لأي أمسكت بأنقاض صاري مركبي وقاعدته، ثم ربطتهما ببعض. هدأت العاصفة، وبدأت تهب رياح نوط، التي دفعت بي باتجاه خاريبديس مباشرة. وكانت في هذا الوقت تبتلع مياه البحر بشكل صاخب. وبالكاد استطعت التشبث بأغصان شجرة الجميز، التي تنبت على الصخرة قرب خاريبديس، وبقيت معلقاً بها. انتظرت طويلاً إلى أن تنفث خاريبديس الصاري والقاعدة مع الماء. أخيراً خرجا من فمها الرهيب، فتركت أغصان الجميز، وألقيت بنفسي على أنقاض مركبي مباشرة. وهكذا نجوت من الوقوع لقمة سائغة في فم خاريبديس، كما نجوت بمشيئة زوس من الوحش سيلا أيضاً، فلم ترني وأنا أسبح عبر أمواج البحر المصطخب.

تسعة أيام بقيت أطوف أرجاء البحر الشاسع، وأخيراً ساقتني الأمواج إلى جزيرة الحورية كاليبسو. وقد حدثتكما عن ذلك أيها الملك الكينووس والملكة أريتا.

بهذا اختتم أوديسيوس قصة مغامراته.

عودة أوديسيوس إلى إيثاكه[٣٧]:

في اليوم التالي استعد الفيسيانيون للإقلاع، ونقلوا إلى المركب الهبات السخية، التي قدمت لأوديسيوس. وكان الكينووس يشرف شخصياً على كل الاستعدادات. وحين أصبح كل شيء جاهزاً قدم في قصر الكينووس قرباناً لزوس، وأقيمت حفلة الوداع. كان أوديسيوس ينتظر حلول المساء عل أحر من الجمر. ولاتسل عن فرحه حين رأى الشمس تميل إلى الغروب والمساء يصبح وشيكاً. وحين تكاثف غسق المساء ودع أوديسيوس الملك الكينووس، وأريتا شبيهة الآلهة، ثم ذهب إلى المركب. صعد أوديسيوس متن المركب، واستلقى

على السرير المعد له . بدأ المجذفون الأقوياء يجذفون بهمة ، فخرج المركب إلى عرض البحر. أرسل الآلهة إلى أوديسيوس نوماً عميقاً، فظل نائماً طيلة الطريق. اندفع المركب يشق عباب البحر أسرع من النسر، وفي الصباح الباكر رسا إلى شواطىء إيثاكه، غير بعيد عن الكهف المنذور للنيادات[٣٨]. حمل الفيسيانيون أوديسيوس النائم إلى الشاطىء بكل حذر، ثم وضعوه على الرمل. وإلى جانبه وضعوا كل الهبات، التي قدمت له، ثم قفلوا راجعين، رأى بوزيدون المركب العائد، فغضب من الفيسيانيين لأنهم نقلوا أوديسيوس إلى وطنه ضد إرادته. فراح بوزيدون يشكوهم إلى زوس، قاذف الصواعق. ونصح زوس أخاه أن يعاقب الفيسيانيين بأن يحول مركبهم، لدى دخوله مرفأ بلادهم، إلى صخرة عالية. أسرع بوزيدون إلى جزيرة الفيسيانيين، وراح ينتظر عودة المركب وها قد ظهر المركب في الأفق، واحتشد على الشاطىء جمهور غفير لاستقبال البحارة. وهاهو المركب في المرفأ، وبغتة تحول إلى صخرة، ونقلوا خبر هذه المعجزة إلى الملك الكينووس، فأدرك أن بوزيدون قد نفذ وعيده، بإنزال العقاب بالفيسيانيون لأنهم ينقلوا المسافرين عبر البحر. جمع الكينووس جميع السكان، وأمرهم بتقديم الأضاحي لبوزيدون. وراح الفيسيانيون يصلون لبوزيدون بكل خشوع أن يخفف من غضبه، ونذروا على أنفسهم أن لايعودوا أبداً إلى نقل المسافرين إلى أوطانهم.

استيقظ أوديسيوس فوجد نفسه على شاطىء، فلم يعرف موطنه إيثاكه لأن الربة أثينا غطت كل ماحوله بضباب كثيف. وقد دب اليأس في نفس أوديسيوس. لقد اعتقد أن الفيسيانيين تركوه في جزيرة غير مأهولة، فراح يشكو بصوت عال من حظه العاثر.

وإذ تلفت من حوله رأى هبات الفيسيانيين بجواره. كانت موجودة بكاملها. سار أوديسيوس حزيناً عبر الشاطىء، فصادف شاباً جميلاً. وحين سأله

أي البلاد هذه، فوجيء بأنه في إيثاكه، وبدوره سأله الشاب عمن يكون. فأجابه أوديسيوس الحذر بأنه عابر سبيل، أصله من كريت. وأنه كان ينوي السفر على متن مركب الفيسيانيين إلى بيلوس أو إيليدا، لكن الفيسيانيين ألقوا به، وهو نائم، على هذا الشاطىء، وسرقوا كل ثروته. بعد أن سمع الشاب هذه القصة ابتسم، ثم غير هيأته فجأة. كانت الربة أثينا تقف أمام أوديسيوس. وقد أطرت أوديسيوس على حذره، ثم شجعته بأن وعدته بمد يد العون، وأمرت أثينا أوديسيوس أن لايكشف لأحد عن هويته، لكن أوديسيوس لم يستطع أن يصدق أنه أخيراً في إيثاكه. وحينذاك بددت أثينا الضباب، الذي يلف إيثاكه. عرف أوديسيوس موطنه فخر على ركبتيه، وراح يقبل أرض الوطن بفرح. أما أثينا فقد حولت أوديسيوس إلى شحاذ مسكين. وعلى وجه أوديسيوس وكتفيه تغضن جلده، وأصبح نحيلاً، وسقط عن رأسه شعره الجميل، وخبا ضوء عينيه، وغطت التجاعيد جفنيه. وألبسته أثينا أسمالاً قذرة، ووضعت على كتفه حقيبة مرقعة، ربطت بحبل، وفي يده عصا. وأمرت أوديسيوس بأن يخبيء هبات الفيسيانيين في المغارة، ويذهب في هيئة شحاذ إلى عموس راعي الخنازير، أما هي فقد انطلقت على جناح السرعة إلى اسبارطة، لكي تعيد تليماخ، ابن أوديسيوس، من هناك.

أوديسيوس عند عموس[٣٩]:

حين اقترب أوديسيوس من مسكن عموس، راعي الخنازير، كان هذا وحيداً في بيته، وكان يعمل وهو جالس قرب المدخل. وما إن رأت الكلاب أوديسيوس حتى انقضت عليه، وهي تنبح بهياج. وكان من شأنها أن تمزقه لو لم يهرع عموس ويطردها.

وقال عموس مخاطباً أوديسيوس، دون أن يعرفه في هيئة الشحاذ:

- أيها الغريب، كان يمكن أن تهلك، فيصيبني حزن جديد، غير ذلك الحزن الذي يعذبني بسبب هلاك أوديسيوس. والآن هيا بنا إلى المنزل، لسوف أطعمك، وأجعلك ترتاح.

سار أوديسيوس إلى مسكن عموس، المبني من الحجر الخشن. وفي باحة البيت كانت تقوم زريبة الخنازير. دخل عموس وأوديسيوس البيت. وراح عموس يشكو، وهو يعد المائدة، من الخطاب المشاغبين، الذين نهبوا دار أوديسيوس بشكل أسوأ من القراصنة. والذين دمروا قطعانه الكثيرة. كان أوديسيوس يصغي إليه بكل انتباه، وهو يفكر بكيفية الانتقام من الخطاب. وفي أثناء الطعام راح أوديسيوس يسأل عموس عن سيده، وحين قال راعي الخنازير أن سيده قد لقي حتفه أقسم أوديسيوس أن سيده سيعود إلى البيت، سيعود قريباً. لكن عموس لم يصدق قسمه. وسأل عموس الغريب عمن يكون، فروى له أوديسيوس قصة مختلقة عن مصائبه.

لم يلبث الرعاة أن عادوا بالقطيع. وقد ذبحوا خنزيراً سميناً، وتناولوه على العشاء. وفي أثناء العشاء كرم عموس الغريب بأن قدم له أفضل قطعة، وأعطاه أول قدح من الخمرة، بصفته ضيفاً.

وبينما كانوا يتناولون طعام العشاء هبت في الخارج عاصفة قوية، وهطل المطر، فأصبح الجو بارداً. ولم يكن لدى أوديسيوس مايتغطى به في نومه، حتى رداء. وحينذاك روى لعموس والرعاة القصة التالية، لكي يعطوه رداء، بعد أن يفهموا التلميح فيها.

بدأ أوديسيوس قصته:

- اسمع ياعموس، واسمعوا أنتم. في ذات مرة عند أسوار طروادة كان مينيلاوس، أوديسيوس وأنا نرقد في كمين. كان الطقس بارداً في الليل بين أجمات القصب، وكان الثلج يتساقط بندف كبيرة، وكنت قد نسيت ردائي.

وأخيراً أخبرت أوديسيوس بذلك. فلجأ إلى الحيلة فوراً، إذ نهض قليلاً، وأيقظ المحاربين المستلقين بجانبنا، وقال إنه رأى حلماً سيئاً، ولذا فإنه يخاف أنهم ابتعدوا عن المراكب كثيراً، وأنه يجب إرسال أحد ما لطلب النجدة من أغاممنون. وحينذاك نهض أحد المقاتلين، وألقى بالرداء عن جسمه، وانطلق باتجاه المراكب، أما أنا فقد أخذت الرداء، وتغطيت به، ونمت قرير العين حتى مطلع الفجر.

فهم عموس مغزى القصة، فأعد الفراش لأوديسيوس قرب الموقد، وفرش له جلد خروف وجلد ماعز، وأعطى أوديسيوس رداءه، الذي كان يلبسه شتاء. نام أوديسيوس نوماً لذيذاً. أما عموس فلم يبق في البيت، بل علق السيف على كتفه، وأخذ الرمح في يده، ثم غطى نفسه بالرداء، وذهب يتفقد القطيع.

عودة تليماخ إلى إيثاكه[٤٠]:

بعد أن غادرت أثينا بالاس أوديسيوس، الذي تحول إلى شحاذ، قصدت أسبارطة فوصلتها بسرعة. دخلت قصر الملك مينيلاوس، وذهبت مباشرة إلى الجناح، الذي كان ينام فيه تليماخ وفيسسترات. كان نوم تليماخ خفيفاً، وكان في نومه يفكر بأبيه ويتأسى له. دنت أثينا من رأس ابن أوديسيوس، وقالت له:

- آن الأوان ياتليماخ لأن تعود إلى الوطن، حيث تخليت عن كل أملاكك. إن الخطاب المشاغبين ينهبونها، ولسوف يأتون عليها إن لم تعد. وفكر أيضاً بأن النساء لايؤتمن جانبهن أبداً. لسوف تنساك بنلوبة، ولن تهتم إلا بأولادها من زوجها الثاني. هيا عد على جناح السرعة إلى البيت. لكن تذكر شيئاً واحداً: إن الخطاب ينصبون لك كميناً، ولكي تتجنبه يجب أن تبحر تحت جنح الظلام قرب الجزيرة، وفي الصباح عند الفجر ترسو إلى شاطىء إيثاكه في مكان

مستور. اذهب إلى عموس راعي الخنازير، ومن هناك ابعث برسول إلى بنلوبة ينبئها بقدومك.

قالت أثينا ذلك، ثم انصرفت.

وعلى الفور أيقظ فيسسترات، وراح يستعجله العودة إلى بيلوس. لكن فيسسترات أقنع تليماخ بإنتظار الصباح. فلا يصح أن يغادرا القصر ليلاً، دون وداع مينيلاوس. سمع تليماخ نصيحة فيسسترات. ولم تلبث أيوس، ربة الفجر، أن طارت إلى السماء، وحل الصباح. دخل الملك مينيلاوس على الشابين. استقبل ابن أوديسيوس مينيلاوس بالباب، وراح يرجوه أن يسمح له بالعودة إلى دياره في إيثاكه بسرعة. لم يحاول مينيلاوس منع تليماخ، لكنه طلب منه الانتظار قليلاً لكي يجهز له الهبات، كما دعاه لتناول الطعام قبل السفر.

بعد تناول الطعام، والحصول على هبات مينيلاوس، استعد الشابان للسفر، وانطلقا على متن جواديهما بسرعة قاصدين بيلوس.

وفي الطريق قضى الشابان الليل في فيريا عند البطل ديوكلوس، ووصلا بيلوس في اليوم التالي. واستطاع تليماخ أن يقنع فيسسترات بأن لايعرج على قصر نسطور، خشية أن يعرقل الشيخ سفره يوماً آخر. وافق فيسسترات، ورافق صديقه إلى المركب مباشرة. أقلع المركب بسرعة وانطلق، تدفعه ريح مواتية، إلى عرض البحر.

كان أوديسيوس في هذا الوقت لايزال عند عموس.

راح أوديسيوس يسأل عن والده ليرت وزوجته بنلوبة، فحدثه عموس بكل شيء، دون أن يخطر بباله أنه يروي ذلك لأوديسيوس نفسه.

وصل تليماخ إيثاكه في الصباح. وقد رسا بمركبه إلى الشاطىء في مكان مستور، كما أمرته أثينا، ثم نزل من المركب. وقد أرسل رفاقه على المركب إلى مرفأ المدينة، أما هو فقد قصد عموس، راعي الخنازير.

تلمياخ يأتي إلى عند عموس. أوديسيوس وتليماخ[41]:

استيقظ أوديسيوس وعموس باكراً. وفجأة اندفعت كلاب عموس بنباح مرح للقاء تليماخ المألوف لديها، وراحت تتمسح به. ووثب راعي الخنازير للقائه، عانق عموس تليماخ الداخل، وراح يقبله، وهو يذرف دموع الفرح. نهض أوديسيوس، يريد تقديم مكانه للقادم. وخاطبه تليماخ بلطافة:

- اجلس ياابن السبيل! اطمئن فلسوف يجهز لي عموس مكاناً.

سارع عموس يجهز المكان لجلوس تليماخ، ثم قدم له الطعام والنبيذ. وفي أثناء الطعام سأل تليماخ عموس من أين جاء هذا الغريب، ومن جاء به إلى إيثاكه. فروى له عموس تلك الحكاية الملفقة، التي سمعها من أوديسيوس، وسأله أن يستقبله في داره. لكن تليماخ لم يستطع أن يعد بذلك. فكيف بمقدوره، وهو الفتى، أن يتغلب على هذا الحشد من الخطاب المشاغبين؟ وكان كل ماأستطاع أن يعد به الغريب ثياباً جديدة وسيفاً على شكل هدية، ومساعدته في العودة إلى الوطن.

أرسل تليماخ عموس إلى المدينة، وأمره بأن يخبر أمه سراً بعودته. على أن ترسل بنلوبة إحدى جواريها المخلصات إلى الشيخ ليرت لتنبئه بعودته، فهو بدوره قلق على مصير حفيده.

انطلق عموس مسرعاً لتنفيذ مهمة تليماخ. وما إن خرج عموس حتى ظهرت الربة أثينا أمام أوديسيوس بحيث لايراها تليماخ، ونادت أوديسيوس إلى خارج الكوخ، وهناك عند سياج الباحة أعادت له هيئته السابقة، بعد أن لامسته بصولجانها، ثم أمرته بأن يكشف عن هويته لتليماخ.

حين عاد أوديسيوس إلى الكوخ راح تليماخ ينظر إليه وهو في حيرة من أمره،

فقد خيل إليه أن أحد الآلهة قد تجلى له، إلى هذا الحد كان أوديسيوس جميلاً ومهيباً.

وصاح تليماخ:

ـ ألا ياابن السبيل، إنك تظهر لي الآن في هيأة أخرى. إنك أحد الآلهة الخالدين، فارأف بنا، ولسوف نقدم لك الكثير من الأضاحي.

فرد عليه أوديسيوس:

ـ كلا، لست بالإله، بل أنا أبوك أوديسيوس، الذي تحملت لأجله الإهانات من الخطاب المشاغبين.

بكل الحب عانق أوديسيوس ابنه، وقبله وهو يبكي. لكن تليماخ لم يستطع أن يصدق فوراً أن أباه عاد إلى الوطن أخيراً. فهو للتو رآه في هيئة شحاذ عجوز مسكين. فكيف استطاع أن يتبدل على هذا النحو، وهل بوسع الإنسان الفاني أن يصنع مثل هذه المعجزات؟ استولى الشك على تليماخ، لكن أوديسيوس بدد هذا الشك بقوله أن الربة أثينا حولته إلى شحاذ، وأنها هي التي أعادت له هيأته الحقيقية. صدق تليماخ أن من يقف أمامه هو والده. وروى أوديسيوس لابنه كيف جلبه الفيسيانيون، وكيف خبأ هباتهم في المغارة العميقة، وكيف صادفته الربة أثينا، وأرسلته إلى عموس. وراح أوديسيوس يسأل تليماخ عن الخطاب. كان يلتهب غيظاً، ويريد أن ينتقم منهم لكل الإهانات. لكن هل هذا ممكن؟ فالخطاب كثير ون، إن عددهم مئة وستة عشر. فهل بمقدورهما ـ أوديسيوس وتليماخ ـ التصدي لمثل هذا الحشد في معركة سافرة؟ لكن لدى أوديسيوس مساعدين قديرين، لايستطيع الفانون الصمود في وجهها، إنها زوس قاذف الصواعق وابنته أثينا بالاس.

قرر أوديسيوس ـ وهو يعلق الأمل على مساعدتها ـ أن يتصرف على النحو التالي: كان على تليماخ أن يذهب إلى المدينة، وإلى الخطاب، وفي أعقابه يأتي

أوديسيوس بهيئة عابر سبيل شحاذ، برفقة عموس، كما لو أنه يجمع الصدقات. ولسوف يتحمل أوديسيوس كل إهانات الخطاب. ومن ثم، وبإشارة من أوديسيوس، يقوم تليماخ بإخراج كل السلاح من قاعة الاحتفالات، ولايترك إلا سلاحه وسلاح أبيه. والأهم من كل شيء ـ ضرورة إبقاء عودة أوديسيوس طي الكتمان، كي لايعرف أحد بذلك، حتى بنلوبة. لأن بعض العبيد والجواري لم يحافظ على الإخلاص لأوديسيوس. ظل أوديسيوس وتليماخ يتشاوران طويلاً.

وفي هذا الوقت وصل المدينة مركب تليماخ. وللحال أرسل رفاقه من ينبيء بنلوبة بعودة ابنها. وقد التقى عموس بهذا الرسول لدى قصر أوديسيوس، فدخلا إلى بنلوبة معاً. وبصوت عالٍ أنبأ الرسول بنلوبة بعودة ابنها. أما عموس فقد أنحنى نحوها ونقل إليها بصوت خافت كل ماكلفه به تليماخ. فرحت بنلوبة أن ابنها عاد إليها.

انتشر نبأ عودة تليماخ انتشار النار في الهشيم، إلى أن وصل مسامع الخطاب، فخافوا، واجتمعوا في الساحة للتشاور كيف سيتصرفون. وكانت نصيحة أنطينوس أن يقتلوا تليماخ لأنه العقبة الوحيدة في طريقهم. لكن أمفينوموس لم يشاطره هذا الرأي. كان يخاف سخط زوس، وكانت نصيحته أن يسأل الآلهة أولاً، فاذا ما أعطى الآلهة إشارة المباركة فإنه مستعد لقتل تليماخ بنفسه، أما إذا لم يكن ذلك فإنه ينصح الآخرين بعدم رفع أيديهم على تليماخ. وافق الخطاب على رأي أمفينوموس، وذهبوا إلى قصر أوديسيوس.

نقل المنادي ميدونت لبنلوبة مايخطط له الخطاب، فخرجت إليهم، وراحت توبخهم على مكرهم. وصبت بنلوبة اللوم بخاصة على أنطينوس، الذي كان أوديسيوس قد سبق وأنقذ والده من غضب الشعب. وراح أوريماخ يطمئن بنلوبة بأن الخطاب لن يرفعوا أيديهم أبداً على تليماخ. وعلى الرغم من أن أوريماخ قال ذلك فإنه لم يكن يفكر إلا بكيفية إهلاك تليماخ.

وفي هذا الـوقت عاد عمـوس إلى كوخـه . ومن جديـد أعـادت الـربة أثينا أوديسيـوس إلى هيئـة ابن السبيـل ، كي لايتعـرف عليـه عمـوس . وروى راعي الخنازير لهما عن مشاهداته في المدينة ، ثم راح يعد طعام العشاء للجميع .

أوديسيوس يأتي إلى قصره في هيئة عابر سبيل[٤٢] :

ما إن اصطبـغ طرف السـماء في اليـوم التالي بلون الفجر الأرجواني الساطع حتى انطلق تليماخ قاصداً المدينة . وقبيل خروجه أمر عموس بمرافقة ابن السبيل إلى المـدينـة ، كي يتمكن من جمع الصـدقـات هنـاك . ولدى وصوله البيت التقى تليـماخ مربيتـه أوريكليا العجوز. وكانت فرحتها لاتوصف برؤ ية تليماخ الداخل ، فاحتضنته وهي تبكي . وخرجت للقاء ابن أوديسيوس جميع الجواري . كما خرجت للقـائـه بنلوبـة ، إذ عرفت بقـدومـه . عانقت الأم ابنهـا ، وراحت تسأله عما عرف خلال رحلتـه . بيـد أن تليماخ لم يحدثها بشيء ، كان يستعجل الوصول إلى ساحة المدينة لكي يأتي بثيوكليمان إلى داره .

حين وصـل تليـماخ ساحة المدينة احتشد الخطاب من حوله . كان كل منهم قد جاء ليتمنى له التوفيق والنجاح ، لكنهم في قرارة أنفسهـم كانوا يخططون للفتك به . ولم يلبث ثيـوكليـمان أن جاء إلى الســاحة برفقة بيريم ، الذي آواه أثناء غياب تليماخ عن المدينة .

وعلى الفـور دعـا تليـماخ ثيـوكليـمان إلى داره وذهبا معاً . وفي البيت جلس تليـماخ وثيـوكليـمان إلى الطعـام ، بعـد أن اغتسـلا في مغاسل مرمرية رائعة . وقد خرجت بنلوبـة اليهـما ، وجلست قرب مائدتهما ومعها عملها ، حدث تليماخ والدته عن رحلتـه إلى بيلوس واسبـارطـة . وحزنت بنلوبة لأن تليماخ لم يكتشف شيئاً عن والـده . لكن ثيـوكليـمان راح يطمئنهـا مؤكداً لها أن أوديسيوس هو الآن في إيثاكه ،

وأنـه متخفٍ على الأرجـح في مكـان ما، ويعـد العـدة للفتـك بالخطـاب. وقـال ثيوكليان أنه لو لم يكن أوديسيوس قد عاد إلى إيثاكه لما أرسل الآلهة إشارة عند عودة تليماخ.

أثنـاء حديث بنلوبـة مع تليـماخ وثيـوكليان كان الخطاب يتسلون في الباحة برمي القـرص والـرمـح. ولم يلبث الـرعاة أن ساقوا الماعز والنعاج لمأدبة الخطاب. دخل الخطاب منزل أوديسيوس جمهوراً حاشداً، وانصرفوا للاستعداد للمأدبة. ثم دعاهم المنادي ميدونت إلى قاعة الاحتفالات.

وفي هذا الـوقت كان أوديسيـوس وعمـوس يغـذان السير قاصدين المدينة. كان أوديسيـوس يتـوكأ على عكـاز، في هيئـة شحاذ مسكين وكانا قد أصبحا على مشارف المدينة حين صادفهما، عند النبع، الذي كان سكان المدينة يتزودون بالماء منـه، الـراعي ملانثيـوس. وحـين رأى ملانثيوس الوقح عموس مع الشحاذ راح يسخر منهما بقوله:

- ها هو وقـح يقـود آخـر. إلى أين تقـود هذا الشحـاذ ياعمـوس الغبي؟ انتبـه، فالخطاب سيكسرون أضلاعه إذا ماتجاسر فقط على الظهور في منزل أوديسيوس.

وبعـد أن صاح ملانثيـوس بذلـك، رفس أوديسيـوس بقـدمـه. لكن أوديسيـوس لم يتـمايـل قيد أنملة بسبب هذه الضربة، بيد أنه بالكاد تمالك نفسه عن قتـل هذا الـوقـح بضرب رأسه بالأرض. وراح عموس يهدد ملانثيوس بأن عاقبته ستكـون وخيمـة حين يعـود أوديسيوس. لكن ملانثيوس أجابه بفظاظة أنه عبثاً يأمل بعـودة أوديسيـوس، وأن الخطـاب لن يلبثـوا أن يفتكـوا بتليماخ، أما عموس نفسه فسيباع لبعض الغرباء. وانصرف ملانثيوس بعد هذه التهديدات.

تابـع عمـوس وأوديسيـوس على مهـل، إلى أن اقـتر بـا أخـيراً من قصر أوديسيوس. ومن هناك ترددت أصوات الغناء والقيثارة. وكانت مأدبة الخطاب في

ذروتهـا، دخل عموس وأوديسيوس باحة القصر، وهما يتحادثان بصوت عال. وهناك بالقـرب من البـوابـة كان يرقـد أرغـوسن العجوز، كلب أوديسيوس. وما إن سمع الكلب صوت سيده حتى أصاخ السمع. وإذ أحس أرغوس المخلص بوجود سيده هم بالوقوف، وهو يبصبص بذيله، لكي يندفع للقائه، لكنه كان قد أصبح عاجزاً عن الحـركـة. كان الكلب العجـوز على وشـك أن يلفـظ أنفاسه الأخيرة بعد أن تخلى عنـه الجميـع. وقـد تعـرف أوديسيـوس على صديقـه المخلص أرغـوس، فتدحرجت دمعة من عينه، لكنه مسحها بيده بسرعة كي لايراها عموس. اختلج أرغوس ونفق. منذ عشرين عاماً وهو ينتظر سيده، وقد عرفه فوراً حتى وهو متنكر في زي شحاذ.

كان عمـوس أول من دخـل قاعـة الاحتفالات، وجلس بجوار تليماخ. ثم تلاه أوديسيـوس، لكنـه لم يذهب إلى حيث الضيـوف، بل جلس قرب المدخل. وقـد استنـد إلى البـاب، وعلى الفـور أخذ تليماخ الخبز واللحم وأوعز بحمله إلى أوديسيوس، وأن يقال له أن يذهب إلى الضيوف بكل جرأة، ويطلب الصدقات. نهض أوديسيـوس، وراح يطـوف على الضيـوف، فأعطـاه الجميع إلا أنطينوس، الذي رفض، لكن أوديسيوس راح يلح عليه في طلب الصدقة. فغضب أنطينوس القاسي الجلف، وطرد أوديسيوس عنه. ابتعد أوديسيوس عنه متمتماً:

- نعم إنني أرى أن عقلك ليس جيداً. مثل وجهك، مادمت تضن بإعطائي، ولو قشرة خبز، سيما وأنه ليس خبزك.

تملك الغضب أنطينـوس، وأمسـك بمقعـد، وقـذف به أوديسيـوس بكـل ماأوتي من قوة، فأصـابـه في ظهره، لـكن أوديسيـوس لم يتحـرك بسبب الضـربـة الشـديـدة، بل ظل واقفـاً كالطود الراسخ، واكتفى بأن هز رأسه مهدداً، ثم عاد، فجلس قرب الباب وهو يقول:

- لاضـير في أن يتحمـل المرء الضـرب دفاعاً عن رزقه. وإذا كانت الإيرينات،

ربـات الانتقـام تحمي الشحـاذين أيضاً، فإن الموت هوماينتظر أنطينوس هنا، بدل الزواج.

وتفـاقم غضب أنطينوس حين سمع كلام أوديسيوس، لكن الخطاب راحوا يلومـونـه لأنـه أهـان ابن السبيـل، الـذي جاء إلى هذا البيت، وكم من الآلهة الخالدين يأتون إلى البشر متنكرين في زي أبناء السبيل. تألم تليماخ كثيراً وهو يرى الإهانة التي وجهها أنطينوس لأبيه، لكنه تذكر مااتفق عليه مع أبيه، فكظم غيظه.

وبـدورهـا عرفت بنلوبة كيف أهان أنطينوس الشحاذ المسكين، فازداد كرهها لأنطينوس الـوقـح، ثم نادت عموس، وراحت تسأله عن الشحاذ، وحين عرفت أنه سبق لأوديسيوس أن حل ضيفاً على والده صاحت:

- إنني على ثقـة أن أوديسيـوس وتليـماخ سينتقمان من الخطاب انتقاماً قاسياً حين يعود أوديسيوس.

ومـا إن قالت بنلوبـة هذا حتى عطس تليـماخ بصوت عال، ففرحت بنلوبة بهذه العـلامـة، وأصبحت الآن على يقـين أن زوجهـا سيفتـك بالخطـاب إن عاجلاً أو آجلاً.

أوعـزت بنلوبـة لعموس أن يأتي بالشحاذ لكي تسأله عن أوديسيوس، بيد أن أوديسيـوس رفض الـذهاب إلى بنلوبة الآن، وطلب انتظاره حتى المساء، كي لايزيد من حنق الخطاب. وافقت بنلوبة على الانتظار،

أصبحت مأدبة الخطاب أكثر صخباً.

حل الليـل، وكـان عمـوس قد انصـرف إلى داره منذ وقت طويـل، أمـا الخطاب فلم يكونوا قد انصرفوا بعد. وفجأة ظهر بالباب شحاذ معروف في إيثاكه كلها بنهمه وسكره. كان اسمه إيروس. وحين رأى إيروس أوديسيوس بالباب راح يطرده، لكن أوديسيوس لم ينصرف. وحينذاك بدأ إيروس يهدده بالضرب إن هو لم

ينصـرف حالاً. بدأ الجـدال بينهما. وقد سمع جدالهما أنطينوس، ورغبة منه في أن يتسلى هو والخطاب قرر إرغام إيروس على قتال الغريب. وقد وعد بمكافأة الفائز بإمعاء ماعز مشوية، والسماح له بالقدوم يومياً لجمع الصدقات. التف الخطاب من حول إيـروس وأوديسيـوس وراحوا يحرضونهما على المبارزة. وافق أوديسيوس على القتال، لكنه جعل الخطاب يقسمون سلفاً أنهم لن يساعدوا إيروس. وقد أقسم الخطـاب اليمـين. وحينـذاك خلع أوديسيوس أسماله، وتمنطق بها. وراح الخطاب ينظـرون ذاهلين إلى جسم أوديسيـوس القـوي، وإلى يديـه ذات العضـلات البارزة، وإلى صدره العريض وكتفيه. دب الخوف في نفس إيروس، لكنه لم يعد قادراً على الانسحاب، لأن العبيد أمسكوا به، ثم وضعوه في مواجهة أوديسيوس. كان إيـروس بالكـاد يقف على قدميـه من شدة خوفـه. وفكر أوديسيوس، بعد أن نظـر إليـه: هل أقتله بقبضتي، أم اكتفي برميه أرضاً؟ وقرر أوديسيوس أن الضربة القـاضيـة قد تثـير الريبة في نفوس الخطاب، ولذا فحين ضربه إيروس على كتفـه ضربـه بدوره على رأسـه فوق أذنه. فوقع إيروس على الأرض، وراح يصرخ من شدة الـوجـع. أمـا أوديسيـوس فقـد قبض عليـه من رجله، وأخـرجـه من قاعـة الاحتفـالات إلى البـاحة، وهناك أجلسه إلى الجدار قرب البوابة، ورمى بحقيبته الممـزقـة على كتفـه، ووضـع العصا في يده. وهكذا لقن أوديسيوس إيروس درساً لأنه أراد بكل وقاحة أن يطرده من بيته. سر الخطاب من أوديسيوس لأنه خلصهم من إيـروس ثقيـل الظـل. وقـد هنأ وه مرحبين بفـوزه، أمـا أمفينـوموس فقد قدم لأوديسيوس قدحاً من النبيذ متمنياً له أن يرزقه الآلهة الثروة والسعادة من جديد. كان أمفينـومـوس غالبـاً مايمنع الخطاب من العربدة، ويدافع عن تليماخ باستمرار. ورغبة من أوديسيوس، الذي كان يعرف ذلك، في إنقاذ أمفينوموس، فقد نصحه بالـذهـاب إلى بيتـه. لأن أوديسيـوس لن يلبث أن يعود فيفتك بجميع الخطاب، لكن أمفينوموس لم يصغ لنصيحة أوديسيوس، وقد سعى إلى حتفه بظلفه.

وفي هذا الوقت دفعت أثينا بالاس بنلوبة للخروج إلى الخطاب لكي تزيد من حماستهم على الزواج بها. ولكي يزداد تقدير أوديسيوس وتليماخ لاخلاصها وحبها لهما. وللحال نادت بنلوبة أورينومة، وأمرتها بدعوة الوصيفتين، اللتين كان عليهما أن ترافقاها إلى الخطاب في قاعة الاحتفالات. ولدى خروج أورينومة جعلت الربة أثينا بنلوبة تذهب في إغفاءة قصيرة، وفي الحلم وهبتها من الحسن والجمال ماجعلها تتألق مثل ربة الحب أفروديت. أيقظت الوصيفتان بنلوبة، فنهضت وذهبت إلى الخطاب، الذين راحوا ينظرون إلى زوجة أوديسيوس بكل إعجاب. أما بنلوبة فقد استدعت تليماخ، وراحت تلومه لأنه سمح بإهانة الغريب المسكين في داره. وأصغى تليماخ إلى تقريع والدته بكل خضوع. ومن بين الخطاب انبرى أوريماخ يمتدح جمال بنلوبة. أصغت بنلوبة لإطرائه، ثم قالت أنها لم تعد تتمتع بالجمال الغابر، وأنها فقدته مذ غادرها أوديسيوس، ولن تسترد جمالها إلا بعد أن يعود إليها أوديسيوس. وراحت بنلوبة توبخ الخطاب لأنهم يرغمونها على الزواج، الذي تكره، بأحدهم. ويجرون على دار أوديسيوس الافلاس بسبب مآدبهم. وهذا مالم يكن يحدث في الأزمنة الغابرة حين كان الخطاب يحاولون بهباتهم أن يستميلوا العروس للزواج، ولم يكونوا يبذرون أرزاق الآخرين. أرسل الخطاب خدمهم لإحضار الهدايا السخية، ثم قدموها لبنلوبه، ظناً منهم أنهم يستميلونها بذلك للزواج. تقبلت بنلوبه الهبات بصمت، ثم انصرفت إلى مخدعها.

لم تكد بنلوبه تنصرف حتى أمر الخطاب الوصيفات بجلب ثلاثة قناديل كبيرة، وإشعال النار فيها، لكي يصبح النور ساطعاً في قاعة الاحتفالات. نفذت الوصيفات الأمر. أما أوديسيوس فقد قال للوصيفات أن يذهبن وينصرفن لأشغالهن، وسيقوم هو بالعناية بالقناديل. لكن إحداهن ـ ميلانتو ـ راحت تسخر منه وتشتمه. وهنا هدد أوديسيوس الوصيفة الوقحة بأنه سيشكوها إلى بنلوبه.

خافت الوصيفات من هذا التهديد، وخرجن بسرعة. أما أوديسيوس فقد راح يعتني بنار القناديل. وبغية تسلية الخطاب راح أورياماخ يسخر من أوديسيوس بقوله:

- إنني أرى أن أحد الآلهة أرسل لنا هذا الغريب كي تكون مأدبتنا أكثر نوراً. ليس القنديل مصدر النور، بل إنه يأتي من رأسه. الذي لا توجد عليه شعرة واحدة.

ضحك الخطاب، أما أورياماخ فزاد من تهكمه من أوديسيوس، لكن أوديسيوس رد عليه بكل هدوء:

- إن غرورك كبير يا أورياماخ، لكنك تتصور أنك قوي فقط لأنك محاط بالضعفاء، ولو أن أوديسيوس يعود الآن لكانت عودته الطامة الكبرى بالنسبة لك، فهذا الباب - على اتساعه - كان سيبدو لك في منتهى الضيق - لشدة عجلتك في الهرب.

غضب أورياماخ، وتناول مقعداً، وقذف به أوديسيوس بكل قوته، لكن أوديسيوس حاد عن الضربة بمهارة، فوقع المقعد على يد أحد العبيد، حامل النبيذ، فسقط على الأرض وهو يئن، وارتمى القدح من يده. ازداد صخب الخطاب. كانوا غاضبين لأن المشاحنات الدائمة بدأت في مأدبتهم منذ ظهور هذا الغريب. لكن تليماخ قال أن سبب المشاحنات لا يكمن هنا بل في أن الجميع سكارى وقد آن الأوان لإنهاء المأدبة. وعلى الرغم من أن الخطاب تضايقوا من قول تليماخ فإنهم اضطروا لإنهاء المأدبة.

حين تفرق جميع الخطاب قال أوديسيوس لتليماخ أنه يجب الآن نقل كل الأسلحة من قاعة الاحتفالات. دعا تليماخ أوريكليا، وأمرها بأن توصد الأبواب على جميع الخادمات لكي لا ترى أي منهن عملية إخراج السلاح. نفذت أوريكليا أوامر تليماخ. بدأ أوديسيوس وتليماخ إخراج السلاح. أما الربة أثينا فقد

راحت تنير الدرب لهما، بواسطة مصباحها، دون أن تظهر للعيان. دهش تليماخ، وهو يرى النور يغمر المكان، دون أن يكون هناك مصباح. فسأل أوديسيوس عن مصدره، لكن أوديسيوس حظر على ولده السؤال، خوفاً من أن تغضب الربة من كثرة أسئلة تليماخ. بعد الانتهاء من نقل السلاح ذهب أوديسيوس إلى بنلوبة، وكانت تنتظره بفارغ الصبر لكي تسأله عن أوديسيوس. أما تليماخ فقد ذهب إلى مخدعه، ونام قرير العين.

أوديسيوس وبنلوبه

حين ذهب تليماخ للنوم جاءت بنلوبه إلى قاعة الاحتفالات بصحبة وصيفاتها. وعند الموقد وضعت الوصيفات لسيدتهن كرسياً من العاج، المُطَعَّم بالفضة، ورحن ينظفن المائدة التي كان يجلس إليها الخطاب. ومن جديد راحت الوصيفة ميلانتو تشتم أوديسيوس، وتطرده من البيت، وتهدده برميه بالجمر المتوهج إن لم ينصرف. لكن أوديسيوس نظر إليها بتجهم وقال:

- لماذا أنت غاضبة مني؟ إنني شحاذ حقاً. تلك كانت قسمتي، لكن كان هناك وقت كنت فيه غنياً، بيد أنني فقدت كل شيء بمشيئة زوس. ولربما تفقدين أنت أيضاً عما قريب جمالك. فتكرهك سيدتك. انتبهي سيعود أوديسيوس، وستدفعين ثمن وقاحتك. وإن لم يعد فإن تليماخ في البيت، وهو يعرف كيف تتصرف الوصيفات، ولا يخفى عليه شيء.

سمعت بنلوبه كلام أوديسيوس فقالت لميلانتو غاضبة:

- إنك حانقة على الجميع، لكانك كلب شرس. إنني أعرف كيف تتصرفين، وستضطرين لأن تدفعي رأسك ثمن سلوكك. ألا تعرفين أنني أنا من استدعى هذا الغريب إلى هنا؟

أمرت بنلوبة بوضع كرسي للغريب قرب الموقد، وحين جلس بجوارها راحت تسأله عن أوديسيوس. وحدثها الغريب بأنه سبق لأوديسيوس أن حل عليه ضيفاً، حين فاجأته العاصفة في طريقه إلى طروادة، فاضطر للرسو إلى شواطىء كريت. بكت بنلوبة حين سمعت أن الغريب رأى أوديسيوس منذ عشرين عاماً. وللتأكد من صحة كلامه سألته عن لباس أوديسيوس آنذاك. ولم يكن بأسهل على الغريب من أن يصف ثيابه هو فراح يصفها بأدق التفاصيل. وصدقت بنلوبة كلامه، أما الغريب فقد راح يؤكد لها أن أوديسيوس حي يرزق، وأنه كان منذ عهد قريب في أرض التسفروتيين، وأنه ذهب من هناك قاصداً دودون[٤٣] ليستوحي عراف زوس.

وأضاف الغريب:

- قريباً سيعود أوديسيوس، ولسوف يعود قبل نهاية العام، قبل دخول القمر القديم المحاق وولادة القمر الجديد.

كانت بنلوبة تتوق بكل جوارحها لأن تصدق كلامه، لكنها لم تستطع: فكم من الأعوام أمضت بانتظار أوديسيوس دون أن يعود. أوعزت بنلوبة للوصيفات بإعداد متكأ لين للغريب، فشكرها أوديسيوس، وطلب من أوريكليا العجوز أن تغسل له قدميه قبل ذلك.

وافقت أوريكليا بكل طيبة خاطر على أن تغسل للغريب قدميه: فقد كان بقامته، وقيافته وحتى بصوته يذكرها بأوديسيوس، الذي كانت حاضنته في الزمن الغابر. جلبت أوريكليا الماء في طست من النحاس، وانحنت لكي تغسل قدمي الغريب. وفجأة رأت أثر الجرح على قدمه. كانت تعرف هذا الأثر جيداً. ففي إحدى المرات، وبينما كان أوديسيوس يصطاد مع أبناء أوتوليخ[٤٤] على سفوح البارناس، هاجمه الخنزير البري، وأصابه بجرح بليغ. تعرفت أوريكليا على

أوديسيـوس بهذا الأثـر. ومن فرط ذهـولهـا قلبت طست الماء، وتـرقـرقت عينـاهـا بالدموع، وقالت بصوت يرتجف من شدة الفرح:

- أوديسيوس، أهذا أنت يابني؟ وكيف لم أعرفك قبل ذلك!

همت أوريكليـا بأن تخبر بنلوبـة بأن زوجها قد عاد أخيراً، لكن أوديسيوس عاجل بكم فمها بيده، وقال لها بصوت خافت:

- نعـم إنـني أوديسيـوس، الـذي ربيت. لكن اسكتي، ولا تفشي سري وإلا قضيت علي. إيـاك أن تخبري أحـداً بقـدومي، وإلا أنـزلت بك العقـاب القاسي، ولن أرحمك، وإن كنت مربيتي.

أقسمت أوريكليـا على الحفـاظ على السـر. وقد ذهبت، والدنيا لاتسعها من فرط السرور، فجلبت طستا آخر من الماء، ثم غسلت قدمي أوديسيوس. ولم تلاحظ بنلوبة ماحصل، فقد شغلتها الربة أثينا عن ذلك.

حين عاد أوديسيوس، وجلس إلى النار من جديد، راحت بنلوبة تشكو لها حظهـا العـاثـر، كما قصت عليـه الحلم الـذي رأت قبل قليل. فقد رأت فيما يرى النائم وكان نسراً مزق كل مالديها من أوز ناصع البياض، وقد شاطرها حزنها على هذه الأوزات جميـع نسـاء إيثـاكـة. لكن النسر لم يلبث أن عاد، وحط على سقف القصـر، ونطق بصـوت بشـري: «هـذا ليس حلماً يابنلوبـة، بل علامـة على ماسيحدث. فالأوز هم الخطاب، أما أنا فأوديسيوس الذي لن يلبث أن يعود».

وقال أوديسيوس لبنلوبة أن حلمها، كما ترى، في غاية الوضوح، ولا داعي لتفسـيره. لكن بنلوبـة لم تصـدق أن أوديسيوس سيعود أخيراً. وأخبرت الغريب أنها قررت في اليوم التالي أن تمتحن الخطـاب: تخرج قوس أوديسيوس، وتعرض على الخطاب أن يشدوه ويصيبوا الهدف، ولسوف تختار من يقوم بذلك زوجاً لها. وكانت نصيحة الغريب لبنلوبة أن لاتؤجل هذا الاختبار، ثم أضاف:

ـ قبل أن يشد أي من الخطاب القوس، ويصيب الهدف يكون أوديسيوس قد عاد.

لم يكن يخطر لبنلوبة ببال أنها، وهي تتحدث إلى هذا الغريب، إنما تتحدث إلى أوديسيوس. كان الوقت قد تأخر. فنهضت بنلوبة، وذهبت إلى مخدعها، وهناك جعلتها الربة أثينا تنام قريرة العين.

أما أوديسيوس، الراقد على فراش من جلد الثور، وجزات الغنم، فقد مضى عليه وقت طويل وهو لا يستطيع أن يجد للنوم سبيلاً. كان لا يكف عن التفكير بكيفية الانتقام من الخطاب. اقتربت الربة أثينا من فراشه، وطمأنته بأن وعدته بمساعدتها، وقالت له أن كل مصائبه ستنتهي عما قريب.

أخيراً جعلت الربة أثينا أوديسيوس يغفو، لكنه لم ينم طويلاً، فقد استيقظ على نحيب بنلوبة، التي كانت تشكو من عدم عودة زوجها. نهض أوديسيوس، وبعد أن رتب فراشه، خرج إلى الباحة، وراح يصلي لزوس أن يرسل له علامة طيبة في الكلمات الأولى التي سيسمعها هذا الصباح. سمع زوس دعاء أوديسيوس، فتردد هزيم الرعد في السماء. وكانت أولى الكلمات التي سمعها أوديسيوس ماقالته الوصيفة، التي كانت تطحن الدقيق على المطحنة اليدوية، كانت تتمنى أن يكون هذا آخر يوم يحتفل فيها الخطاب في دار أوديسيوس. وفرح أوديسيوس، فقد كان يعرف الآن أن زوس قاذف الصواعف سيساعده في الانتقام من الخطاب.

انتقام أوديسيوس من الخطاب:

عند الصباح دخلت الوصيفات قاعة الاحتفالات بعدد كبير وبدأن بترتيبها لاحياء مأدبة الخطاب. أرسلت أوريكليا الوصيفات لجلب الماء. وأوعزت

بتنظيف الأرضية، وبوضع الأغطية الارجوانية الجديدة فوق المقاعد، وغسل الأواني. ولم يلبث تليماخ أن خرج من مخدعه، وذهب قاصداً ساحة المدينة، بعد أن سأل أوريكليا كيف أمضى الغريب ليلته. جلب عموس، فيلوثيوس وملانثيوس الماعز والأغنام والخنازير وبقرة لنحرها في مأدبة الخطاب. سلم عموس وفيلوثيوس على الغريب ببشاشة، ورثيا له لأنه مضطر للتطواف في العالم مشرداً. وتذكر فيلوثيوس سيده أوديسيوس فأشفق عليه.

كان، وهو ينظر إلى هذا الغريب، يتساءل: هل يعقل أن سيده أيضاً مرغم على التطواف مشرداً في أرض الغربة؟ وراح عموس وفيلوثيوس يصليان للآلهة أن يعيدوا أوديسيوس إلى بيته. أراد أوديسيوس أن يطمئن خادميه المخلصين، فقال مخاطباً فيلوثيوس:

- أقسم لك بزوس العظيم وبالموقد المقدس في قصر أوديسيوس أنك لن تلحق أن تنصرف من هنا حتى يعود أوديسيوس إلى داره، ولسوف ترى كيف سينتقم من الخطاب المشاغبين.

إذا كان عموس وفيلوثيوس بشوشين مع الغريب فإن ملانثيوس الجلف قد عاد يوجه له الإهانات، ويهدده بالضرب إن لم يغادر دار أوديسيوس. لم يقل أوديسيوس لملانثيوس شيئاً، بل اكتفى بأن عبس في وجهه.

أخيراً بدأ الخطاب يتوافدون، كانوا ينوون قتل تليماخ، لكن العلامة التي أرسلها الاله منعتهم من ذلك. جلس الخطاب إلى الموائد وبدأت المأدبة. وقد وضع تليماخ مقعداً وطاولة بالباب لأوديسيوس، وأوعز بتقديم الطعام والخمرة له، ثم قال ابن أوديسيوس متوعداً:

- أيها الغريب! اجلس هنا، واحتفل مطمئناً مع ضيوفي. واعلم أنني لن أسمح لأي كان بإهانتك. فداري ليست حانة، حيث يجتمع من هب ودب، بل انها قصر الملك أوديسيوس.

سمع أنطينوس كلام تليماخ فصاح بصفاقة :

- أيها الأصدقاء! فليهددنا تليماخ كما يحلو له! فلو لم يرسل لنا زوس علامته المتوعدة إذن لفتكنا به، ولما كان بمقدوره أن يبقى هذا الثرثار المقيت.

لم يرد تليماخ على هذا الوعيد بشيء، بل بقي جالساً بصمت، بانتظار الإشارة المتفق عليها مع أوديسيوس. وزادت الربة أثينا من عربدة الخطاب، لكي يزداد التعطش للانتقام في صدر أوديسيوس. وصاح أحد الخطاب، وهو ستيسبوس، وقد حرضته أثينا:

- اسمعوا إلى ماسأقول لكم! لقد حصل الغريب من تليماخ على الكثير من الطعام والخمرة. وعلينا نحن أن نعطيه شيئاً ما. لقد حضرت له هبتي.

قال ستيسبوس ذلك، ثم تناول كراع البقرة، ورمى به أوديسيوس بقوة. وبالكاد لحق أوديسيوس أن يحيد عن الضربة. وصاح تليماخ بستيسبوس متوعداً:

- من حسن حظك أن ضربتك جاءت طائشة، وإلا لكنت قد طعنتك طعنة صائبة برمحي، مما كان سيرغم والدك على أن يحتفل ليس بزفافك، بل بدفنك، إنني أعود وأقول لكم جميعاً إنني لن أسمح بإهانة الضيوف هنا، في داري.

لم يرد الخطاب عليه بشيء، أما أجيل فقد راح ينصحهم بالتوقف عن إهانة الغريب.

وبغتة أثارت الربة أثينا ضحكاً مجنوناً لدى الخطاب، وأصابتهم بمس. فراحوا يضحكون بشكل وحشي، وشحبت وجوههم، وترقرقت الدموع في عيونهم، وحط السأم على قلوبهم عبئاً ثقيلاً، وراحوا يلتهمون اللحم النيء، كالوحوش الكاسرة؛ وراح الخطاب، في ثورة جنونهم، يسخرون من تليماخ، لكن تليماخ ظل يجلس صامتاً، دون أن يولي سخريتهم اهتمامه. وفي مخدعها سمعت بنلوبة صرخات الخطاب المجنونة، خلف المائدة العامرة.

أخيراً نهضت بنلوبة، ودخلت إلى الشونة، حيث كانت تحتفظ بكنوز أوديسيوس. وهناك أخذت قوسه المشدودة، وكانت هذه القوس في السابق لأوريتوس(**)، وقد أهداها ابنه ايفيتوس إلى أوديسيوس، أخذت بنلوبة القوس والجعبة الملأى بالسهام، وذهبت إلى قاعة الاحتفالات. وقالت للخطاب، وقد وقفت هناك بجوار العمود:

- اصغوا إلي. لقد جئتكم بقوس أوديسيوس، فمن منكم يشدها، ويطلق السهم بحيث يمر عبر اثنتي عشرة حلقة، سأختاره زوجاً لي.

ناولت بنلوبة قوس أوديسيوس لعموس، الذي بكى بلوعة، حين رأى قوس سيده، ثم حملها إلى الخطاب. كما بكى فيلوثيوس المخلص. وغضب الخطاب منهما لأنهما يذرفان الدمع على أوديسيوس. أما تليماخ فقد راح يغرز العصي، ذات الحلقات في الأرض. كان يريد أن يكون أول من يرمي من القوس، وقد حاول ثلاث مرات شد الوتر، لكنه لم يتمكن. وهم بأن يقوم بالمحاولة الرابعة، لكن أوديسيوس هز له برأسه، فتوقف تليماخ عن محاولاته. وراح الخطاب كل بدوره يحاول شد القوس. وكان ليوذ أول من حاول، لكنه لم يستطع حتى ثني القوس، فقد كانت قاسية جداً، وحينذاك نادى انطينوس ملانثوس، وأمره بجلب الشحم لمسح القوس. وقد اعتقد أنطينوس أن مسحها بالشحم سيجعل ثنيها أسهل. لكن محاولات الخطاب كانت عقيمة، فلم يستطع أي منهم شد الوتر.

وفي هذا الوقت خرج عموس وفيلوثيوس من القاعة، ثم خرج أوديسيوس في أثرهما. وفي الفناء أوقف الخادمين المخلصين وكشف لهما هويته، بعد أن أراهما الندب على ساقه، من أثر الجرح، الذي تركه الخنزير البري. ولا تسل عن فرح عموس وفيلوثيوس، اللذين راحا يغطيان يديه وقدميه بالقبلات. هدأ أوديسيوس خاطرهما، ثم أوعز لعموس أن يذهب في اللحظة، التي يأخذ فيها القوس، إلى أوريكليا، ويقول لها أن توصد الأبواب على الخادمات، ولا تسمح لهن بالخروج.

أمـا فيلوثيـوس فقد أمره أوديسيوس بأن يوصد البوابة بشكل محكم. بعد أن أصدر هذه الأوامـر عاد أوديسيـوس إلى قاعـة الاحتفالات، وجلس بكل هدوء في مكانه لدى الباب.

حين عاد أوديسيـــوس كان أوريـــماخ يسخن القـــوس فوق النـار، بعـد أن مسحهـا بالشحم. حاول أوريماخ، بعـد أن سخن القـوس، أن يثنيهـا لكنـه لم يتمكن. وإذ رأى الخطـاب أن كل محاولاتهم عقيمـة قرروا ترك القـوس، على أن يعـودوا إلى محاولاتهم في اليـوم التـالي، ويتـابعـوا المأدبـة الآن. وحينـذاك طلب أوديسيـوس من الخطـاب أن يأذنـوا له بشـد القـوس. وحـين سمـع الخطاب هذا الطلب راحـوا يهزأون به. وكـانـوا في قرارة أنفسهم يخشون أن يتفوق هذا الغريب عليهم. وأصرت بنلوبة على أن تعطى القوس للغريب، وقد قاطعها تليماخ: فقد طلب من والدته أن تعود إلى مخدعها، كما أمر عموس بتقديم القوس لأوديسيوس. أطلق الخطـاب صيحـة مجنونة، حين حمل عموس القوس إلى أوديسيوس. فخاف عمـوس، لكن تليـماخ صرخ به متـوعـداً. أسـرع عمـوس، بعد أن ناول القوس لأوديسيـوس، إلى أوريكليـا، وبلغهـا أوامر أوديسيوس: أما فيلوثيوس فقد أوصد البوابة بإحكام.

تنـاول أوديسيـوس قوسـه، وراح يتفحصهـا باهتـمام، كما يتفحص المنشـد قيثارته، وهو يستعد للانشاد. وبدون أي جهد ثنى أوديسيوس قوسه، وشد الوتر، ومن ثم داعبـه باصبعـه ليعـرف ما إن كان مشـدوداً، فرن الـوتـر بشكـل مخيف. شحبت وجـوه الخطـاب، ومن السماء تردد قصف الرعد، إنها علامة أرسلها زوس إلى أوديسيـوس، فامتلأ قلبـه فرحـاً. أخذ أوديسيوس سهماً، وأطلقه على الهدف دون أن يتحـرك من مكـانه، فمر السهم عبر الحلقات الاثنتي عشرة كلها. وصاح أوديسيوس مخاطباً تليماخ:

- لم يخذلـك ضيفـك ياتليـماخ. لقد رأيت أنني لم أبذل كبير جهد في ثني القوس.

كلا إني قوتي لاتـزال على عهـدهـا . والآن ستعـزف في الحفلة عندنا قيثارة من نوع آخر.

أعطى أوديسيوس تليماخ الإشارة بأن قطب حاجبيه . تمنطق تليماخ بسيفه، وأخذ الرمح بيده، ثم وقف بجوار أوديسيوس .

ألقى أوديسيوس بأسماله، ووقف على العتبة، ثم أفرغ السهام من الجعبة على الأرضية عند قدميه، وصرخ بالخطاب :

لقـد أصبت الهدف الأول، والآن وقع اختياري على هدف جديد، لم يسبق لأحد أن أطلق السهام عليه . ولسوف يساعدني أبولون النبّال في إصابته .

هكذا صاح أوديسيوس، ثم أطلق سهمه عل أنطينوس، فأصابه السهم في عنقـه، واخـترقه في اللحظة التي كان فيها أنطينوس يهم بشرب قدح النبيذ . ترنح أنطينـوس، وهـو ينـزف دماً، ودفع بالطاولة، فقلبها، ووقع ميتاً . وثب الخطاب، وهم يصرخون، واندفعوا إلى حيث كان سلاحهم معلقاً على الجدران، لكنهم لم يجدوا له أثراً، أما أوديسيوس فقد عاد يصرخ بهم متوعداً :

- أيتهـا الكـلاب الحقـيرة! كنتم تظنـون أنني لن أعـود؟ وأنكم ستنهبـون دون عقاب؟ كلا، فالهلاك الآن ينتظركم جميعاً .

عبثـاً راح أوريـماخ يتـوسـل إلى أوديسيـوس أن يرأف بهم، ويأخـذ منهم تعويضاً سخياً عن كل مانهبوا، لكن أوديسيوس لم يرغب في سماع أي شيء . كان يهفـو للانتقـام بكـل كيـانـه . وأدرك الخطاب أن عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم . فامتشقـوا سيـوفهم، وراحـوا يحاولـون الاحتـماء من سهـام أوديسيـوس خلف الطـاولات . انقض أوريـماخ على أوديسيـوس شاهـراً سيفـه، لكنـه سقـط على الأرض بعـد أن أصيب بسهم قاتـل . وأغـار أمفينـومـوس على أوديسيوس، لكن تليـماخ جنـدلـه برمحـه . وبعـد أن قتل تليماخ أمفينوموس جرى لإحضار السلاح . فأخـرج من الشونة أربع خوذات وأربعة تروس وثمانية رماح لأوديسيوس، لنفسه،

لعمـوس ولفيلوثيـوس. وبينـما كان تليـماخ يجلب السـلاح كان أوديسيـوس يطلق السهم تلو السهم على الخطـاب. وكـان كل سهم يحمل الموت الزؤام للخطاب، الـذين كانـوا يتسـاقطـون، الـواحـد تلو الآخر. وهاقد عاد تليماخ ومعه السلاح فتسلح أوديسيوس، وبجواره وقف تليماخ، عموس وفيلوثيوس وهم يلوحون برماحهم.

لاحـظ ملانثيـوس الخـائن تليـماخ وهو يذهب لجلب السلاح، فتسلل إلى الشونة خفية، وجلب منها اثني عشر ترساً ورمحاً. لأن تليماخ، الذي كان في عجلة من أمره، ليعود إلى أبيه، نسي أن يوصد باب الشونة. وهكذا فقد تسلح الخطاب بدورهم، وخاف أوديسيوس إذ رأى ذلك، وأدرك أن أحدهم جلب السلاح لهم. ولحسن الحـظ أن عمـوس لاحـظ ملانثيـوس وهـو يتسلل لجلب السـلاح، وأخبر أوديسيـوس بذلـك، فأمـر أوديسيوس عموس وفيلوثيوس بالإمساك بملانثيوس في الشونة وزربه فيها، بعد شد وثاقه بإحكام. تسلل عموس وفيلوثيوس إلى الشونة بكـل هدوء، ولـدى خروج ملانثيـوس بالسلاح أمسكا به، ورمياه أرضاً، ثم لويا ذراعيه خلف ظهره، وشدا وثاقه، ثم ربطاه إلى عارضة السقف في الشونة، وقالا له ساخرين:

- والآن احـرس السـلاح يامـلانثيوس. لقد دبرنا لك فراشاً وثيراً، ولن تتأخر في النوم الآن فيفوتك طلوع الفجر.

بعـد ذلـك أخـذا السـلاح، وأسرعا لنجدة أوديسيوس، الذي كان في هذا الوقت يحاول مع تليماخ وقف هجوم الخطاب.

وفي هذه اللحظـة تجلت الـربـة أثينـا بالاس لأوديسيوس في هيئة منطور، فراح أوديسيـوس يهيب بمنطـور أن يمد له يد العون، أما الخطاب فراحوا يهددونه بالموت إن هو ساعد أوديسيوس.

ازداد غضب أثينـا من الخطـاب أكثـر. وبعـد أن وبخت أوديسيـوس لأنـه

لايقـاتـل الخطـاب بالبسـالـة، التي قاتل بها عند أسوار طروادة، تحولت فجأة إلى سنـونـو، حلقت عالياً، ثم حطت على عارضة فوق الخطاب. ثلاث مرات هاجم الخطاب أوديسيوس، وتليماخ والخادمين المخلصين، وهم يقذفونهم بالرماح، لكن أثينا كانت تُثني رماح الخطاب.

أمـا أوديسيـوس وزملاؤه فكانوا يصرعون أربعة خطاب في كل مرة. وحين طعن فيلوثيوس ستيسبوس بالرمح فقتله صاح منتشياً بالنصر:

- والآن سوف تلوذ بالصمت أيهـا الـوقـح كثير الشتائم! لقد أعطيتك هدية رائعة لقاء كراع البقرة ذاك، الذي قدمته لأوديسيوس.

راح الخطـاب يتسـاقطـون الـواحد تلو الآخر، وقد أصيبوا إصابات قاتلة. وفجأة لوحت أثينا بترسها الرهيب فوق رؤوسهم، فدب الذعر في قلوبهم، ويدأوا يروحون ويجيئون كالمجانين ـ على غرار اندفاع الثيران في المراعي حين يلسعها في الصيف سرب كامـل من ذبـاب البقـر. وكـما تفتـك النسـور بالحـمائم كذلك كان أوديسيـوس وتليـماخ، عمـوس وفيلوثيوس يجندلون الخطاب. أثار الخطاب، وهم يلاقون حتفهم، ضجة مخيفة، لم يجدوا لأنفسهم مكاناً يختبئون فيه. هرع ليوذ إلى أوديسيـوس، وراح يتـوسـل إليـه الـرحمـة، لكن أوديسيوس لم يرأف به، ولم يعف أوديسيـوس إلا عن المنشـد فيميـوس، الذي كان يغني للخطاب مكرهاً، وقد عفا عنـه بنـاء على طلب تليـماخ، كما عفا عن المنادي ميذون، الذي اختبأ تحت جلد بقـرة.. وأوعـز أوديسيوس لفيميوس وميذون بالخروج إلى البهو، وانتظاره هناك. وراح أوديسيـوس يتفحص المكـان، لعـلّ أحـداً من الخطاب نجا بجلده، لكن لم ينبح منهم أحد.

وحينـذاك أمـر أوديسيـوس بدعوة أوريكليا، التي جاءت حالاً، تلبية لنداء سيـدهـا، فرأتـه مضـرجـاً بالـدم، واقفـاً بين جثث الخطـاب، كالأسد وقد فتك بالثيران، أمر أوديسيوس باستدعاء تلك الوصيفات، اللواتي كن يقدمن المساعدة

للخطاب باستمرار، فاستدعت أوريكليا اثنتي عشرة وصيفة، جئن، وهن ينتحبن بصـــوت عال، ورحن، بنـــاء على إيعـــاز أوديسيــوس، ينقلن جثث الخطــاب، ويضعنهـــا بجـــوار بعضهـــا في رواق القصـــر. ومن ثم غسلت الـوصيفـات قاعـة الاحتفالات كلها. وحين أنجزن ذلك أمر أوديسيوس بقتلهن لما اقترفن من جرائم بحق أوديسيوس وبنلوبة، كما أعدم أوديسيوس الخائن ملانثيوس.

أوعز أوديسيوس لأوريكليا بجلب مبخرة التطهير، وبخر بها كل أنحاء قاعة الاحتفالات. احتشدت وصيفات أوديسيوس، وأحطن بسيدهن من كل جانب، يقبلن يديه ورجليه، فرحات بعودته، وبدوره بكى أوديسيوس، وهو يرى أهل بيته من جديد.

أوديسيوس يكشف هويته لبنلوبة[٤٦]:

بينما كان جميع أهل بيت أوديسيوس يرحبون به هرعت أوريكليا إلى بنلوبة في مخدعهـا. فأيقظتهـا، وبشـرتهـا بأن زوجهـا عاد أخـيراً، وانتقم من الخطاب، فقتلهم عن بكرة أبيهم. لم تصدق بنلوبة ذلك، واعتقدت أن بنلوبة تسخر منها. لكن أوريكليا راحت تؤكد لسيدتها أن أوديسيوس عاد فعلاً، وأن ذلك الغريب، الـذي تحدثت إليـه بنلوبـة طويـلاً هو أوديسيوس، وأنها تعرفت عليه بالندب على ساقـه، لكنـه أمـرهـا بإخفـاء نبأ عودته حتى عن نبلوبة. لكن بنلوبة لم تستطع أن تصـدق أن أوديسيـوس استطـاع قتـل جميع الخطاب بمفرده. أخيراً وافقت بنلوبة على الذهاب إلى قاعة الاحتفالات. وحين جاءت القاعة لم تستطع أن تحزم أمرها فوراً هل ترتمي في أحضـان أوديسيـوس، أم تسألـه قبـل ذلك لكي تقتنع تماماً بأن الغـريب هو زوجهـا فعـلاً. جلست بنلويـة بجـوار الغـريب، وراحت تنظـر إليه باهتمام، تارة كان يبدو لها أنه أوديسيوس، وتارة يراودها الشك في ذلك. وحين رأى تليماخ تردد بنلوبة راح يلومها بقوله:

- هل يعقــل ياأمي الحبيبــة أن قلبــك في صدرك شبيـه بالحجر؟ فبعد لأي عاد زوجـك، بينـما تجلسـين لاتنبسـين ببنت شفة. بالكاد يمكن أن توجد في العالم كله زوجـة أخـرى يمكن أن تستقبـل زوجها، العائد إليها بعد فراق طويل، مثل هذا الاستقبال البارد.

وردت بنلوبة على تليماخ بقولها:

- إنـك ترى يابني أنني لاأستطيـع من شدة انفعـالي أن أنطق بكلمة واحدة، إذا كان الغـريب أوديسيـوس حقـا فإن لدي أنـا وأوديسيـوس سراً نتعـرف على بعضنا البعض بكشفه.

ابتسم أوديسيوس، وقال لتليماخ:

- لاتجعـل والـدتك تقلق ياولدي! لسوف تقتنع أنني أوديسيوس بعد أن تسألني. من الصعب عليهـا أن تتعـرف علي في هذه الأسمال. والآن يجب أن نقرر كيف لنـا بكتم سر خبر موت الخطـاب عن سكـان المـدينة، كي لايحدث تمرد. فلقد قتل أنبل الشباب، ولسوف يسعى أقاربهم للانتقام منا.

أمـر أوديسيـوس جميـع العبيـد والوصيفات بأن يبدأوا الغناء والرقص والمرح على إيقاع قيثارة فيميوس، لكي يعتقد الجميع أن الاحتفال في القصر قائم على قدم وسـاق. وللحـال نفـذت أوامـر أوديسيـوس، وبـالفعل فقد اعتقد جميع المارة بالقرب من القصر أن الاحتفال بزفاف بنلوبة إلى أحد الخطاب يجري في القصر.

أمـا أوديسيـوس فقـد اغتسل، ولبس الثياب الفاخرة، ثم دخل القصر من جديـد، وجلس مقـابـل بنلوبـة. كانت أثينـا قد وهبتـه جمال الآلهـة. ولكي يقنع أوديسيـوس بنلوبـة قرر أن يكشف لها السر، الـذي لايعـرفـه أحد غيرهما. نادى أوديسيوس أوريكليا، وأوعز إليها أن تعد له الفراش، لكن بنلوبة قالت لأوريكليا:

- حسنـاً، جهـزي له الفراش، ياأوريكليا، لكن ليس في غرفة النوم، التي بناها

أوديسيوس بنفسه. اسحبي من غرفة النوم السرير الفاخر، وجهزي له الفراش عليه.

فصاح أوديسيوس:

- أيتهـا الملكـة! من يستطيـع أن يحرك السرير، الذي صنعته بنفسي من مكانه؟ فأنت تعـرفـين أنـه مصنـوع من جذع شجـرة زيتـون هائلة، كانت تنمـو قرب القصـر، وقـد قطعت الشجـرة بنفسي، وأحطتها بالجدار، وصنعت من الجذع سريراً، وزينته بالذهب والفضة والعاج. لكن لعل أحداً في غيابي قطع الجذع، وحرك السرير من مكانه؟

الآن عرفت بنلويـة أن الـواقف أمـامها هو أوديسيوس، وحدهما كانا يعرفان سر صنـع هذا السـرير. أجهشت بنلوبة بالبكاء، وارتمت في أحضان أوديسيوس، ثم راحت تقبله بحنـان. وبـدوره عانق أوديسيـوس زوجتـه المخلصـة وهو يبكي، وضمهـا إلى قلبـه، وأغرقها بقبلاته، كما يقبل الغريق الأرض، بعد أن ينجو من العـاصفـة ويصـل البر سالماً. أمضى أوديسيوس وبنلوبة وقتا طويلاً متعانقين وهما يبكيان. وكان يمكن للفجر أن يجدهما على هذه الحالة لولا أن عمدت الربة أثينا إلى إطالة الليل ومنع إيوس الوردية الجناحين، إلهة الفجر، من الصعود إلى السماء.

غادر أوديسيـوس وبنلويـة قاعـة الاحتفـالات، وذهبا إلى غرفة نومهما. أما تليـماخ فقـد أمر العبيد والوصيفات بالتوقف عن الغناء والرقص، وراح القصر كله في سبات عميق. وحدهما أوديسيوس وبنلوبة، لم يناما، فقد راح أوديسيوس يروي لها مغـامـراتـه، وراحت بنلويـة المخلصـة تصغي إليـه باهتـمام. وبدورها حدثت زوجها بكل ماعانت من الخطاب في غيابه.

أرواح الخطاب في مملكة هادس[٤٧]:

استدعى الاله هرمس أرواح الخطاب بصولجانه الذهبي، الذي يسلط به النوم على عيون الناس، ويطرد النوم منها. طارت الأرواح خلف الاله وهي تطلق صراخ الشكوى. فكان صراخها يشبه صأصأة الخفافيش، التي تندفع خائفة في الكهف المظلم، حين يسقط أحدها عن الحجر الذي كان معلقاً عليه.

اندفعت أرواح الخطاب على شكل سرب مقتفية أثر هرمس، عبر الدرب الكئيب. كان يقودها أبعد فأبعد، ماراً بمياه الأوقيانوس الشائب، ببوابة هليوس إله الشمس، ببلاد آلهة الحلم، بصخرة ليفكادا[٤٨]، إلى أن وصل بها أخيراً مرجاً مغطى بالاسفوديل[٤٩]، حيث كانت تقطن أرواح الموتى. كانت روح أخيل أول من التقت أرواح الخطاب، وإلى جانبها كانت تسير أطياف باتروكليس، أنتيلوخ وأجاكس تيلامونيد، وقد أحاطت بهم أرواح الخطاب. كما جاء إلى هنا طيف الملك أغاممنون. وفي محفل أرواح الخطاب تعرف طيف أغاممنون على روح أمفيدون، الذي حل عليه أغاممنون ضيفاً في إيثاكه، حين وصل إلى هناك لدعوة أوديسيوس للمشاركة في الحملة على طروادة. وسأل طيف أغاممنون روح أمفيدون:

- قل لي لماذا جئتم بهذا الحشد إلى مملكة الظلام هذه؟ هل لقيتم حتفكم في أثناء العاصفة، أم أن الأعداء قتلوكم حينما نهبتم بيوتهم وسلبتم أرزاقهم.

فتحدث طيف أمفيدون كيف خطبوا ود بنلوبة، ظناً منهم أن أوديسيوس لن يعود، لكن بنلوبة كانت مخلصة لأوديسيوس، ولم توافق على الزواج مطلقاً. أخيراً عاد أوديسيوس، وانتقم منهم أشد الانتقام على شغبهم في داره وسرقة أرزاقه. فرحت روح أمفيدون أن أوديسيوس قد تغلب على كل المخاطر، وذللها بنجاح، فصاحت:

ـ لكم أنت سعيد ياأوديسيوس الحبيب. لسوف تكون شهرة زوجتك المخلصة بنلوبة عظيمة، ولسوف يتغنون بها في الأغاني، وتبقى ذكراها خالدة إلى الأبد، أما أنا فعلى العكس، لقد خانتني زوجتي، ولسوف تبقى ذكراها الفظيعة لدى الناس إلى الأبد.

أوديسيوس عند ليرت[٥٠]:

في الصباح الباكر تسلح أوديسيوس، تليماخ، عموس، فيلوثيوس بالدروع البراقة والتروس والرماح، ثم ذهبوا إلى ليرت. وكان أوديسيوس قد أمر بنلوبة بعدم مغادرة القصر أبداً، لأنه كان يعرف أن نبأ قتل الخطاب سينتشر في المدينة بسرعة. استطاع أوديسيوس ورفاقه بفضل الضباب الكثيف أن يتجاوزوا المدينة بسرعة، ويخرجوا إلى الفلاة، ولم يلبثوا أن وصلوا بيت ليرت، حيث كان يعيش مع عبيده وخادمته العجوز. أرسل أوديسيوس رفاقه إلى البيت، وأمرهم بإعداد المائدة، أما هو فقد قصد الحديقة بحثاً عن ليرت. وجد أوديسيوس والده الكهل منكباً على العمل. كان يطمر شجرة فتية. كانت ثياب ليرت كثيرة الرقع، وكان يلبس في قدميه صندلاً، وكان رأسه مغطى بقبعة من جلد الماعز الرث، وقد لبس الأكمام على يديه. أجهش أوديسيوس بالبكاء إذ رأى والده. فقد شعر بالشفقة على العجوز حين رآه يلبس كالشحاذ. تردد أوديسيوس، ولم يعرف كيف يتصرف ـ هل يكشف لوالده عن نفسه فوراً، أم يخفي حقيقته عنه في البداية ليرى إن كان سيتعرف عليه.

أخيراً قرر أوديسيوس أن يتصرف على النحو التالي: اقترب من والده، وتظاهر بأنه لايعرفه، ثم راح يتحدث معه كأنه عامل عادي. ويسأله عن صاحب

الحديقة واسم صاحب الدار. وعن نفسه روى أوديسيوس قصة مختلقة، وتظاهر بأنه أجنبي، ثم أضاف:

- لقد سبق لي أن استقبلت في داري أوديسيوس، وأجزلت له العطاء. والآن جئت أستمتع بحسن ضيافته. فهلا أخبرتني. هل أنا في جزيرة إيثاكه حقاً؟

تدحرجت دمعة كبيرة من عين الشيخ ليرت، وأجاب:

- إنك - أيها الغريب - في إيثاكه فعلاً، لكنك لن تصادف أوديسيوس هنا، فقد استولى الأشرار على داره. والأرجح أن أوديسيوس لقي حتفه، أما أنا فإنني والده، لكن هلا أخبرتني من تكون أنت؟ ومن أين جئت؟

ذكر أوديسيوس اسماً وهمياً، ومن جديد بدأ الحديث عن ملك إيثاكه، وقال أنه مرت خمس سنوات منذ أن حل أوديسيوس عليه ضيفاً. حزن ليرت إذ سمع هذا الكلام. أخذ التراب بيديه، ثم رشه على رأسه، وراح يئن من شدة حزنه. ولم يعد بمقدور أوديسيوس النظر إلى عذاب أبيه، فارتمى عليه، وعانقه وهو يصيح:

- أبي! إنني ابنك أوديسيوس، لقد عدت إلى إيثاكه بمشيئة الآلهة، فلاتبك. ولقد انتقمت من الخطاب، الذين نهبوا بيتي.

لم يصدق ليرت ذلك فوراً، وطالب بالبرهان على أن الواقف أمامه ابنه فعلاً. وحينذاك أراه أوديسيوس الندب من أثر الجرح في ساقه، وراح يعد كل الأشجار المثمرة التي كان ليرت قد أهداها له في طفولته. فبكى العجوز من شدة الفرح، وعانق أوديسيوس، وهو يصيح:

- يا أبانا زوس العظيم! إذن فلا يزال هناك آلهة على الأولب المشرق مادام الأشرار قد عوقبوا بالموت على مااقترفت أيديهم. لكنني أخاف أن يأتي جميع سكان إيثاكه إلى هنا للانتقام لموت أقربائهم.

طمأن أوديسيوس أباه، وقاده إلى البيت حيث كان الطعام جاهزاً. وهناك اغتسل ليرت، ولبس ثياباً نظيفة جديدة، أما الربة أثينا فقد جعلته أكثر حيوية

وشباباً. جلس الجميع إلى المائدة بمرح. وفي هذا الوقت عاد العبد القديم دوليوس مع جميع أولاده. ولم يكد يدخل البيت حتى توقف ذاهلاً، حين رأى الضيف جالساً إلى المائدة. وفجأة عرف فيه أوديسيوس، فارتمى عليه، وراح يقبل يديه وقدميه، ويدعو الآلهة أن يغمروه بالبركة. كانت المائدة مرحة في دار الشيخ ليرت.

تمرد المواطنين وصلحهم مع أوديسيوس:

وفي هذا الوقت سرت الأقاويل في المدينة بأن جميع الخطاب قتلوا على يدي أوديسيوس العائد. انطلق أقرباء الخطاب والقوم جميعهم نحو قصر أوديسيوس، وهم يطلقون صيحات الغضب، ثم أخرجوا القتلى، وبعد ذلك اجتمعوا في ساحة المدينة، وراحوا يتشاورون كيف سيتصرفون. بدأ إيثبيت العجوز، والد أنطينوس، يحرض القوم على الانتفاضة ضد أوديسيوس والانتقام منه لموت الخطاب. وحدهما المنشد فيميوس والمنادي ميذون راحا يحاولان إقناع المواطنين بعدم رفع أيديهم على أوديسيوس، لأنهما رأيا بأم أعينهما أن الآلهة كانت إلى جانب أوديسيوس، وأن الخطاب إنما لقوا حتفهم بمشيئة زوس. وانبرى العراف غاليثيرس أيضاً للدفاع عن أوديسيوس. وذكر المواطنين كيف نصحهم هو ومنطور بعدم السماح للخطاب بأن يعيثوا في دار أوديسيوس فساداً. والآن فإن الذنب ذنب المواطنين أنفسهم. الأفضل أن ينصاعوا لأوديسيوس لكي لا يجروا على أنفسهم ضرراً أكبر. عمل بعض المواطنين بنصيحة غاليثيرس، لكن بعضهم الآخر، وعلى رأسهم اثبيتوس، امتشق السلاح.

رأت الربة أثينا هذا كله من على الأولمب العالي، فسألت زوس، قاذف الصواعق:

- ألا قل ياأبي ، زوس ، ماذا قررت؟ هل ستشعل نيران معركة كبيرة الآن ، أم أنك ستحل السلام بين المتخاصمين؟

ورد زوس على أثينا :

- ابنتي الحبيبة : أنت من قرر أن على أوديسيوس الانتقام من الخطاب . ولقد انتقم ، وكان له الحق في ذلك . ولسوف يصبح أوديسيوس ملك إيثاكه ، ونجعل النسيان يطوي موت الخطاب ، ويعود الحب يسود ربوع إيثاكه ، ويحل فيها الثراء والسلام .

هذا ماقاله زوس . وللحال انطلقت أثينا إلى إيثاكه . وكان المواطنون يقتربون بأعداد كبيرة من دار ليرت ، ورآهم أحد أبناء دوليوس ، فتسلح كل من كان في البيت ، بمن فيهم الشيخ ليرت والخادم دوليوس ، وخرج الجميع من البيت إلى البهو . وتجلت الربة أثينا لأوديسيوس في هيئة منطور . وقد سر حين عرف الربة ، وقال مخاطباً تليماخ :

- والآن برهن يابني أنك تتحدر من صلب ذرية اشتهرت بالبسالة ، والإقدام .

وبدوره سمع ليرت كلام أوديسيوس . فرقص قلبه فرحاً ، ثم صاح :

- ياله من يوم رائع أرسله الآلهة . لكم أنا سعيد ! فالجدل يدور بين ولدي وحفيدي عمن يفوق الآخر بسالة .

دنت أثينا من ليرت ، وأمرته أن يرمي رمحه على الأعداء دون تسديد ، مستنجداً بالربة أثينا وبزوس . لوح ليرت رمحه ، وقذف به . اخترق الرمح خوذة ايثبيتوس النحاسية وحطم جمجمته ، فوقع على الأرض قتيلاً ، وانقض أوديسيوس وتليماخ على الأعداء . وكان من شأن الموت أن يأتي على جميع مواطني إيثاكه لو لم تصرخ الربة أثينا :

- أوقفوا القتال يامواطني إيثاكه . هيا تفرقوا بسرعة ، ولا تريقوا الدماء .

استولى الرعب على جميع مواطني إيثاكه ، وسقط السلاح من أيديهم .

ووقعوا أرضاً حين سمعوا صرخة الربة. وحين ثابوا إلى رشدهم ولوا الأدبار، للنجاة بجلدهم. وصاح أوديسيوس بصوت عال، ثم اندفع يطارد الفارين، لكن زوس قذف بإحدى صواعقه، فوقعت، وهي تتألق، على الأرض أمام أثينا، التي منعت أوديسيوس من متابعة المطاردة بقولها:

- تمالك نفسك ياابن ليرت، ياصنو الآلهة. تخل عن القتال الدامي لكي لايغضب عليك زوس، قاذف الصواعق.

سر أوديسيوس، وتوقف عن مطاردة مواطني إيثاكه. ولم تلبث أثينا بالاس أن عمدت - في هيئة منطور - إلى توطيد السلام الراسخ بين الشعب والملك أوديسيوس. وثبتته بالقسم المشترك من الطرفين.

هــوامــش

١ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٢ ـ كان اليونانيون يعتقدون أن أوجيجيا تقع في الغرب في وسط البحر.

٣ ـ حورية جزيرة أوجيجيا. ابنة أتلانتا أو الأقيانوس.

٤ ـ إحدى الجزر في غرب اليونان في البحر الايوني.

٥ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٦ ـ منتيس صديق أوديسيـوس، ملك التفيـانيـين، الذين سكنوا عدة جزر في البحر الايوني، كانت أكبرها جزيرة تافوس (ميفانيسي حالياً).

٧ ـ حصـل أوديسيـوس على بنلوبة زوجة مكافأة له على فوزه في إحدى مسابقات الجري، وفيما بعد أصبحت بنلوبة رمزاً للزوجة المخلصة.

٨ ـ ومن هنا القول «حياكة بنلوبة» رمز للعمل الذي لاينتهي.

٩ ـ عنـد رحيله إلى طروادة كلف أوديسيـوس منطور بالسهر على بيته. وقد قام منطور بتربية تليـماخ وتصـدى لخطـاب بنلوبـة. وبعد ظهور رواية «مغامرات تليماخ» للكاتب الفرنسي فينيلون في القرن السابع عشر أصبح اسم منطور يرمز إلى الناصح والمعلم.

١٠ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

١١ ـ مدينة في جنوب بيلوبونيز في ميسين.

١٢ ـ مدينـة في بيلوبـونيـز (في ميسـين) تقـع في منتصف الطـريق بين بيلوس واسبـارطة. وكان ديوكليس ملكاً على هذه المدينة.

١٣ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

١٤ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

١٥ ـ كان القسم بمياه نهر ستيكس الجوفي يعتبر قسم الآلهة القاطع.

١٦ ـ الفيسيانيون: شعب خرافي سكن جزيرة سكيريا (إلى الشمال من ايثاكه) كان الأقدمون يوحدون بين هذه الجزيرة وجزيرة قورفة. وهم قوم يحبهم الآلهة ويشاركونهم احتفالاتهم دون تنكر، والفيسيانيون يعيشون حياة سعيدة، فالأرض عندهم خصبة، وهم ملاحون ممتازون، وتستطيع مراكبهم قطع البحار دون خوف من العواصف والضباب.

١٧ ـ اسم من أسماء الربة إينو. / المترجم.

١٨ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

١٩ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٢٠ ـ السيكونيون ـ شعب خرافي.

٢١ ـ اللوتوفاغيون ـ شعب خرافي يتغذى بأزهار اللوتس.

٢٢ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٢٣ ـ السيكلوب شعب خرافي من العمالقة بعين واحدة، سكن، كما يعتقد شارحو هومير وس، في صقلية.

٢٤ ـ إيلوس ـ إله الرياح وحاكمها.

٢٥ ـ غربية لطيفة.

٢٦ ـ ريح الشمال العاصفة. /المترجم.

٢٧ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٢٨ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٢٩ ـ جزيرة خرافية كانت تقع، حسب تصور اليونانيين في أقصى الغرب، في طرف البحر.

٣٠ ـ قريب أوديسيوس ووصيفه.

٣١ ـ ثير يسيا ـ عراف أعمى مشهور. وهبه زوس القدرة على التنبؤ. كما وهبه عمراً مديداً يعادل سبع (أو ثماني) حيوات بشرية.

٣٢ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٣٣ ـ السيماريون عند هومير وس شعب خرافي كان يقطن أقاصي الغرب في ظلمة أبدية، لأن

هليوس ـ الشمس لايطل عليهم أبـداً. وتـاريخيـاً فإن السيـماريـين والسيثيـين غزوا آسيا الصغرى على زمن هومير وس.

٣٤ ـ ثلاثة أنهار تجري في عالم هادس السفلي.

٣٥ ـ ترنيكاريا ومعناها ثلاثي الأطراف ـ التسمية القديمة لصقلية، وكانت هذه التسمية تطلق على الجزيرة الخرافية حيث كانت ترعى قطعان هليوس ـ سبعة قطعان من الثيران وسبعة من النعاج، وفي كل منها ٥٠ رأساً، لايزيد ولاينقص. إنه رمز أيام السنة المكونة ـ كما كان يرى الاغريق من ٥٠ أسبوعاً في كل منها سبعة نهارات وسبعة ليال.

٣٦ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».

٣٧ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٣٨ ـ النيادات حوريات الماء، الجداول والينابيع.

٣٩ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤٠ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤١ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤٢ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤٣ ـ مدينة في ابيير يا في غرب اليونان الشمالي، وفيها المعبد المشهور ومهبط وحي زوس.

٤٤ ـ ابن هرمس، جد أوديسيوس، ورث عن هرمس الكـذب والخـداع والمكر والدهاء. ومنه ورث أوديسيوس دهاءه.

٤٥ ـ ملك أوشاليا. (انظر الجزء الأول، هرقل وأورتيوس»).

٤٦ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤٧ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

٤٨ ـ صخرة بيضاء كانت توجد ـ كما يعتقد الاغريق ـ عند مدخل العالم السفلي.

٤٩ ـ زنبق بري لونه أصفر باهت.

٥٠ ـ عن ملحمة هومير وس «الأوذيسة».

أغـاممـنـــون وابنه أوريســت

مــوت أغاممنون[1]

حين سافر أغاممنون لغزو طروادة وعد زوجه كليتمينسترة بأن يخبرها بسقوط طروادة حال وقوع ذلك، وانتهاء الحرب الدامية. وكان على الخدم الذين أرسلهم أن يشعلوا النيران على ذرى الجبال. إن مثل هذه الإشارة، التي تنتقل من قمة جبل إلى قمة أخرى، كان من شأنها أن تبلغ قصره بسرعة، فتكون كليتمينسترة أول من يعرف بسقوط طروادة.

استمر حصار طروادة تسع سنوات. وحل العام العاشر والأخير، الذي كان سيشهد سقوطها، كما جاء في النبوءة. وكان من الممكن الآن أن تتلقى كليتمينسترة في أي يوم نبأ سقوط طروادة وعودة زوجها أغاممنون. ولكي لاتفاجأ بعودة زوجها كانت ترسل أحد العبيد لديها إلى سطح القصر كل ليلة. وهناك كان العبد لايكف يرقب عتمة الليل دون أن يغمض له جفن. كان العبد يقف على السطح في ليالي الصيف الدافئة، وفي أثناء العواصف والرعود، وشتاء، حيث البرد القارس، تحت الثلج. ومرت الأيام واحداً تلو الآخر، والخادم المطيع ينتظر الإشارة المتفق عليها، حسب أوامر سيدته. وبدورها كانت كليتمينسترة تنتظر هذه

الإشـارة، لكن ليس لأنهـا كانت متشـوقـة لاستقبال زوجها، إذ كانت قد نسيته، وأغـرمت بإيجيستـوس[٢]، ونـوت قتل أغاممنون في نفس اليوم الذي سيعود فيه إلى الوطن ظافراً.

كان الليل مظلماً. وها قد بدأ النور الخافت يظهر من الشرق، وأوشك الليل البهيم أن ينجـلي، وفجأة رأى العبـد ناراً ساطعة فوق قمة جبل عال. كانت تلك الإشارة المنتظرة منذ عهد بعيد.

لقد سقطت طروادة العظيمة، وعما قريب يعود أغاممنون إلى البيت، وفرح العبـد فقـد انتهت حراستـه الليليـة المضنية، فانطلق إلى كليتمينسترة ليزف إليها هذه البشرى السعيدة. لكن هل سرت كليتمينسترة بهذا النبأ؟

ولكي تبعـد الشكـوك عنها تظاهرت كليتمينسترة بأن النبأ قد أسعدها، ثم استـدعت الـوصيفـات، وذهبت لتقـديم قربـان الشكـر. وفي قرارة نفسها كانت كليتمينسترة الماكرة تنوي قتل أغاممنون.

اجتمع سكان المدينة عند قصر أغاممنون، فقد وصلهم بسرعة نبأ سقوط طروادة.

أراد الشيوخ استقبال أغاممنون عند قصره، وإن كان الشك بعودته فعلاً قد تغلب عليهم أحيـانـاً. وقـد بدد الـرسـول القـادم هذه الشكـوك، حين أعلن أن أغـاممنـون لم يعد بعيداً. ومن جديد تظاهرت كليتمينسترة بالفرح، وأسرعت إلى القصـر وكأنهـا تريـد إعـداد كل شيء للقـاء، لكن استعـدادها لم يكن لاستقبال زوجها، بل لقتله.

أخـيراً ظهـر أغـاممنـون نفسـه في مركبتـه، على رأس جيشـه المظفـر. كان المقاتلون يسيرون مزدانين بالأزهار والخضرة، ومن خلفهم الكثير من الأسيرات، يحملن الغنائم التي لا حصر لها. وبجوار أغاممنون في المركبة كانت تجلس كاساندره العـرافـة، ابنة بريام الحزينة، استقبل الشعب مليكه بالهتافات المدوية، وخرجت

كليتمينسترة لاستقباله، وأمرت بفرش الطريق إلى القصر بالنسيج الأرجواني، واستقبلت أغاممنون كأنه إله، حتى أنه خاف من غضب الآلهة إن هو قبل بمثل هذا التجبيل. دخل أغاممنون القصر بعد أن خلع صندله، ومن خلفه سارت كليتمينسترة الماكرة، وهي تحدثه عن انتظارها له وعن عذابها بسبب فراقه. وعند مدخل القصر توقفت زوجة أغاممنون، وصاحت:

- زوس، زوس، استجب لدعائي! ساعدني في تنفيذ مانويت عمله.

احتشد المواطنون عند قصر أغاممنون وكأن على رؤوسهم الطير. كان الشعور المسبق الثقيل بوقوع مصيبة كبيرة يعذبهم فلم يتفرقوا.

وفجأة ترددت في القصر صرخة أغاممنون وهو يلفظ أنفاسه، قتلت كليتيمنسترة أغاممنون وهو يخرج من الحمام، فقد ألقت عليه غطاء عريضاً طويلاً، فكأنه الشباك لايستطيع منه فكاكاً، ولايستطيع للدفاع عن نفسه سبيلاً، وبثلاث ضربات بالبلطة قتلت كليتمينسترة زوجها.

خرجت كليتمينسترة إلى القوم والبلطة في يديها تقطر دماً، وثيابها ملطخة بالدم أيضاً. وهال القوم مااقترفت يداها. أما هي فكانت فخورة بما فعلت، لكأنها اجترحت مأثرة عظيمة. لكنها لم تلبث أن شعرت بعذاب الضمير، وبالخوف من قدوم المنتقم الذي لايرحم لأغاممنون.

وخرج إيجيستوس من القصر، وقد ارتدى ثوب الملك وحمل الصولجان الملكي في يده. وتملك القوم استياء عارم. وكان بودهم أن يمزقوا إيجيستوس، لولا حماية كليتمينسترة له. راح المواطنون، الذين هزهم موت أغاممنون، يتفرقون رويداً رويداً. أما إيجيستوس وكليتمينسترة فقد عادا إلى داخل القصر وهما سعيدان بالاستيلاء على الحكم.

لكن لم تكتب لهما النجاة من الانتقام، وكان العقاب الصارم يتهددهما لقاء كل مااقترفا من آثام، هذا ماكان يخبيء لهما القدر الذي لايرحم.

أورســت ينتقم لمقتل أبيه[٣]:

مرت سنـوات عديـدة على موت أغـاممنـون، وفي ذات مرة دنـا من القبر، القـائم قرب القصـر مبـاشـرة، شابان في زي عابري سبيل. كان أحدهما، وهو في حوالي الثـامنـة عشرة، متمنطقاً بسيفه، أما الآخر، وكان أسنَّ قليلاً، فكان يحمل في يده رمحـين. اقـترب أصغـر الشـابـين من القـبر، وقص خصلة من شعره، ثم وضعها على القبر. لقد كان هذا أورست، ابن أغاممنون، الذي أنقذته حاضنته يوم قتل أبوه، وتربى بعيداً عن وطنه عند ستر وفيوس، ملك فوسيد. أما الشاب، الـذي كان يرفقتـه فهـو صديقـه بيـلاوس ابن ستر وفيوس. ولم يكد أورست يقدم قربـانـه لأبيـه حتى ظهـرت ببـاب القصـر وصيفات يرتدين الثياب السوداء. كن يقصدن قبر أغاممنون. وبينهن كانت اليكترا ابنة الملك القتيل. كات تلبس، مثل جميع الوصيفات، ثياباً سوداء، وكان شعرها مقصوصاً ـ فلم يكن ثمة مايميز ابنة الملك عن الـوصيفـات الأخـريـات. أسـرع أورست وبيـلاوس بالاختبـاء خلف القـبر، وراحـا يراقبـان الوصيفات، اللواتي ما إن اقتر بن من القبر حتى أجهشن بالبكـــاء، وطفن حول القـبر ثلاث مرات. كانت كليتمينسـترة هي التي أرسلت الـوصيفـات، بعـد أن رأت في نومها حلماً فظيعاً، وخافت أن تكون روح أغاممنون ساخطـــة عليهـــا. وكـان على الـوصيفـات أن يسـترحمنهـا، لكنهن كن يكـرهن كليتمينسـترة لقتلهـا أغـاممنـون، ولأنها كانت لاتني تعذبهن. وكانت كليتمينسترة تعـذبهن لأنهن كن جميعـاً أسـيرات طروايـات، فكـانت حين تنظـر إليهن تتذكر زوجها القتيل.

وبـدلاً من أن تتـوسـل إليكترا لطيف أغاممنون أن يكون رحيماً راحت ـ بناء على نصيحة الوصيفات ـ تدعو الأرباب إلى الانتقام من كليتمينسترة. ثم إنه لم يكن بوسعها أن تتصرف على نحو آخر. كانت إليكترا تكره أمها القاتلة.

حين انتهى تقديم القربان، وهمت الوصيفات بالانصراف، رأت اليكترا خصلة شعر على القبر. ولما كان هذا الشعر يشبه شعرها فقد أدركت في الحال أنه شعر أورست. رفعت خصلة الشعر، وراحت تفكر: لماذا لم يأت أورست بنفسه، ولماذا اكتفى بإرسال خصلة من شعره؟ وهنا اقترب أورست من شقيقته بهدوء وناداها. لم تتعرف اليكترا على أخيها فوراً فهي لم تره مذ كان طفلاً صغيراً. لكن أورست أرى أخته الثياب التي حاكتها له. فرحت اليكترا، وأخبرها أورست أنه إنما جاء إلى هنا بمشيئة الإله أبولون، الذي أمره في دلفي بالانتقام من أمه ومن إيجيستوس لموت أبيه. وكان أبولون قد هدد أورست بالجنون إن هو لم ينفذ إرادته. طلب أورست من أخته أن تتحلى بالحذر، وألاّ تخبر أياً كان بوصوله إلى مسقط رأسه.

انصرفت إليكترا إلى القصر. وبعد وقت قصير راح أورست وبيلادس يقرعان بوابة القصر، وقالا للخادم، الذي خرج لهما، أنهما يودان رؤية كليتمينسترة. لكي ينقلا لها نبأ هاماً. ناداها الخادم من القصر فأخبرها أورست أن الملك فوسيد طلب منه أن يبلغها أن أورست مات، وأنه لا يعرف ماذا يفعل بجثته. فرحت كليتمينسترة، فقد مات ذلك الذي كان بمقدوره الانتقام لأغاممنون.

أرسلت كليتمينسترة من يخبر إيجيستوس، الذي كان في المدينة، بموت أورست، فعاد إلى القصر مسرعاً، دون أن يصطحب معه مقاتليه، الذين لم يكونوا يفارقونه. كان إيجيستوس يسرع إلى حتفه، فلم يكد يدخل القصر حتى سقط وقد أصابه أورست بطعنة سيف، واندفع أحد العبيد، وقد تملكه الرعب، إلى كليتمينسترة، وراح يستغيث بها. وهنا أدركت أن لحظة القصاص قد حلت.

فجأة دخل عليها أورست وسيفه يقطر دماً. خرت كليتمينسترة أمامه، وراحت تتوسل إليه أن يرحمها: فهي أمه التي أرضعته من ثديها، لكن لم يكن

بمقدور أورست أن يعفو عن أمه، فقد كان عليه أن ينفذ إرادة أبولون. قبض أورست على أمه من يدها، وجرها إلى حيث كانت جثة إيجيستوس ملقاة، فقتلها هناك. وهكذا فقد انتقم أورست لأبيه.

ما إن عرف القوم بموت كليتمينسترة وإيجيستوس حتى بدأوا يتوافدون إلى القصر. ولم يشعر أي منهم بذرة إشفاق على الطاغية إيجيستوس، المكروه من الجميع، ولا على كليتمينسترة المحتالة، فتحت أبواب القصر فرأى الجميع جثتي إيجيستوس وكليتمينسترة الداميتين، وسيف أورست من فوقهما. كان أورست يشعر بأنه على حق باقتراف هذه الجريمة: فهو إنما نفذ إرادة أبولون بانتقامه لمقتل أبيه. لكن فجأة ظهرت ربات الانتقام الغاشمة أمام أورست. ومن حول رؤوسهن كانت تلتف الأفاعي السامة، وكانت عيونهن تقدح شرراً. وارتعدت فرائص أورست. وشعر أن الظلمة تخيم على عقله شيئاً فشيئاً. فغادر القصر، تطارده الإيرينات قاصداً معبد أبولون في دلفي، أملاً في أن يحميه الإله، الذي نفذ إرادته.

أبولون وأثينا بالاس ينقذان أورست من ملاحقة الإيرينات[4]:

أخيراً وصل أورست دلفي المقدسة، تطارده الإيرينات المنتقمات، وقد أنهكه التجوال والحزن، وجلس هناك في معبد أبولون بجوار أومفالوس[5]. وقد طاردته الربات الفظيعات حتى إلى معبد أبولون، لكن الإله النبّال سلط عليهن النوم، فأغمضن عيونهن الفظيعة.

وخفية عن الإيرينات تجلى أبولون لأورست، وأوعز إليه أن يذهب إلى أثينا، ويتضرع هناك لتمثال الربة أثينا بالاس القديم. ووعد أبولون أورست

المسكين بالمساعدة، وأرسل معه أخاه الإله هرمس لمرافقته. نهض أورست، وخرج من المعبد بكل هدوء، ثم انطلق إلى أثينا بصحبة هرمس.

ولم يكد يغادر حتى خرج طيف كليتمينسترة من الأرض داخل معبد أبولون. وإذ رأت الإيرينات نائمات راحت تحاول إيقاظهن، وتوبخهن لأنهن تخلين عن ملاحقة القاتل، الذي أراق دم أمه. وراحت تستحثهن أن يلحقن بأورست ويحرمنه طعم الراحة. لكن الإيرينات كن في نوم عميق، وهن يطلقن الآهات، ويصرخن بين الفينة والأخرى، لكأنهن يطاردن القاتل الفار منهن. أخيراً وبصعوبة كبيرة استيقظت إحدى الإيرينات، ثم أيقظت الأخريات، وجن جنون الإيرينات حين اكتشفن اختفاء أورست، ورحن يلمن أبولون لأنه انتزع القاتل من أيديهن، لكن أبولون طردهن من معبده وهو يهددهن بقوسه. اندفعت الإيرينات، وهن في ذروة الغضب، يقتفين آثار أورست وقد دبت الفوضى في صفوفهن.

وفي هذا الوقت كان أورست قد وصل أثينا، وجلس عند تمثال الربة أثينا، ثم احتضنه، وبعد قليل ظهرت الإيرينات، لقد بحثن عن أورست في كل مكان، وكن، من شدة سخطهن، مستعدات للفتك بالمسكين، لكن ربات الانتقام لم يتجاسرن على تدنيس تمثال أثينا المقدس.

سمعت الربة أثينا صرخات التهديد، التي أطلقتها الإيرينات، فتجلت لهن. راحت الإيرينات تطالبن متوعدات بأن تسلمهن الربة أورست، وتضعه تحت تصرفهن، كن يرغبن في أن يسمنَه أقسى أنواع العذاب لأنه قتل أمه. أما أورست فقد راح يتضرع إلى الربة أن تحميه. وقد ذكّر أثينا بالاس بوالده أغاممنون، وكيف لقي حتفه على يد كليتمينسترة الخبيثة. فهل انتقم أورست من أمه بمشيئته هو؟ إنه إنما نفذ مشيئة أبولون. وراح أورست يتضرع إلى أثينا أن تحاكمه بنفسها.

أصغت الـربـة أثينا لتوسلات أورست. ولكي تحل قضيته اختارت من بين شيـوخ أثينـا محكمـة ـ أريوباج ـ ومنذ ذلك الحين وهذه المحكمة موجودة في أثينا، وكـانت تعقـد على الهضبـة، التي كان يقع عليها معسكـر الأمازونات حين أغرن على ثيسيوس. وكان يطلق على هذه الهضبة اسم هضبة آريس لأن الأمازونات قدمن له القربان.

اجتمـع القضـاة، الـذين اختـارتهم أثينـا، وجيء بصندوقي اقتراع، كان على القضـاة أن يلقـوا الحصى فيهـما، وبدأت المحاكمة. وقد شاركت الربة أثينا فيهـا. كان النـاس يتجمهـرون في كل مكـان، يدفعهم الفضـول لمعـرفـة قرار المحكمـة. وجهت الإيـرينـات الاتهام لأورست، ورحن يطالبن بادانته. وقد جاء الإلـه أبـولـون بنفسـه للدفـاع عن أورست. وقد اعتبر أن أورست تصرف بشكل صحيـح لأنـه إنما انتقم من كليتمينسترة على الاثم الذي اقترفت بقتلها زوجها، البطـل العظيم الملك أغـاممنـون. إن أورست إنـما نفذ مشيئة أبولون. بدأ القضاة التصويت بعد أن استمعوا للمتهمات وللدفاع.

وتقـــرر أنـه في حال تعـادل الأصـوات التي تدين أورست والأصـوات التي تبر ىء ساحتـه أن يعتـبر بريئـاً. وحـين أحصيت أصـوات القضـاة تبـين تعـادل الأصـوات، التي تدين والأصـوات التي تبر يء. ويعـود الفضل في تعادل أصوات الادانـة وأصـوات الـبراءة إلى أن أثينا صوتت لصالح أورست، قائلة أنها تصوت لصالحه لأنه لا أم له، وليس لها إلا والدها ـ الإله زوس.

وهكذا فقد بُرئت ساحة أورست، وكان علي الايرينات أن يتوقفن عن ملاحقته.

تملك الغضب الفظيـع الايـرينـات، فقـد حرمتهن المحكمـة من حقوقهن الأسـاسيـة في إنـزال العقـاب الفظيـع بالمجـرمين. ورحن يهددن بخراب إيثاكه، ودفعها إلى لجة المصائب، لكن أثينا خففت سخط الربات، فقد أقنعتهن بالبقاء

في إيثاكه إلى الأبد، في الكهف المقدس، حيث سيقدم لهن جميع الأثينيين فروض الطاعة والتبجيل.

وافقت الربات الرهيبات، وفي احتفال مهيب قاد المواطنون الإيرينات إلى معبدهم ـ كهف عند أسفل جبل أريس. ومنذ ذلك الحين أصبحت الإيرينات حاميات لإيثاكه كلها، وأصبحن يعرفن باسم الأومينيدات(٦).

أورست يسافر إلى تاورس في طلب تمثال أرتيميس المقدس(٧):

لم يتخلص أورست من ملاحقة الإيرينات، فلم ينصعن جميعهن لقرار الأريوباج، واستمر بعضهن يلاحق أورست، ويحرمه من طعم الراحة لا في النهار ولا في الليل، أخيراً، وبعد أن ذاق أورست الأمرين، عاد إلى معبد أبولون في دلفي، وهناك أمره أبولون بالسفر إلى تاورس(٨) البعيدة، ليجلب من هناك تمثال الربة أرتيميس المقدس. كانت الرحلة محفوفة بالمخاطر. وكانت قبيلة التوريانيين، التي كانت تعيش في أرض تاورس، تقدم جميع الغرباء، الذين يأتون إليها، قرابين لهذا التمثال. وكان مثل هذا المصير يمكن أن يحيق بأورست أيضاً.

ومع هذا فقد انطلق أورست في هذا الدرب البعيد. كان يريد أن يتخلص من ملاحقة الإيرينات مهما كان الثمن. وبعد إبحار موفق وصل مع صديقه بيلادس إلى تاورس، ثم توجها إلى معبد أرتيميس، بعد أن أخفيا مركبهما بين الصخور الساحلية. ولم يكن يخطر لأورست ببال أن أخته إيفيجينيا كاهنة في هذا المعبد، إنها أخته، التي سبق لليونانيين أن أرادوا تقديمها قرباناً للربة أرتيميس. لم يجرؤ أورست وبيلادس على اختطاف التمثال نهاراً، فقررا انتظار حلول الليل. لكن الرعاة رأوهما وهاجموهما، وبعد صراع طويل أوثقوا قيدوهما، وقادوهما إلى الملك. وقرر الملك أن يقدما كلاهما قرباناً لأرتيميس.

وفي الصباح جيء بهما مغلولين إلى المعبد. وكان على إيفجينيا، دون أن يخطر لها ذلك ببال، أن تقتل أخاها بيديها. وكانت قد رأت في الليل حلماً رهيباً وكأن قصر أبيها تداعى بفعل زلزال، ولم يبق إلا عمود واحد، كان الشعر المجعد الأبيض يتدلى عليه، وقد طهرت العمود وكأنها تروم التضحية به، وظنت إيفجينيا أن أخاها أورست قد لقي حتفه، فقررت أن تقدم قرباناً باسم أخيها الميت.

وفي أثناء تقديم القربان جاءها خدم الملك بأورست وبيلادس المغلولين. وراحت تسألهما عن حسبهما ونسبهما. وحين عرفت أنهما يونانيان راحت تسألهما عما حل بأغاممنون وبأخيها أورست، ولم يكن بوسع أورست وبيلادس أن يرويا لها شيئاً يسر الخاطر.

أخيراً قررت إيفجينيا أن تتقرب بأحد الشابين، وأن ترسل الآخر برسالة إلى أورست في اليونان لكي يعرف أورست أن أخته إيفجينيا حية ترزق. وهنا فقط اكتشف الاثنان أنهما الأخ واخته. لكن كيف السبيل إلى النجاة؟ وكيف بالإمكان الهرب من تاورس؟

قررت إيفجينيا اللجوء إلى الحيلة. فقد أعلنت لملك التاوريين أن تمثال أرتيمس قد دنس، ولابد من تطهيره في البحر هو والغريبين، اللذين سيقدمان للربة قرباناً. وافق الملك.

وفي حفل مهيب سارت إيفجينيا مع خدام المعبد إلى ساحل البحر، حيث كان أورست قد خبأ مركبه، كان خدام المعبد يحملون التمثال، بينما كان خدم الملك يقودون أورست وبيلادس المغلولين، وحين بلغوا شاطيء البحر أمرت إيفجينيا خدم الملك بالانصراف، لأنه كان يحظر عليهم رؤية طقوس التطهير السرية. وحين انصرف الخدم عمدت إيفجينيا إلى فك وثاق أخيها وصديقه، ثم أسرعت وإياهما إلى المركب. دبت الريبة في نفوس خدم الملك حين استغرقت الطقوس هذه الفترة الطويلة، وجاءوا إلى الشاطيء، ولاتسل عن دهشتهم حين

رأوا المركب وأورست يهم بحمل إيفجينيا عليه. اندفع خدم الملك نحو أورست يريدون انتزاع كاهنتهم منه. وبدأت المعركة، لكن أورست وبيلادس لم يلبثا أن هزما خدم الملك. صعد أورست مع إيفجينيا ورفاقه إلى متن المركب. جلس المجذفون إلى المجاذيف، وخرج المركب إلى عرض البحر، لكن لم يكن قد كتب لهم أن يغادروا تاورس بهذه السهولة.

فقد هبت عاصفة قوية، دفعت بالمركب إلى الشاطىء من جديد. وكان من شأن جميع اليونانيين الموجودين على ظهر المركب أن يلقوا حتفهم، بعد أن يقعوا في قبضة ملك التاوريين لولم تسرع الربة أثينا بالاس لنجدتهم. فقد تجلت للملك التاوريين، وأمرته أن يسمح بالسفر إلى اليونان ليس فقط لإيفجينيا وأخيها وجميع رفاقه، بل ولجميع خدام معبد أرتيميس. وقد اضطر الملك للرضوخ لارادة الربة. والآن أصبح بإمكان إيفجينيا أن تعود إلى الوطن، الذي سبق للربة أرتيميس أن نقلتها منه، منذ عهد بعيد، إلى أرض تاورس.

بعد عودته إلى الوطن قتل أورست اليتوس ابن إيجيستوس، الذي عمد في غيابه إلى الاستيلاء على العرش، وزوج أخته اليكترا لصديقه المخلص بيلادس، الذي كان مستعداً لأن يموت من أجله في تاورس، تحت بلطة إيفجينيا. أما إيفجينيا فقد أصبحت كاهنة الربة أرتيميس في المعبد، الذي بني على شاطىء البحر في إيثاكه، بالقرب من أثينا.

هـــوامـــش

١ - عن تراجيديا اسخيلوس «أغاممنون».

٢ - ابن ثييستوس من ابنته بيلوبيا، التي تخلت عن ولدها لأنها أنجبته من أبيها.

٣ - عن تراجيديا اسخيلوس «المترجيات»، أي، اللواتي يرقن على القبر احتراماً للميت».

٤ - عن تراجيديـا اسخيلوس «اومينيـد»، [أومينيـد الاسم الذي كان الاغريق يطلقونه على الايرينات، ربات الانتقام، تيسيغون ميجير، اليكتو / المترجم.

٥ - أومفـالـوس: الحجـر المقدس (نيزكي على الأغلب)، كان أشهر هذه الأحجار موجوداً في معبـد أبـولـون في دلفي، وكـان عبارة عن قطعة من الرخام على شكل دائرة، وكان يمثل مركز الأرض المعروفة بالنسبة للاغريق («سرة الأرض» «محور الكون»).

٦ - أي الخيرات، المحسنات.

٧ - عن تراجيديا يوربيدس «افجينيا في تاورس».

٨ - القرم حالياً.

ملحمة طيبة

أوديب . طفولته . الشباب والعودة إلى طيبة[1]

كان لدى بوليدوروس، ملك طيبة، ابن قدموس، وزوجته نوكتيس ولد اسمه لابداكوس Labdacos ، الذي ورث الحكم في طيبة. وقد كان لايوس ابناً له ووريثاً. وفي ذات مرة زار لايوس الملك بيلوبس، وأمضى في ضيافته في بيزا فترة طويلة. لكن لايوس قابل حسن ضيافة بيلوبس له بالسوء ونكران المعروف. فقد اختطف لايوس خريسيبوس، ابن بيلوبس، وحمله معه إلى طيبة، فراح الأب الغاضب والحزين يصب لعناته على لايوس، ويدعو الآلهة أن تختطف ابن لايوس، ويكون موت لايوس على يد ابنه. تلك كانت لعنة والد خريسيبوس للايوس، وكان لهذه اللعنة أن تتحقق.

بعد عودته إلى طيبة، ذات البوابات السبع، تزوج لايوس من جوكاستا، ابنة مينوسيوس. وقد عاش لفترة طويلة آمناً قرير العين في طيبة، ولم يكن يقض مضاجعه سوى أمر واحد: لم يرزق بأولاد. أخيراً قرر لايوس أن يقصد دلفي ليسأل الإله أبولون هناك عن سبب عدم الإنجاب. وكان جواب كاهنة أبولون للايوس رهيباً. فقد قالت له:

- لسوف يحقق الآلهة رغبتك ياابن لابداكوس، ويكون لديك ولد، لكن فلتعرف أن موتك سيكون على يده. ولسوف تتحقق لعنة بيلوبس.

دب الرعب في نفس لايوس، وفكر طويلاً بكيفية تجنب مشيئة القدر الغاشم، وأخيراً قرر قتل ابنه حال ولادته.

وبعد مرور وقت قصير رزق لايوس بصبي، لكن الأب القاسي ربط قدمي الطفل بالسيور، وثقب كعبيه بالحديد القاطع، ثم استدعى أحد عبيده، وأمره أن يرمي الطفل في الغابة على سفح جبل سيثيرون[٢]، لكي تفترسه الوحوش الكاسرة هناك. لكن العبد لم ينفذ أوامر لايوس. فقد أشفق على الطفل، وسلمه لعبد ملك كورنثه بوليبوس. وكان هذا العبد يرعى قطيع سيده على سفوح جبل سيثيرون. حمل العبد الطفل إلى الملك بوليبوس، الذي قرر أن يربيه كوريث له، على اعتبار أنه بدون أولاد. وقد أطلق الملك بوليبوس عليه اسم أوديب بسبب قدميه المتورمتين نتيجة الجروح.

وهكذا فقد ترعرع أوديب في كنف بوليبوس وزوجته ميروبا، اللذين اعتبراه ابنهما، وبدوره كان أوديب يعتبرهما والديه. وفي ذات مرة، وبعد أن أصبح أوديب شاباً كبيراً، أخبره أحد أصدقائه، بعد أن دب السكر في رأسه، أنه ابن الملك بالتبني، وهذا ماأثار دهشة أوديب، وولد الشك في نفسه، فقصد بوليبوس وميروبا، وراح يحاول جاهداً معرفة سر ولادته منهما. لكن أياً منهما لم يخبره بشيء. وحينذاك قرر أوديب أن يسافر إلى دلفي ليعرف كل شيء هناك.

سافر أوديب إلى دلفي كعابر سبيل عادي. وحين وصل إلى هناك سأل الوحي، فأجابه أبولون المتألق على لسان بيثيا:

- إن مصيرك فظيع ياأوديب. لسوف تقتل أباك، وتتزوج أمك، وسيولد من هذا الزواج أبناء يلعنهم الآلهة، ويكرههم البشر.

ذعر أوديب من هول ماسمع. فكيف له بتجنب القدر القاسي، كيف له

بتجنب قتل أبيه والزواج من أمه؟ فالوحي لم يسم والديه بالاسم. وقرر أوديب أن لايعود إلى كورنثه بعد الآن. فماذا لو كان بيلوبس وميروبا والديه؟ فهل يعقل أن يصبح قاتل بيلوبس وزوج ميروبا؟ قرر أوديب أن يبقى مشرداً بدون ذرية، بدون قبيلة وبدون وطن.

غادر أوديب دلفي لايعرف إلى أين يتجه، وقد اختار أول طريق صادفه وكان هذا الدرب يقود إلى طيبة. وعلى الطريق، عند أقدام بارناس، حيث كانت تتلقى ثلاثة طرق وفي واد ضيق صادف أوديب مركبة كان يركب فيها شيخ جليل، ويقودها المنادي، ويسير الخدم من خلفها. صاح المنادي بأوديب بصوت فظ أن يتنحى عن الطريق، ثم لوح بسوطه في وجهه. ضرب أوديب المنادي من غضبه، وهم بأن يتابع طريقه، لكن الشيخ لوح بعصاه، وهوى بها على رأس أوديب.

احتدم أوديب غيظاً، وفي ثورة غضبه ضرب العجوز بعصاه ضربة قوية أوقعته على الأرض ميتاً. وانقض أوديب على الخدم فقتلهم جميعاً، إلا واحداً منهم تمكن من الاختفاء. وهكذا تحققت مشيئة القدر: فقتل أوديب دون أن يدري أباه لايوس، الذي كان في طريقه إلى دلفي لكي يسأل أبولون كيف له بإنقاذ طيبة من سفينكس السفاح.

وتابع أوديب طريقه وكأن شيئاً لم يكن. كان يعتبر أن الذنب ليس ذنبه في مااقترفت يداه: فليس هو المعتدي، إنما كان يدافع عن نفسه، ظل أوديب يسير ويسير إلى أن وصل أخيراً إلى طيبة.

كان جو الكآبة يخيم فوق طيبة. فقد أصيبت مدينة قدموس بفاجعتين، فالسفينكس الرهيب، ابن تيفون وايشدنا[3] أقام قرب طيبة على جبل سفينفيون، وراح يطالب بالضحايا تلو الضحايا، كما أن العبد نقل خبر موت لايوس على يد مجهول.

وحين رأى أوديب حزن المواطنين قرر أن يخلصهم من المصيبة، وسار إلى حيث سفينكس.

كان سفينكس وحشاً هائلاً برأس امرأة وجسم أسد ضخم، وقوائم مسلحة ببراثن حادة، وجناحين هائلين. قرر الآلهة أن يبقى سفينكس عند طيبة إلى أن يتمكن أحدهم من حل اللغز الذي لديه، والذي أعطته إياه ربات الإلهام.

كان سفينكس يجبر جميع المسافرين، الذين يمرون به، على محاولة حل هذا اللغز، لكن أحداً لم يتمكن من القيام بذلك، فكان الموت الرهيب من نصيبهم بين براثن سفينكس الحادة، الكثيرون من أبناء طيبة البواسل حاولوا إنقاذ بلادهم من هذا الوحش، لكنه فتك بهم جميعاً.

وصل أوديب إلى سفينكس، الذي طرح عليه حل لغزه:

- قل لي: من يمشي في الصباح على أربع، ونهاراً على اثنتين، ومساء على ثلاث؟ وليس ثمة من كائن يعيش على الأرض يتغير كما يتغير، وحين يسير على أربع تكون قواه أقل، وحركته أبطأ مما هو عليه الأمر في وقت آخر.

وجاء جواب أوديب في الحال:

- إنه الانسان. فحين يكون صغيراً، أي حين يكون في صباح عمره يكون ضعيفاً، ويزحف ببطء على أربع. وفي النهار، أي في مرحلة النضج، يسير على قدميه، أما في المساء، أي في سن الشيخوخة فإنه يصبح ضعيفاً، فيتوكأ على عكاز، وحينذاك يسير على ثلاث.

حل أوديب أحجية سفينكس. وهنا رفرف سفينكس بجناحيه، وألقى بنفسه من على الصخرة في البحر. لقد قرر الآلهة أن على سفينكس أن يموت إذا ماتمكن أحدهم من حل أحجيته. وهكذا أنقذ أوديب طيبة من الوحش.

حين عاد أوديب إلى طيبة أعلنه سكانها ملكاً عليهم، لأن كريون، الذي تولى الحكم، بدلاً من لايوس الميت، كان قد قرر أن ملك طيبة سيكون ذلك

الشخص الذي ينقذها من سفينكس. بعد أن أصبح أوديب ملكاً على طيبة تزوج بجوكاست أرملة لايوس، ورزق منها بابنتين هما أنتيغون وايسمين، وبولدين هما ايتيوكليس وبولينيس، هكذا تحققت مشيئة القدر الثانية: أصبح أوديب زوج أمه، ورزق منها بأولاده.

أوديب في طيبة(٤):

حكم أوديب، الذي أعلنه الشعب ملكاً، في طيبة بكل حكمة. ولفترة طويلة ظل الهدوء والسلام يخيمان على طيبة وعلى الأسرة الملكية. لكن القدر كان يخبيء التعاسة لأوديب. وها قد حلت به نازلة كبيرة، فقد سلط الإله النبّال أبولون مرضاً فظيعاً على سكان طيبة، راح يفتك بالكبار والصغار، وتحولت طيبة إلى مقبرة ضخمة. كانت الجثث غير المدفونة ملقاة في الطرق والساحات. وفي كل مكان كان يتردد النواح والأنين، وأنّى ذهبتَ تسمع بكاء الأرامل والثكالى.

لم يكن المرض وحده هو الذي اجتاح طيبة، بل وسادها الجوع أيضاً، لأن الحقول لم تعد تنتج محصولاً، وأصيبت القطعان بوباء الطاعون الرهيب. كان يبدو وكأن مدينة قدموس العظيم تلفظ أنفاسها الأخيرة. وعبثاً راح المواطنون يقدمون القرابين للآلهة، ويصلون لها طلباً للنجاة. لكن الآلهة لم تسمع صلواتهم، وراح الوضع يزداد سوءاً.

جاء جمهور غفير من المواطنين إلى ملكهم أوديب يطلبون أن يمد لهم يد العون، ويعلمهم كيف يتخلصون من هذه المصائب والأرزاء التي تهدد بفنائهم. أولم يساعدهم ذات مرة بالتخلص من سفينكس. كان أوديب نفسه قلقاً على مصير قومه، وكان قد أرسل كريون، شقيق جوكاست، إلى دلفي ليسأل أبولون

عن الطـــريقـــة الكفيلة بالتخلص من الأرزاء والمحن. كان من المتـوقـع أن يعـود كريون بين يوم وآخر، وكان أوديب ينتظره بفارغ الصبر.

أخـيراً عاد كريـون، حامـلاً جواب العـرافـة، لقد أمر أبولون بطرد من جرّ على طيبـة هذه المحن بسبب جريمتـه. كان على المـواطنـين أن يدفعـوا ثمن دم لايـوس المهـدور بطـرد القـاتـل، أوحتى بإعـدامـه، لكن كيف العثورعلى قاتل لايـوس؟ فلقـد قتـل على قارعـة الطريق. وقتل معه جميع مرافقيه، باستثناء عبد واحد. قرر أوديب العثور على القاتل بأية وسيلة، أياً كان، وأنى كان يختبيء، ولو حتى في قصره الملكي، ولـو كان القـاتـل واحـداً من ذويه. دعا أوديب القوم إلى المجلس للتشـاورحول كيفيـة العثـورعلى القـاتـل. ويشـير القـوم إلى العـراف تيرسيـــوس، فهـــو وحـده القـادر على مد يد العـون. ويؤتى بالعـراف الأعمى تيرسيـــوس. ويطلب أوديب منـه أن ينطق باسم قاتـل لايـوس، فبماذا يستطيـع العراف أن يرد عليه؟ نعم إنه يعرف القاتل، لكنه لايستطيع أن يذكر اسمه.

ويقول تيرسيوس:

- هلا تركتني أذهب إلى البيت، فيكـــون من الأسهـــل علينـا كلينـا تحمـل هذا العبء الذي ألقى به القدر على كاهلنا.

لكن أوديب يصر على تلقي الجواب، فيصيح به:

- لاتريد أن تجاوب أيها العراف! لكنك بعنادك يمكن أن تغضب حتى الحجر.

استمـر تيرسيـوس على عنـاده طويلاً، لا يريد أن يذكر اسم القاتل، لكنه يقول أخيراً، نزولاً عند كلام أوديب الغاضب:

- أنت نفسك ياأوديب من دنس هذه البلاد بحكمك لها. إنك أنت نفسك ذلك القـاتـل، الـذي عنه تبحث. وقد تزوجت وأنت لاتدري - بتلك التي هي أعز الجميع لدى كل منا، لقد تزوجت بوالدتك.

استبـد الغضب بأوديب من تيرسيـــوس حين سمـــع كلامـــه هذا، واتهم

العراف بالكذب، وراح يهدده بالاعدام، ويقول أن كريون هو الذي أوحى له بذلك لكي يستولي على مقاليد الحكم. لكن تيرسيوس يصغي لكلام الملك الغاضب بكل هدوء، وهو على ثقة تامة بأنه إنما قال له الحقيقة. إنه يعرف أن أوديب، وإن كان حاد البصيرة، إلا أنه لا يرى كل الشرور والآثام التي يقترفها دون أن يرغب بذلك. أن إوديب لايرى أين يعيش، ولايرى أنه عدو نفسه وعدو أسرته. ودون أن يخشى تيرسيوس التهديد والوعيد يقول لأوديب بكل جرأة أن القاتل هنا، أمامه. صحيح أن القاتل جاء إلى طيبة وكأنه غريب، لكنه في الحقيقة من أبناء طيبة، ولسوف ينال القدر الغاشم من القاتل، يتحول من بصير إلى أعمى ومن غني إلى فقير، ولسوف يغادر طيبة إلى المنفي، بعد أن يفقد كل شيء.

كان المواطنون يصغون إلى تيرسيوس، وقد استبد بهم الرعب، فقد كانوا يعرفون أن الكذب لم يدنس شفتيه أبداً.

أما أوديب فقد راح، وقلبه مفعم بالغضب، يتهم كريون بأنه هو الذي لقن تيرسيوس هذا الكلام، إنه يتهم كريون بالسعي للاستيلاء على السلطة في طيبة. وجاءت جوكاست أيضاً، فأخبرها بما قاله تيرسيوس، واتهم أخاها بالنية السيئة. ويسأل جوكاست كيف قتل لايوس، وكيف القي بابن لايوس الوحيد على سفح سيثير ون، فأخبرته جوكاست بكل شيء. وتسللت بذور الشك الأولى إلى قلب أوديب. كان ثمة هاجس منكر ورهيب يعذبه، ويجعل قلبه ينفطر.

وصاح أوديب:

- ماذا قررت أن تفعل بي يازوس؟ هل يعقل أن البصير لم يكن أنا، بل تيرسيوس الأعمى!

ويسأل أوديب عن العبد، الذي أنقذ الطفل، أين هو، أحي هو، فيكتشف أن هذا العبد يرعى القطيع على سفح سيثير ون. ويرسل أوديب في

طلبه على الفور، إنه يريد أن يعرف الحقيقة كلها، مهما كانت فظيعة.

ولم يكد يرسل في طلب العبد حتى جاء رسول من كورنث يحمل نبأ موت الملك بوليبوس، بسبب المرض. إذن فبوليبوس لم يمت على يد ولده. وإذا كان أوديب ابن بوليبوس فهذا يعني أن مشيئة القدر لم تتحقق، في أن يقتل أوديب أباه. لكن لعل أوديب ليس ابن بوليبوس؟ ويراود أوديب الأمل في أنه نجا مما كان يخبيء له القدر. لكن الرسول يخيِّب هذا الأمل. فقد أخبره أن بوليبوس ليس له ابن، وأنه هو نفسه قد جلبه إلى ملك كورنث طفلاً صغيراً، وأن عبد ملك لايوس هو الذي سلمه له.

كان أوديب يصغي للرسول وقد تملكه الرعب، فقد راحت الحقيقة الرهيبة تتجلى له شيئاً فشيئاً.

لكن هاقد جاء الراعي. في البداية لم يرغب في أن يتحدث بأي شيء، كان يريد إبقاء كل شيء طي الكتمان. لكن أوديب يتوعد الراعي بإنزال العقاب الرهيب به إن هو أخفى الحقيقة.

ومن شدة خوفه يعترف الراعي أن الصبي الذي سبق أن سلمه للرسول كان ابن لايوس، الذي قرر والده قتله، أما هو فقد أشفق على الطفل البائس.

كم كان بود أوديب لو أنه مات حينما كان طفلاً بريئاً. وكم يتذمر من الراعي لأنه لم يدعه يموت طفلاً. فقد أدرك أوديب الآن كل شيء. إنه يعرف من قصص جوكاست عن موت لايوس، ويعرف أنه قتل والده بيده، وأنه ابن لايوس وجوكاست. لقد تحققت مشيئة القدر.

وينصرف أوديب إلى القصر وقد تملكه اليأس. فهو قاتل أبيه، زوج أمه، وأولاده أبناؤه من ناحية وأخوته لجهة أمه من ناحية أخرى.

وفي القصر كانت بانتظار أوديب ضربة أخرى. لم تتحمل جوكاست كل الهول، الذي تكشف لها، فانتحرت. وجن أوديب من فرط حزنه. فانتزع

الدبوس من ثوب جوكاست، وسمل عينيه به. لم يكن يريد أن يرى بعد الآن ضوء الشمس، ولا أولاده، ولا طيبة الأم. الآن مات كل شيء بالنسبة له، ولا يمكن أن يعرف للحياة لذة. ويتوسل أوديب إلى كريون أن يطرده من طيبة، ولا يطلب منه إلا شيئاً واحداً ـ العناية بأولاده.

مـــوت أوديـــب(*):

لم يطرد كريون أوديب من طيبة حالاً. فقد عاش لبعض الوقت في القصر، معزولاً عن الجميع، مستسلماً لمصابه. لكن سكان طيبة خافوا أن يجر بقاء أوديب في طيبة سخط الآلهة على البلاد بأسرها. فطالبوا بطرد أوديب الأعمى فوراً. ولم يعارض هذا القرار ابنا أوديب اتيوكليس وبولينيس، فقد كانا يريدان أن يحكما في طيبة بنفسهما. طرد سكان طيبة أوديب وتقاسم ولداه السلطة مع كريون.

رحل أوديب الأعمى والضعيف، وقد نفي من طيبة، إلى بلاد الغربة. وكان الموت الحتمي سيحيق به، وهو الكهل العاجز، لولا ابنته أنتيغون، ذات القلب النبيل والروح القوية، والتي قررت أن تكرس كل حياتها لأبيها. فقد رافقت أوديب إلى منفاه. كان الشيخ البائس ينتقل من بلاد إلى أخرى، تقوده أنتيغون. وبكل عناية وحرص كانت أنتيغون تقوده عبر الجبال والأحراج المظلمة، وتقاسمه كل محن الطريق الصعب ومخاطره.

وبعد تطواف طويل وصل أوديب أخيراً إلى إيثاكه، إلى مدينة أثينا. لكن أنتيغون لم تعرف إلى أين جاءت بأبيها. وغير بعيد تراءت لها أسوار المدينة وأبراجها، تغمرها أشعة الشمس، التي أشرقت للتو. وبالقرب من المدينة كانت توجد غيضة غار خضراء، وقد التفت عليها الكرمة واللبلاب، وفي الغيضة كانت تلمع هنا وهناك بعض أشجار الزيتون، ذات الخضرة الفضية. ومن الغيضة كان

يتناهى غناء البلابل الشجي. وكانت الجداول تتدفق بخرير قوي عبر الوادي الأخضر، وفي كل مكان كانت تتلألأ أزهار النرجس البيضاء، ويفوح أريج الزعفران الأصفر. في هذه الغيضة، في ظل الغار، جلس أوديب المعذب على حجر، أما أنتيغون فقد همت بالذهاب لتسأل عن هذا المكان. ومر بهما أحد المستوطنين وقال لأوديب أنهما في كولون، وهي مكان بالقرب من أثينا(٦)، وأن الغيضة، حيث يجلس أوديب، منذورة للأومينيدات، أما المكان كله في الجوار فمنذور لبوزيدون وبروميثيوس، وأما المدينة فهي أثينا، ويحكمها البطل العظيم ثيسيوس ابن إيجيوس. وحين سمع أوديب ذلك راح يرجو المستوطن أن يرسل أحدهم إلى الملك ثيسيوس، لأنه يريد أن يقدم له خدمة كبيرة إذا ماوافق ثيسيوس علي إيوائه لديه لبعض الوقت. كان من الصعب على المستوطن أن يصدق أن هذا الشيخ الضعيف والأعمى قادر على تقديم المساعدة لملك أثينا الجبار. ذهب المستوطن إلى كولون وهو في غاية الشك والريبة، وراح يتحدث هناك عن الشيخ الأعمى، الجالس في غيضة الأومينيدات، والذي يعد بمساعدة ثيسيوس نفسه.

أما أوديب فحين عرف أنه موجود في غيضة الأومينيدات المقدسة، أدرك أن منيته لم تعد بعيدة، حيث نهاية كل عذابه ومعاناته. فمنذ عهد بعيد تنبأ له أبولون أنه سيموت، بعد أن يضرب في الأرض طويلاً، ويتعذب ويعاني كثيراً، في غيضة الربات العظيمات، وأن من يقدم له ملاذاً يحصل على مكافأة سخية، أما أولئك الذين سيطردونه فإن الآلهة ستنزل بهم أقسى العقاب، وأدرك أوديب الآن أن الربات العظيمات هن الأومينيدات، اللواتي ظللن يلاحقنه دون كلل طيلة حياته. إن أوديب واثق أن الهدوء سيحل بالنسبة له أيضاً.

وفي هذا الوقت أسرع مواطنو كولون إلى غيضة الأومينيدات لكي يعرفوا من هذا الذي تجاسر على دخولها، في الوقت الذي لايتجاسر فيه المواطنون

أنفسهم حتى على ذكر أسماء الربات الرهيبات، ولا يجرؤون على النظر إلى معبدهن. سمع أوديب أصوات الكولونيين فطلب من أنتيغون أن تقوده إلى عمق الغيضة. وحينما راح الكولونيون يطلقون عليه صفة مدنس الغيضة، خرج أوديب إليهم، وذكر لهم اسمه، فتملكهم الرعب.

إذن فأوديب أمامهم! من في اليونان لايعرف مصيره الفظيع؟، ومن لايعرف الجرائم، التي وجد ابن لايوس المسكين نفسه مرتكبها دون قصد. كلا إن الكولونيين لايستطيعون ترك أوديب هنا. خوفاً من سخط الآلهة. ولا يصغون لا إلى توسلات أوديب، ولا إلى توسلات أنتيغون، بل يطالبون بأن يغادر الشيخ الأعمى ضواحي كولون فوراً. هل يعقل أن أوديب لن يجد في أثينا - أيضاً - ملاذاً له، أثينا، تلك التي تشتهر في أوروبا بأسرها بأنها مدينة مقدسة، تقدم الحماية لكل من يلتمسها؟ ثم إن أوديب لم يأت إلى هنا بإرادته، إن قدومه سيعود باليمن والخير على المواطنين. أخيراً يرجوهم أوديب أن يمهلوه حتى قدوم ثيسيوس على الأقل. وليقرر ملك أثينا ماإذا كان بوسع أوديب البقاء هنا، أم أنه يجب أن يطرد من هنا.

وافق المواطنون على انتظار قدوم ثيسيوس. وفي هذا الوقت ظهرت مركبة من بعيد، وعلى متنها امرأة في قبعة تسالية عريضة الحواف، تغطي وجهها. وتمعن أنتيغون النظر فيخيل إليها أن هذه المرأة إن هي إلا أختها إيسمين، وتقترب المركبة أكثر، وتعود أنتيغون فتنظر بتمعن أكثر، فتكتشف أنها ايسمين فعلاً.

وتقول أنتيغون:

- أبي، أرى أن ابنتك إيسمين قادمة إلى هنا، ولسوف تسمع صوتها الآن.

ما إن وصلت إيسمين إلى حيث أبوها حتى نزلت من المركبة، وارتمت في أحضان أبيها، وهي تصيح:

- أبي! أبي المسكين! أخيراً أعانقك من جديد، أنت وأنتيغون.

سر أوديب بقدوم إيسمين، فقد أصبح الآن برفقة ابنتيه: أنتيغون رفيقة

دربه ومساعدته البارة، وإيسمين التي لم تنس أباها أبداً، وكانت ترسل له الأخبار من طيبة باستمرار.

كانت إيسمين تفتش عن أوديب لكي تنقل إليه أنباء محزنة: في البداية حكم ابنا أوديب طيبة سوية. لكن أصغرهما ـ ايتوكليس ـ مالبث أن انفرد بالسلطة لوحده، وطرد أخاه الأكبر بولينيس من طيبة. غادر بولينيس طيبة قاصداً أرغوس، حيث وجد المساعدة فيها. وهو الآن يزحف على رأس القوات نحو طيبة للاستيلاء على السلطة فيها، أو للقاء حتفه في ساح القتال. كما أخبرته إيسمين أيضاً أن عراف دلفي قد تنبأ بالغلبة لمن سيكون أوديب إلى جانبه. إن إيسمين على ثقة أن كريون، الذي يحكم بالتعاون مع إيتوكليس ـ لن يلبث أن يصل إلى هنا، لكي يختطف أوديب.

لكن أوديب لايرغب أن يكون إلى جانب هذا الابن أوذاك، إنه غاضب من ولديه لأنهما وضعا الرغبة في الحكم فوق واجب الأبناء تجاه الآباء. إنه لايريد مساعدة ولديه، اللذين لم يحركا ساكناً ضد طرده من طيبة. كلا، كلا لن يحصلا بمساعدته على السلطة في طيبة. ولسوف يبقى أوديب هاهنا، ولسوف يكون حامياً لأثينا.

وينصح مواطنو كولون أوديب بتقديم الضحايا للأومينيدات إذا كان قد قرر البقاء في أثينا بشكل دائم. ويرجو أوديب أن يقوم أحد ما بتقديم هذه الضحايا لأنه، وهو الضعيف والأعمى، غير قادر على القيام بذلك. وتنبري إيسمين لتقديم هذه الضحايا، وتدخل إلى غيضة الأومينيدات.

لم تكد إيسمين تنصرف حتى وصل ثيسيوس إلى غيضة الأومينيدات مع حاشيته. ويستقبل أوديب ببشاشة، ويعده بالحماية. إن ثيسيوس يعرف جيداً مدى وطأة الحياة على الغريب، ويعرف كم قاسى وعانى. وكان بدوره قد ذاق الأمرين في أرض الغربة، فلم يستطيع رفض مساعدة أوديب المسكين المشرد.

ويعرب أوديب عن امتنانه لثيسيوس ويعده بالحماية. ويقول أن قبره سوف يكون دائماً حماية أكيدة للاثينيين.

لكن لم يكن قد كتب على أوديب أن يجد الطمأنينة بعد، فلم يكد ثيسيوس ينصرف. حتى جاء كريون من طيبة على رأس قوة صغيرة. إنه يريد الاستيلاء على أوديب لكي يضمن لنفسه ولايتوكليس الغلبة على بولينيس وحلفائه. ويحاول كريون إقناع أوديب بالعودة معه إلى طيبة، ويعده بأن يعيش هناك حياة آمنة بين أهله وذويه، محاطاً برعايتهم. لكن قرار أوديب لايقبل الأخذ والرد، ثم إنه لايصدق كريون. إن أوديب يعرف دافع كريون من محاولاته الرامية إلى إقناعه بالعودة إلى طيبة، كلا لن يعود معه. ولن يضع النصر في أيدي أولئك الذين جروا عليه كل هذه المصائب والمحن.

وحين رأى كريون أنه لاسبيل إلى ثني أوديب عن عزمه راح يهدده بإعادته إلى طيبة عنوة. لكن أوديب لايخاف العنف: فهو تحت جناح ثيسيوس وجميع الأثينيين. لكن كريون يخبر الشيخ الأعمى العاجز بشماتة أن إحدى ابنتيه ـ إيسمين ـ قد اختطفت، ويهدد أوديب باختطاف ابنته أنتيغون ـ سند أوديب الوحيد، وللحال ينفذ كريون تهديده، فيأمر بالإمساك بانتيغون. عبثاً راحت أنتيغون تستغيث بالاثينيين، وعبثاً راحت تمد يديها نحو أبيها، فقد أخذوها، والآن أصبح أوديب وحيداً لاحيلة له: بعد أن سلبوه العينين اللتين كانتا تقومان بالرؤية له، وأهاب أوديب بالأومينيدات ليكن شهوداً، وراح يصب لعناته على كريون، ويدعو عليه بأن يقاسي كما قاسى هو، ويتمنى له أن يفقد أبناءه. أما كريون فقد عمد، بعد أن لجأ إلى العنف مرة، إلى اللجوء إليه لاحقاً. فيمسك بأوديب، يريد جره. لكن سكان كولون ينبرون لحمايته، ولما كان الكولونيون قليلي العدد، غير قادرين على التصدي لقوات كريون، فقد راحوا يصرخون طالبين النجدة. وقد هرع ثيسيوس وحاشيته لمساعدتهم.

أثـار عنف كريـون سخـط ثيسيـوس، فكيف يتجـاسر على خطف أوديب وابنتيه هنا في غيضة الأومينيدات؟ هل يعقل أنه كان يعتقد أن الناس في أثينا قلة، وهل يعقل أنه لايقيم لثيسيوس وزناً مادام يجرؤ على خطف أولئك الموجودين تحت حماية أثينا؟ فهل علموه في طيبة التصرف بهذا الشكل المخالف للقانون؟ كلا: إن ثيسيوس يعرف أن سكان طيبة لايصبر ون على الخروج على القانون. إن كريون يجر العـار على مدينتـه ووطنـه، وهـو، وإن كان من حيث العمـر شيخـاً، إلا أنـه يتصرف على غرار الشاب الطائش، ويطالب ثيسيوس بأن تعاد ابنتا أوديب فوراً. ويحاول كريون تبر ير فعلته بقوله أنه كان على ثقة أن أثينا لن تقدم الملاذ لقاتل أبيه ولزوج أمه.

لكن ثيسيـوس متمسـك بقراره، ومصر على أن يعيد كريون ابنتي أوديب. خضـع كريـون لطلب ثيسيـوس، ولم يلبث الشيـخ أوديب أن عانق ابنتيـه، وراح يشكر ملك أثينا الشهم، داعياً الآلهة أن يباركوه.

ويقول ثيسيوس لأوديب:

- اسمعني ياأوديب، هنـا، لدى مذبـح بوزيـدون، حيث قدمت القـربـان قبيل وصول كريون، يجلس فتى يريد أن يتحدث إليك.

ويسأل أوديب:

- ومن يكون هذا الفتى؟

فيرد ثيسيوس:

- لا أعرف. لقد جاء الفتى من أرغوس. فكر، أليس عندك بعض الأقرباء في أرغوس؟

وصاح أوديب، إذ سمع ذلك:

- كلا، لاتطلب مني ياثيسيوس أن أتحدث إلى هذا الفتى. فمن كلامك فهمت أنه ابني بولينيس، الذي أكره. إن كلامه لايسبب لي إلا العذاب.

ويقول ثيسيوس :

- لكنه إنما جاءك متوسلاً، وليس بوسعك أن ترده خائباً، فتثير سخط الآلهة.

حين سمعت أنتيغون أن بولينيس هنا راحت - بدورها - تطلب من أوديب أن يصغي له، وإن كان قد اقترف وزراً كبيراً بحق أبيه. ويوافق أوديب على أن يصغي لابنه، ويسير ثيسيوس في أثره.

ويأتي بولينيس، وقد ترقرقت عيناه، إنه يبكي، وهويرى أباه أعمى، وفي ثياب شحاذ، وقد شاب شعره وراحت الريح تعبث به، وعلى وجهه آثار الجوع الدائم والحرمان. الآن فقط أدرك بولينيس كم كان قاسياً في سلوكه تجاه أبيه، ويقول له، باسطاً ذراعيه نحوه:

- أبي! قل لي كلمة واحدة فقط، لاتدر ظهرك لي! رد علي، ولاتتركني بدون جواب! وانتما ياشقيقتاي هلا أقنعتما والدي بأن لايصرفني دون أن يقول لي كلمة واحدة.

وتطلب أنتيغون من أخيها أن يقول لأبيه عن الغرض من قدومه، وكانت على ثقة أن أوديب لن يترك ابنه دون جواب:

ويحدثهم بولينس كيف طرده أخوه الأصغر من طيبة وكيف قصد أرغوس، وتزوج هناك ابنة الملك أدراستوس، وعثر على من يساعده في انتزاع السلطة من أخيه، الذي اغتصبها منه باعتباره الأخ البكر.

وتابع بولينيس:

- إننا نحن، جميع الزاحفين ضد طيبة، نهيب بك ياأبتاه، ونستحلفك بحياتك، بأولادك، أن تذهب معنا. إننا نتوسل إليك أن تنسى غضبك، وتساعدنا في الانتقام من ايتوكليس، الذي طردني واغتصب وطني مني. إن العرافين يقولون أن النصر سيكون حليف من ستناصر، هلا أصغيت إلي بعين العطف!

أستحلفك بالآلهة أن ترافقني. ولسوف أعيد لك دارك، أما هنا في أرض الغربة فإنك شحاذ، شحاذ مثلي أنا.

لكن أوديب لم يصغ لكلام ابنه، ولم تؤثر فيه توسلاته. إن بولينيس يحتاجه الآن من أجل الاستيلاء على طيبة. أوليس هو من طرده من طيبة آنذاك؟ أوليس هو من جعله مشرداً؟ أوليس بسببه يرتدي أوديب هذه الأسمال؟ كلا! ولداه نسيا واجبهما إزاء أبيهما. ابنتاه وحدهما ظلتا مخلصتين له، وبقيتا تعتنيان به وتحترمانه باستمرار.

وصاح أوديب:

- كلا لن أساعدك على دمار طيبة، وقبل أن تستولي على طيبة سوف تسقط مضرجاً بدمك، ولسوف يسقط معك أخوك إيتوكليس. إنني أعود فأصب عليكما لعنتي لكي لاتنسيا كيف يجب أن يحترم الأب. اجرِ من هنا أيها المنبوذ. الذي لم يعد لك أب، حاملاً لعناتي معك! ولِتَمُتْ في نزالك مع أخيك! اقتل من طردك. إنني أدعو الأومينيدات والإله أريس، الذين أثاروا الشقاق بينكما، أن ينزلوا بكما العقاب. اذهب واخبر جميع من يرافقك بقسمة أوديب العادلة للهبات بين ولديه.

ويصيح بولينيس:

- يا لشقائي! يالبؤسي. هل بمقدوري إبلاغ رفاقي بجواب والدي! كلا، إن علي أن أذهب للقاء مصيري بصمت.

انصرف بولينيس دون أن يتمكن من جعل أبيه يصفح عنه، ويمد له يد المساعدة، انصرف، ولم يصغِ لتوسلات أنتيغون بأن يعود إلى أرغوس، وأن لايضرم نار الحرب، التي تهدده هو وأخاه وطيبة بالهلاك.

دنت ساعة أوديب، وتردد في السماء الصافية هزيم الرعد، وومض البرق. كان جميع الموجودين لدى غيضة الأومينيد يقفون ذاهلين من علامة زوس المتوعدة

هذه. ويقصف الرعد من جديد، ويومض البرق الساطع مرة أخرى. واقشعرت أبدان الجميع من شدة الخوف.

وقال أوديب لابنتيه:

- ناديا ثيسيوس بسرعة! إن رعود زوس هذه تنذر بقرب نزولي إلى مملكة هادس الكئيب! لاتضيعا الوقت! ارسلا في طلب ثيسيوس فوراً. لقد دنا أجلي.

لم يكد أوديب يقول هذا حتى تردد قصف الرعد من جديد، وكأنه يؤكد كلامه. وقد أسرع ثيسيوس إلى غيضة الأومينيد. وقال له أوديب حين سمع صوته:

- لقد دنت منيتي ياحاكم أثينا! إن رعود زوس وبروقه تنذر بدنو أجلي، وبودي أن أموت بعد أن أنفذ ماوعدتك به. لسوف أقودك بنفسي إلى ذلك المكان، الذي سأموت فيه، لكن لا تكشف لأحد مكان وجود قبري، فلسوف يحمي قبري مدينتك أفضل من العديد من التروس والرماح. وهناك سوف تسمع مالا أستطيع أن أقوله لك هنا. صن هذا السر، واكشف عنه عند دنو أجلك لابنك البكر، على أن يكشفه بدوره لوريثه. فلنذهب ياثيسيوس، هيا ياابنتي! الآن سوف أقودكم أنا الأعمى، أما أنا فسيقودني هرمس وبرسفونة.

اقتفى ثيسيوس، أنتيغون وايسمين أثر أوديب. أما هو فكان يقودهم وكأنه بصير. وحين وصل إلى المكان، الذي ينزل فيه إلى مملكة أطياف الموتى، الدامسة، جلس على حجر. استعد أوديب للموت، فعانق ابنتيه، وقال لهما:

- لن يكون لديكما بعد اليوم والد ياابنتي، فلقد أصبحت تحت رحمة إله الموت ثاناتوس. ولن يثقل عليكما بعد الآن واجب العناية بي ورعايتي.

عانقت أنتيغون وإيسمين والدهما، وهما تبكيان بصوت عال، وفجأة تردد من الأعماق صوت خفي: «عجل، عجل ياأوديب! مابالك لاتأتي؟ مابالك تتباطأ؟». وحين سمع أوديب الصوت الخفي نادى ثيسيوس، ووضع يدي ابنتيه

في يده، وراح يتوسل إليه أن يكون لهما حامياً. وقد أقسم ثيسيوس أن ينفذ طلب أوديب. أوعز أوديب لابنتيه بالانصراف، لم يكن يريد أن تريا ماذا سيجري، ولا أن تسمعا السر، الذي كان يريد أن يفضي به لثيسيوس. انصرفت أنتيغون وإيسمين، وبعد أن ابتعدتا قليلاً التفتتا لتريا أباهما للمرة الأخيرة، لكنه لم يكن موجوداً، وحده ثيسيوس كان يقف وقد غطى عينيه بيديه، لكأنه رأى مشهداً مرعباً.

ومن ثم رأت أنتيغون وإيسمين ثيسيوس، وهويركع، وراح يصلي. هكذا انتهت حياة أوديب المفعمة بالعذاب، ولايعرف أي من الفانين كيف مات، ولا أين يوجد قبره. لقد غادر إلى مملكة هادس بدون أنين وبدون ألم، لقد ذهب إلى هذه المملكة، كما لايذهب إليها أي بشر.

سبعة ضد طيبة[٧]:

حين طرد أوديب الأعمى من طيبة تقاسم ولداه السلطة مع كريون. وكان كل من الثلاثة يحكم بالتناوب لمدة عام كامل. لكن إيتوكليس لم يرغب في أن يقاسمه أخوه بولينيس السلطة، فطرد أخاه واستولى على السلطة في طيبة. أما بولينيس فقد ذهب إلى أرغوس، حيث يحكم الملك أدراستوس.

كان الملك أدراستوس سليل أسرة الأميثاونيس، وكان البطلان، العراف العظيم ميلامبوس وبياس، ابنا البطل أميثاونوس قد تزوجا ابنتي الملك بروثيتوس. وقد حدث ذلك على النحو التالي: كانت بنات بروئيتوس قد أغضبن الآلهة، فعوقبن بأن سلط الآلهة عليهن الجنون. كانت بنات بروئيتوس يتخيلن - في نوبات الجنون - أنهن بقرات، وكن يجرين عبر السهول والغابات القريبة، وهن يَخُرن. ولما كان ميلامبوس يعرف السر الكفيل بشفاء بنات بروئيتوس، فقد انبرى لعلاجهن، لكنه طالب بثلث أملاك بروئيتوس مكافأة له.

لم يوافق بروئيتـوس على هذا. فازداد الطين بلة، حيث انتقلت عدوى الجنون إلى النساء الأخريات، ومن جديد قصد بروئيتوس ميلامبوس، الذي لم يعد يكتفي بثلث أملاكه، بل راح يطالب بالثلثين، ثلث له وآخر لأخيه بياس. وكان على بروئيتوس أن يوافق.

اتجه ميلامبوس على رأس كوكبة من الشباب إلى الجبال، وبعد مطاردة طويلة أمسك بجميع النسوة المجنونات وببنات بروئيتوس، ثم شفاهن. وقد زوج بروئيتوس اثنتين من بناته لكل من ميلامبوس وبياس.

كان لدى ميلامبوس ابن اسمه انتيفاتوس، رزق بولد اسمه أويكليس، أنجب أمفياروس. أما بياس فقد كان له ولد، اسمه تيلاوس أنجب أدراستوس وإيريفيل. وحين شب حفيدا ميلامبوس وبياس - أدراستوس وأمفياروس[8] دب النزاع بينهما، وقد اضطر أدراستوس للهرب إلى بوليبوس، ملك سيكيون[9]، وهناك تزوج ابنة الملك، وتسلم مقاليد الحكم في سيكيون. وبعد مرور بعض الوقت عاد أدراستوس إلى موطنه أرغوس، وتصالح مع أمفياروس، وزوجه أخته إيريفيل، وتعهد أدراستوس وامفياروس أن تكون إيريفيل الحكم الدائم بينهما في كل نزاع ينشب بينهما، وأن عليهما أن يلتزما بالحكم الذي تصدر دون نقاش. ولم يكن يخطر ببال أمفياروس أن هذا القرار سيكون سبب هلاكه وهلاك ذريته.

ففي وقت متأخر من الليل وصل بولينيس قصر الملك أدراستوس، أملاً في العثور لديه على الحماية والمساعدة. ولدى القصر التقى بولينيس والبطل توديوس، ابن أونوس[10]، الذي هرب من بلاده بدوره إلى أرغوس. بعد أن قتل هناك عمه وأولاد عمه. وقد نشب بين توديوس وبولينيس جدل في غاية العنف، وعمد توديوس الجامح، الذي لا يحب أن يعترض عليه أحد، إلى امتشاق سلاحه، وبدوره استل بولينيس سيفه، واحتمى بترسه، واشتبك توديوس وبولينيس.

كان سيفاهما يقرعان على ترسيهما المطليين بالنحاس. كانا يتصارعان في

الظلمة كالأسدين الضاريين. سمع أدراستوس ضجة المبارزة فخرج من قصره. وكم كانت دهشته كبيرة حين رأى هذين الشابين، وهما يتقاتلان بضراوة. كان بولينيس يضع فوق سلاحه جلد أسد، أما توديوس فكان يضع جلد خنزير بري ضخم. تذكر أدراستوس النبوءة، التي تنبأ له بها العراف بأن عليه أن يزوج ابنتيه لأسد وخنزير بري. سارع أدراستوس إلى تفريقهما، وأدخلهما قصره ضيفين. ولم يلبث الملك أدراستوس أن زوجهما ابنتيه، فأعطى ديبيلا لبولينيس وأرغيا لتوديوس.

بعد أن أصبح بولينيس وتوديوس صهري أدراستوس راحا يرجوانه أن يعيد لهما السلطة في وطنهما. وقد وافق ادراستوس على مساعدتهما، بشرط واحد ـ أن يشترك أمفياروس، المقاتل الجبار والعراف الشهير في هذه الحملة بدوره.

تقرر الزحف على طيبة، ذات البوابات السبع، أولاً. وقد رفض أمفياروس الاشتراك في هذه الحملة لأنه كان يعرف أن القيام بهذه الحملة مخالف لمشيئة الآلهة. ولم يكن يريد، وهو محبوب زوس وأبولون، أن يغضب الآلهة بالخروج على مشيئتهم. وعلى الرغم مما بذل توديوس من جهد، فإنه لم يستطع ثني أمفياروس عن عزمه. وهنا استبد الغضب بتوديوس، وكان يمكن أن يصبحا عدوين إلى الأبد لولم يسارع أدراستوس إلى إحلال الصلح بينهما. وقد لجأ بولينيس إلى الحيلة لجعل أمفياروس يشارك في الحملة. فقد قرر استمالة إيريفيل إلى صفه لإرغام امفياروس على محاربة طيبة. ولما كان بولينيس يعرف حب إيريفيل للمنفعة الشخصية فقد وعدها بعقد هارمونيا، زوجة قدموس، ملك طيبة، الأولى. أغرت هذه الهدية إيريفيل، وقررت أن على زوجها أن يشترك في هذه الحملة. ولم يكن بمقدور أمفياروس أن يرفض: فقد سبق له أن أقسم بطاعة كل قرارات إيريفيل.

هكذا أرسلت إيريفيل زوجها إلى موت مؤكد. رغبة منها في الحصول على

عقد هارمونيا الثمين، دون أن تعرف أن هذا العقد يجر البلاء والمصائب على كل من يكون في حوزته.

الكثيرون من الأبطال وافقوا على الاشتراك في هذه الحملة. فقد اشترك فيها حفيدا بروثيتوس الجباران كابانيس وايتوكليس، وبارثينوبيوس الشاب الجميل، ابن الصيادة الاركادية الشهيرة اطلنطا، وهيباميدون الشهير والعديد من الأبطال الآخرين. ويتوجه بولينيس بطلب المساعدة من ميسين. وقد وافق حاكم ميسين على الاشتراك في الحملة، لكن زوس، قاذف الصواعق، منعه من ذلك بعلاماته المتوعدة. ومع ذلك فقد احتشدت قوات كبيرة. سبعة زعماء قادوا هذه القوات ضد طيبة، وكان أدراستوس على رأس الجميع. كان الأبطال ذاهبين إلى حتفهم. ولم يصغوا لنصائح العراف أمفياروس، الذي طلب منهم أن لايشنوا هذه الحملة. كان يحدوهم جميعاً أمل واحد ـ القتال تحت أسوار طيبة.

بدأت القوات الحملة. وودع أمفياروس أسرته، فعانق بناته وعانق ولديه، الكميون الفتي، وأمفيلوخ الصغير، الذي كان لايزال في حضن مرضعته. وقبيل رحيله استحلف ابنه الكميون بأن ينتقم من إيريفيل، التي أرسلته إلى الموت الأكيد.

صعد أمفياروس متن المركبة وهو في غاية الحزن، فهو يعرف أنه يرى أولاده للمرة الأخيرة. وخاطب أمفياروس زوجته إيريفيل، وهو واقف في مركبته، مهدداً إياها بسيفه، وراح يصب عليها اللعن لأنها حكمت عليه بالموت.

وصلت القوات إلى نيميوس[11] بسلام، وهناك راح المقاتلون يفتشون عن الماء، وقد أضناهم الظمأ، لكنهم لم يعثروا على أي نبع، لأن الحوريات ردمن الينابيع بإيعاز من زوس، الذي غضب من الأبطال، لأنهم شنوا هذه الحملة ضد إرادته. أخيراً التقوا هيبسيبيل، ملكة ليمنوس سابقاً، وفي حضنها أوفيلتوس الصغير، ابن ليكورغوس، ملك نيميه. وكانت نساء ليمنوس قد بعن هيبسيبيل

في سوق النخاسة لأنها أنقذت والدها ثاوس، حين قتلن الرجال لديهن. والآن كانت ملكة ليمنوس جارية عند ليكورغوس، تقوم على تربية ولده. أجلست هيبسيبيل أوفيلتوس الصغير على العشب، وذهبت لتدل المقاتلين على جدول ماء، مختف في الغابة. ولم تكد هيبسيبيل تبتعد عن أوفيلتوس برفقة المقاتلين حتى خرجت من بين الشجيرات أفعى ضخمة، والتفت حول الطفل. وعلى صراخه هرع المقاتلون وهيبسيبيل، كما هرع ليكورغوس لنجدته ومعه زوجته إيفريديكا، لكن الأفعى كانت قد خنقت أوفيلتوس. انقض ليكورغوس على هيبسيبيل ممتشقاً سيفه. وكان من شأنه أن يقتلها لو لم يحمها توديوس. وكان يهم بقتال ليكورغوس، لكن أدراستوس وأمفياروس حالا بينه وبين ذلك، لم يسمحا بإراقة الدماء. دفن الأبطال أوفيلتوس، وفي جنازته أقام المقاتلون الألعاب التي كانت بداية الألعاب النيمية. وقد أدرك أمفياروس أن موت أوفيلتوس نذير شؤم لكل القوات، وأن هذا الموت ينذر بهلاك جميع الأبطال. وقد أطلق أمفياروس على أوفيلتوس اسم أرخيموروس (من يقود إلى الموت)، ونصح بوقف الحملة ضد طيبة، لكن المقاتلين لم يصغوا إليه، كما في الماضي. وتابعوا سيرهم بعناد للقاء حتفهم.

وصلت القوات سواحل آسوب، إلى أسوار طيبة، ذات البوابات السبع، عابرة وديان وشعاب كيثيرون[٦٢] الحراجي. ولم تبدأ القوات الحصار مباشرة، فقد تقرر إرسال تيديوس إلى طيبة للتفاوض مع المحاصرين. ولدى وصوله إلى طيبة وجد تيديوس أعيان طيبة يحتفلون عند إيتوكليس. لم يصغ أعيان طيبة لكلام تيديوس، بل راحوا يدعونه ـ ضاحكين ـ لمشاركتهم في المأدبة. غضب تيديوس، وعلى الرغم من أنه كان وحيداً وسط الأعداء فقد تحداهم لقتاله وقد تغلب عليهم واحداً إثر آخر، لأن أثينا بالاس سارعت إلى مساعدة محبوبها. تملك الغضب الطيبيين، وقرروا القضاء على البطل العظيم، فأرسلوا خمسين شاباً بقيادة

ميونتوس وليكوفون لنصب كمين لتيديوس وهو في طريق عودته إلى معسكر المحاصِرين. وحتى هنا كتبت لتيديوس النجاة، فقد قتل جميع الشباب، ولم ينج منهم سوى ميونتوس، الذي تركه تيديوس يذهب، كما أمرته الآلهة، كي يتمكن ميونتوس من إعلام الطيبيين بمأثرة تيديوس.

بعد ذلك ازدادت حدة العداء بين القادمين من أرغوس وبين الطيبيين. وقد عمد جميع الزعماء السبعة إلى تقديم الأضاحي للإله أريوس ولجميع آلهة القتال، وللإله ثاناتوس[١٣]. وبعد أن بلل الجميع أيديهم بدم الأضاحي أقسموا، إما أن يدكوا أسوار طيبة، وإما أن يسقطوا في القتال، فيرووا أرض طيبة بدمهم. استعدت قوات أرغوس لاقتحام المدينة، ووزع أدراستوس القوات، وكان على كل زعيم من الزعماء السبعة أن يتقدم لاقتحام إحدى بوابات المدينة السبع.

وقف تيديوس مع قواته مقابل بوابة بروئيتوس وهو متعطش للدم، كالتنين الضاري، وعلى خوذته كانت ترفرف ثلاثة عرف، وعلى ترسه كانت صورة السماء في الليل، ومرصعة بالنجوم، وفي الوسط ـ عين الليل، القمر بدراً. وفي مواجهة بوابة اليكترا وقف على رأس قواته كابانيوس، وراح يهدد الطيبيين بالاستيلاء على المدينة، حتى ولو كان الآلهة يعارضون ذلك. وقال إنه حتى سخط قاذف الصواعق زوس، الذي يدمر كل شيء، لن يمنعه من ذلك، وعلى ترس كابانيوس كانت توجد صورة بطل عارٍ يحمل مشعلاً في يديه. أما إيتوكليس، حفيد بروئيتوس، فقد وقف على رأس قواته في مواجهة بوابة نيسا، وكان على ترسه شعار يمثل رجلاً يتسلق سلماً للوصول إلى برج مدينة محاصرة، وقد كتبت في الأسفل عبارة: «الإله أريس نفسه لن يوقفني».

وفي مواجهة بوابة أثينا وقف هيبوميدون، وعلى ترسه الساطع كالشمس كانت صورة تيفون قاذف اللهب، كانت صرخة الحرب، التي أطلقها هيبوميدون مرعبة، وكانت نظرة عينية تهدد بالموت كل واحد. أما بارثينوبيوس، الشاب

الجميل، فقد وضع قواته مقابل بوابة بورياس، وكان ترسه يحمل صورة سفينيكس وبين مخالبه طيبي يعاني من سكرات الموت. وأما العراف أمفياروس فقد حاصر بوابة غومـوليـوس، وكـان غاضباً من تيديوس بسبب هذه الحرب، وكان يشتمه، ويصفه بمدمر المدن، نذير الشؤم، خادم القتل، وسبب المحن المختلفة. كان يكره هذه الحملة، ويلوم بولينيس لأنه جلب القوات الأجنبية ليدمر بلدة طيبة. كان أمفياروس يعرف أن الأحفاد سوف يلعنون المشاركين في هذه الحملة، كما كان يعرف أنه سيسقط في القتال، وأن أرض طيبة سوف تبتلعه. لم يكن ترس أمفياروس يحمل أي شعار، وكان شكله وحده أقوى تأثيراً من أي شعار. أما البوابة السابعة والأخيرة فقد كان بولينيس هو الذي حاصرها. وكان ترسه يحمل صورة الربة تقود بطلاً مسلحاً، وقد كتبت على الترس العبارة التالية: «إنني سأدخل هذا البطل منتصراً إلى مدينته وإلى دار آبائه». كان كل شيء جاهزاً لاقتحام أسوار طيبة المنيعة.

وبدورهم كان الطيبيون قد استعدوا للقتال: فقد وضع إيتوكليس لدى كل بوابة فصيلاً، على رأسه بطل معروف. أما هو فقد أخذ على عاتقه الدفاع عن تلك البوابة التي كان أخوه بولينيس يحاصرها. وقد تصدى لتيديوس ميلانيبوس الجبار، ابن أستاخوس، حفيد أحد المقاتلين، الذين نموا من أسنان التنين، الذي قتله قدموس. وأرسل ايتوكليس للتصدي لكابانيوس بوليفون، الذي كانت أرتيميس نفسها تساعده، ووقف ميغاريوس، ابن كريون، على رأس قوة لدى البوابة، التي كان سيهاجمها برويتيد ايتوكليس، وأرسل هيبر بيوس، ابن أوينوروس، للتصدي لهيبوميدون، والبطل أكتور للتصدي لبارثينوبايوس، وليسفين للتصدي لأمفياروس، وهو شاب بقوته، عجوز بعقله. وبين أبطال طيبة كان بيريكليمينوس الجبار، ابن بوزيدون، الذي لايقهر.

وقبل بدء المعركة سأل ايتوكليس العراف تيريسيوس عن نتيجتها. وقد وعد

ثير يسيوس بالنصر فقط في حال التضحية بمينوسيوس، ابن كريون، لأريس (الذي كان لايزال غاضباً لقتل قدموس الأفعى المنذورة له).

حين عرف الشاب مينوسيوس بهذه النبوءة صعد إلى سور طيبة، ووقف مقابل الكهف، الذي كانت تعيش فيه سابقاً الأفعى المنذورة لأريس، ثم طعن نفسه بسيفه. هكذا مات ابن كريون، مضحياً بنفسه من أجل إنقاذ وطنه طيبة.

كان كل شيء يبشر بأن الغلبة ستكون للطيبيين. فقد زال سخط أريس، وكان الآلهة إلى جانب الطيبيين، الذين كانوا يراعون مشيئة الأرباب وعلاماتهم. لكن النصر لم يتحقق لسكان طيبة فوراً، فما إن خرجوا من وراء الأسوار حتى دخلوا القتال ضد قوات أرغوس عند معبد أبولون. لكنهم اضطروا، أمام زحف الأعداء، إلى الانسحاب، والاحتماء خلف الأسوار من جديد. اندفع الأرغوسيون يطاردون الطيبيين المنسحبين، ثم بدأوا يحاولون اقتحام الأسوار. فقد عمد كابانيوس المغرور، الفخور بقوته الخارقة، إلى وضع السلم إلى السور، وكاد يقتحم المدينة، لكن زوس لم يرض أن يدخل طيبة أحد ضد مشيئته، فقذف كابانيوس، حين وقف فوق السور، ببرقه الساطع. أصاب زوس كابانيوس إصابة قاتلة، فقد احترق جسمه، وسقطت جثته، وهي تدخن من على السور عند أقدام الأرغوسيين الواقفين في الأسفل.

وفي حصار طيبة سقط بارثينوبايوس الشاب، بعد أن ألقى بيركليمينوس الجبار حجراً كبيراً، بحجم الصخرة، على رأسه من فوق الأسوار.

تراجع الأرغوسيون عن الأسوار: فقد اقتنعوا أنهم لن يتمكنوا من اقتحام طيبة. والآن أصبح بوسع الطيبيين أن يفرحوا، فقد كانت أسوار طيبة تقف منيعة راسخة.

وحينذاك قرر المتحاربون أن على الأخوين بولينيس وإيتوكليس أن يتبارزا لمعرفة لمن منهما سيكون الحكم في طيبة. استعد ابنا أوديب للقتال. ومن بوابة طيبة

خرج ايتــوكليس، مدججــاً بســلاحــه، ومن معسكــر الأرغــوس خرج بولينيس لملاقاته. كان الأخوان يكنان كل الكراهية لبعضهما. كان على أحدهما أن يسقط حتماً. لكن المويرات، الربات العظيمات القاسيات، كن ينذرن بشيء آخر. فلم تنس الأومينيدات المنتقمات لعنات أوديب، ولا جرائم لايوس، ولا لعنات بيلوبس.

التقى الأخـوان في المبـارزة الطاحنة كأنهما أسدان ضاريان، يتقاتلان من أجل الفـريسـة. كانـا يقتتـلان وكل منهما يحتمي بترسه، ويرصد بعينين ملؤهما الكراهية أخاه، ولم يكد ايتوكليس يتراجع حتى رماه بولينيس برمحه، فأصابه في فخذه، فتدفق الـدم من جرحـه، لكن بولينيس كشف أثنـاء الضـربة عن كتفه، فأصابه إيتوكليس برمحه في كتفه. انثنى الرمح لدى ارتطامه بدروع بولينيس، وانكسرت قناته. ولم يبق لدى إيتوكليس سوى السيف. انحنى بسرعة، وتناول حجراً كبيراً، قذف به أخاه، فأصـاب الحجـر الـرمـح، وكسـره. وهكذا فقد أصبح الأخوان وليس لدى كل منهما سوى سيفـه. وكـانـا كلاهما جريحـين، وقد اصطبغت دروعهما بالدم، وبسرعة خطا إيتوكليس خطوة إلى الوراء، ولما لم يكن بولينيس يتوقع ذلك، فقد رفع ترسه، فطعنه أخـوه بسيفـه. سقـط بولينيس على الأرض، وتـدفق الـدم نهراً من جرحـه الهائل، وغشيت عينيـه ظلمـة المـوت. كان إيتـوكليس يشعـر بلذة النصـر، وقد دنا من أخيه بسـرعـة، يريد نزع دروعه عنه، لكن بولينيس جمع آخر مابقي لديه من قوة، ونهض قليـلاً، ثم طعن أخـاه بالسيف في صدره. ومـع هذه الطعنة طارت روحه إلى مملكة هادس الكئيبـة، وسقـط إيتـوكليس، مثـل البلوطـة المقطـوعـة ميتاً فوق جثة أخيه، واختلط دمهما، وهو يضرج الأرض من حولهما.

كان الطيبيون والأرغوسيون ينظرون إلى نتيجة المبارزة وقد استبد بهم الرعب.

لم تعمر طويلاً الهدنة بين المحاصِرين والمحاصَرين. فقد استعر القتال الدامي بينهما من جديد. وفي هذه المعركة وقف الآلهة لحماية الطيبيين. فسقط هيبوميدون وبروئيتوس وإيتوكليس. وتيديوس، الذي لايقهر، أصيب بجرح قاتل على يد ميلانيبوس الجبار. لكن تيديوس وجد في نفسه القوة للانتقام من ميلانيبوس وصرعه برمحه. وحين رأت أثينا بالاس تيديوس يلفظ أنفاسه الأخيرة، وهو مضرج بالدم، التمست من زوس أن يسمح لها بإنقاذ محبوبها ووهبه الخلود، فكان لها ماأرادت. أسرعت أثينا نحو تيديوس، وفي هذا الوقت قطع أمفياروس رأس ميلانيبوس، ورمى بها لتيديوس المحتضر. وفي عنف مجنون أمسك بها تيديوس، وحطم الجمجمة، وكما الوحش الضاري راح يشرب مخ عدوه، ارتعشت أثينا وهي ترى عنف تيديوس وتعطشه للدم، فغادرته، ولم يلحق تيديوس المحتضر إلا أن يهمس لأثينا بالتماسه الأخير ـ أن تهب ابنه ديوميد[44] ذلك الخلود، الذي لم يحصل عليه هو.

انتصر الطيبيون على الأرغوسيين، وسقطت كل قواتهم في ضواحي طيبة، وهلك أمفياروس أيضاً. فقد حاول النجاة بجلده، مستخدماً مركبته، التي يقودها باطون، لكن بيريكليمينوس الجبار راح يطارده. وها هو بيريكليمينوس يلحق بالعراف العظيم، وها هو يلوح برمحه، لكي يطعنه به، لكن برق زوس ومض فجأة، وتردد هزيم الرعد، وانشقت الأرض، وابتلعت أمفياروس ومركبته القتالية. ولم ينج من بين جميع الأبطال سوى أدراستوس. فقد اندفع على حصانه أريون، السريع كالريح، واختبأ في أثينا، ومن هناك عاد إلى أرغوس.

كان الطيبيون مبتهجين، فقد نجت طيبة. وفي جنازة مهيبة دفنوا جميع من استشهد من أبطالهم، لكنهم لم يدفنوا الأبطال وجميع المحاربين الذين جاءوا من أرغوس برفقة بولينيس. وحتى بولينيس بقي ملقى في الميدان، دون دفن، لأنه رفع يده ضد وطنه.

عرفت زوجات الأرغوسيين وأمهاتهم أنهم لم يدفنوا، فجئن إلى أدراستوس في إيثاكه حزينات، لكي يتوسلن إلى الملك ثيسيوس، أن يساعدهن في مصابهن، ويجبر الطيبيين على تسليمهن جثث القتلى. وفي إيلوزينيا[١٥] صادفن أم ثيسيوس عند معبد دميترا واستطعن أن يقنعنها بالتوسط لدى ابنها لكي يطالب بتسليم جثث المقاتلين الأرغوس. تردد ثيسيوس طويلاً، وأخيراً قرر أن يساعد الأرغوسيات وأدراستوس. وفي هذا الوقت بالذات وصل مبعوث من كريون ملك طيبة، ليطالب ثيسيوس بعدم تقديم المساعدة لنساء أرغوس وطرد أدراستوس من إيثاكه.

غضب ثيسيوس، فكيف يجرؤ كريون على مطالبته بالخضوع لأوامره؟ أوليس حراً في اتخاذ القرارات التي يريد؟ زحف ثيسيوس بقواته على طيبة، وانتصر على الطيبيين، وأرغمهم على تسليم جثث جميع المقاتلين، الذين سقطوا. أقيمت سبع محارق، وضعت جثث المقاتلين عليها وأحرقت. أما جثث الزعماء فقد نقلت إلى إيلوزينيا، حيث أحرقت، أما رمادها فحملته أمهاتهم وزوجاتهم، إلى الوطن أرغوس.

ولم تبق في إيلوزينيا سوى جثة كابانيوس، الذي قتل بصاعقة زوس. كانت جثة كابانيوس مقدسة، لأن قاذف الصواعق نفسه هو الذي قتله. أقام الأثينيون محرقة ضخمة، ووضعوا جثة كابانيوس فوقها. وحين بدأت النار تشتعل جاءت زوجة كابانيوس أفادني الحسناء، ابنة ايفيتوس إلى إيلوزينيا. لم تستطع تحمل موت زوجها المحبوب. وفي ثياب الدفن الزاهية صعدت إلى صخرة كانت معلقة فوق المحرقة، ثم ألقت بنفسها في اللهب.

هكذا ماتت أفادني، ونزل طيفها برفقة طيف زوجها إلى مملكة هادس الكئيبة.

أنتيـغــــون[١٦] :

بعـد انتصـارهم على الأرغـوسيـين أقـام الطيبيون جنازة فاخرة لايتوكليس ولجميع المقاتلين الذين سقطوا، أما بولينيس فقد قرر كريون والطيبيون حرمانه من الـدفن لأنـه جلب الغـزاة ضد طيبـة. كانت جثتـه ملقـاة في الميدان، قرب أسوار المـدينـة، وقـد تركت لتمـزقها الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة. لقد كتب على روح بولينيس الطواف الأبدي. ولم تستطع أن تجد الطمأنينة في عالم أرواح الموتى.

وكم تألمت أنتيغـون، ابنـة أوديب، الطيبـة، والتي فطـرت على التضحيـة وإنكـار الـذات، كم تألمت وهي ترى تلك الإهـانـة، التي يتعـرض لها أخـوهـا. فقـررت أن تواري جثـة بولينيس الـتراب بنفسهـا. ولم تهب المـوت الـذي هدد به كريـون كل من تسـول له نفسـه دفن بولينيس وإجراء كل الطقوس الجنائزية. وقد طلبت أنتيغـون من أختهـا إيسمـين أن تذهب معها، لكن الأخت الـوجلة لم تجرؤ على مساعدتها، خوفاً من غضب كريون. وراحت تحاول إقناع أنتيغون بعدم شق عصـا الطـاعة على ملك طيبة، وذكرتها بالمصير الذي أحاق بأمها وأخويها، فهل يعقل أن أنتيغون تريد الهلاك لنفسها ولها؟

لم تصـغ أنتيغـون لكـلام إيسمـين: إنها مستعدة لأن تقوم بمفردها بواجبها تجاه أخيهـا، مستعـدة لأن تتحمـل كل شيء دون تذمـر، المهم ألاّ يبقى بولينيس بدون دفن. وقد نفذت أنتيغون قرارها.

لم يلبث كريـون أن عرف أن قراره قد انتهـك. فقـد أخبره أحد الحراس أن ثمة من قام خفية بطمر جثة بولينيس بالتراب، وأقام الطقس الجنائزي. وقد ثارت ثائـرة كريـون، وراح يهدد الحـارس بالعـذاب إن لم يجد هو ورفاقه ذلك الذي أقام الطقس الجنائزي على بولينيس.

ألقى الحراس التراب عن جثة بولينيس، وجلسوا على الهضبة القريبة. وعند الظهيرة هبت العاصفة فجأة، وراحت الزوبعة تضفر سحب الغبار فوق السهل كله، وحين مرت العاصفة رأس الحراس فتاة تنتحب فوق قبر بولينيس، وكان صوتها الحزين يتردد كصراخ الطائر المفجوع، وهو يرى أن يدأ ما اختطفت فراخه. وكانت الفتاة قد قامت بإراقة (الخمرة) على شرف آلهة العالم السفلي، لكن الحراس أمسكوا بها، وقادوها إلى كريون. كانت تلك أنتيغون.

استقبل كريون أنتيغون بكلمات غاضبة، وطالبها بالاعتراف بجريمتها. ولم تنكر أنتيغون ذنبها. صحيح أنها انتهكت أوامر كريون، لكنها نفذت القانون ومشيئة الآلهة. وهي لاتخاف الموت، بل إنها تتوق إليه لأن حياتها مفعمة بالحزن وحده. وفي ثورة غضبه يهدد كريون بإعدام ليس أنتيغون وحدها، بل وإيسمين، لأنه كان على ثقة أنها قد ساعدت أنتيغون.

حين سمعت أنتيغون أن كريون يريد قتل إيسمين اقشعر بدنها من هول ماسمعت. فهل يعقل أن تموت أختها بسببها؟ ذهب الخدم في طلب إيسمين. وها هي قد ظهرت في عتبة القصر، ومن عينيها كانت تتدحرج دموع الحزن. وحين عرفت إيسمين، وهي الوجلة دائماً، أن الموت يتهدد أختها، عثرت في نفسها على الشجاعة لأن تشاطر أختها مصيرها. وترد على كريون بكل عزم أنها شاركت في إقامة الطقوس الجنائزية على بولينيس.

لم ترغب أنتيغون أن تشاركها إيسمين عذابها، وهي التي لاذنب لها. وعبثاً راحت إيسمين تتوسل إليها:

- لاترفضيني ياأختاه، لاتقولي أنني لست جديرة بالموت معك. فهل لحياتي معنى بدونك؟ لاتوجهي لي الاهانة!

لكن أنتيُغون ترد على أختها:

- كلا لايصح أن تموتي معي، لايصح أن تنسبي لنفسك ذلك العمل الذي لم

تقومي به . سيكون موتي وحده كافياً . لقد اخترت الحياة ، أما أنا فقد اخترت الموت .

وراحت إيسمين تتوسل إلى كريون أن يصفح عن أنتيغون ، وأن يفكر بأنه إنما سيودي بحياة خطيبة ابنه . لكن توسلات إيسمين لم تؤثر بكريون . ويرد بأنه لن يسمح لابنه هيمون بالزواج من مجرمة . كلا إن أنتيغون يجب أن تموت ، وسوف يفرق الموت بينها وبين هيمون ، ويأمر كريون خدمه بنقل أنتيغون وإيسمين إلى القصر ، والسهر عليهما ، كي لاتتمكنا من الفرار . قاد الخدم ابنتي أوديب . كان المواطنون يقفون صامتين ، كانوا متعاطفين مع أنتيغون ، ويدركون أنها اجترحت مأثرة . وكانت أنتيغون على صواب حين قالت لكريون أن شعبها لم يكن ليلومها على دفن بولينيس لولا أن الخوف من كريون المستبد كان يكم فمه .

ما إن عرف ابن كريون هيمون الشاب ، المصير الذي يتهدد خطيبته ، حتى أتى والده ، يرجوه أن يعفو عن أنتيغون . كان هيمون يعرف أن الشعب كله يشفق على أنتيغون البريئة ، ويتذمر من الموت الذي يتهددها بسبب مأثرتها الخيرة . ويرجو هيمون من أبيه أن لايتشبث بعناده ، ويعترف بضلاله .

يقول هيمون لأبيه بجرأة :

ـ الجميع في طيبة يعتبرون أنتيغون بريئة . إنني أرى ياأبي أنك تميل إلى الباطل . إنك أنت نفسك من انتهك قانون الآلهة .

ويزداد غضب كريون ، ظناً منه أن حب هيمون لأنتيغون هو وحده الذي يدفعه إلى مثل هذا الدفاع عنها ، فصرخ بابنه غاضباً :

ـ إنك تفكر كما يفكر عبد النساء الحقير .

ويرد عليه هيمون قائلاً :

ـ كلا ، لكنك لن ترى أبداً أنني أتعاطف مع الظلم . إنني إنما أدافع عنك .

لكن كريون لم يعد يسمع كلام ابنه ، ويقول أنه عازم على إعدام أنتيغون .

وقال هيمون، حين سمع قرار أبيه:

- إذا ماتت جرت وراءها موتاً آخر.

بيد أن غضب كريون تجاوز كل الحدود، فأوعز إلى مقاتليه أن يحضروا أنتيغون، ويقتلوها هنا، على مرأى من هيمون.

ويصيح هيمون:

- كلا لن تموت أمام عيني! لن تراني بعد الآن ياأبي. بوسعك أن تمارس جنونك لوحدك بين أصحابك. المتزلفين.

بهذه الكلمات انصرف هيمون. عبثاً راحَ المواطنون يحذرون كريون من عاقبة تلك الثورة من الغضب، التي غادره فيها ابنه، فكريون متشبث برأيه لايحيد عنه.

ها قد جيء بأنتيغون لتلقى الموت الفظيع، فقد قرر كريون دفنها حية في مقبرة اللابداكيين[١٧]. إن أنتيغون تسير في دربها الأخير، نحو ضفاف أشيرون[١٨]. لسوف توأد في هذه المقبرة، لن تكون بين الأحياء، بل بين الأموات، ولن تكون منتمية لا للموت ولا للحياة، ولن يودعها أصدقاؤها، بل تساق إلى الموت دون أن تندب. لن ترى الضوء المشرق بعد الآن.

ما إن اقتيدت أنتيغون خارجاً حتى جاء العراف الأعمى ثيريسيوس إلى كريون، يقوده صبي. وكانت الآلهة قد أرسلت له علامات هائلة أثناء تقديم الأضاحي. فالآلهة غاضبون لأن الميت لم يدفن، ولأن الطيور والكلاب تحمل قطع جثته في كل مكان. وفي عناده المجنون لايصغي كريون لثيريسيوس، ويقول له أن بولينيس لن يدفن حتى ولو حمل نسر زوس نفسه قطعة من جثته إلى عرش قاذف الصواعق. واتهم كريون ثيريسيوس بأنه متواطىء، وأنه إنما يسدي له هذه النصائح لمصلحته هو. ويقول ثيريسيوس الغاضب لكريون متوعداً بأنه هو وحده المذنب في كل هذا: فقد أهان الآلهة لأنه دفن أنتيغون حية، ودنس جثة بولينيس،

وانتهك قوانين الآلهة. ولسوف تعاقبه الالهة. خيم الحزن على سائر أرجاء منزل كريون، فلسوف ينزل القصاص بمن هو الأغلى عند كريون. إن الإيرينات، اللواتي لايعرفن الشفقة، هن اللواتي ستنتقمن من كريون، ولن ينقذه شيء من انتقامهن الفظيع.

أخاف كلام العراف تير يسيوس كريون. فهرع إلى السهل بنفسه لكي يقوم بطقوس الدفن، وراح يتوسل إلى هادس وهيكات أن لا يغضبا منه ومن طيبة. وبعد الانتهاء من مراسم الدفن قصد كريون مع حاشيته ضريح اللابداكيين لكي يخرج أنتيغون من هناك، لكن سبق السيف العذل. فقد جدلت أنتيغون أنشوطة من ثيابها، وشنقت نفسها. وفي الضريح يجد كريون ابنه هيمون يبكي أنتيغون. وعبثاً يتوسل كريون لابنه أن يخرج من الضريح. وعلى مرأى من أبيه يطعن هيمون نفسه بالسيف في صدره، فيقع ميتاً على جثة خطيبته. ويستولي اليأس على كريون فقد أضاع ولده الأخير، ويبكي كريون بلوعة.

وفي هذا الوقت يحمل الرسول إلى إيفريديكا، زوجة كريون، نبأ موت هيمون. أصغت إليه ايفريديكا دون أن تنبس ببنت شفة، ثم ذهبت إلى أجنحة القصر الداخلية، وهنا انتحرت بأن طعنت نفسها بالسيف في صدرها، كما فعل هيمون. ويدنو كريون من القصر، حاملاً جثة ولده على يديه. وهنا، عند القصر تنتظره مصيبة فظيعة جديدة ـ يعرف بموت زوجته، تحطمت روح كريون الأبية المحبة للسلطة، وراح يستنجد بالموت يائساً، عله يضع حداً لعذابه، فقد أضاع كريون جميع من أحب.

حملة الأبيغونيين[١٩]:

مرت عشر سنوات على حملة السبعة ضد طيبة. وخلال هذا الوقت شب

أبنـاء الأبطـال، الـذين سقطـوا عنـد أسـوار طيبـة. وقـد قرر هؤلاء الانتقام من الطيبيين لهزيمة آبائهم، فشنوا حملة جديدة.

وقــد شارك في هذه الحملة: إيجيـاليـوس ابن ادراستـوس، الكميـون ابن أمفيـاروس، ديـوميـد ابن تيديوس: فيرساندروس ابن بولينيس، بروماخوس ابن بارثينـوبـايـوس، سفينيلوس ابن كابـانيـوس، وقـد حمى الآلهة الأبيغونيين (هكذا سمي الزعماء، الذين شنوا الحملة الجديدة ضد طيبة).

وكـان عراف دلفي قد تنبأ للأبيغـونيـين بالنصر إذا مااشترك في هذه الحملة الكميون ابن أمفياروس.

وقـد أخـذ فيرساندروس، ابن بولينيس، على عاتقه مهمة إقناع الكميون بعـدم رفض المشـاركـة في هذه الحملة. تردد الكميون طويلاً، كان متردداً في غزو طيبة، قبل أن ينفذ رغبة أبيه الأخيرة، فينتقم من أمه لأنها أرسلت أباه إلى الموت الأكيـد. ومثـل والـده بولينيس قرر فيرسـانـدروس طلب مؤازرة إيـريفيـل، أم الكميـون، وقـد استمالها إليه، بعد أن أهداها ثياب هارمونيا زوجة قدموس، تلك الثيـاب الفـاخـرة، التي كانت أثينـا بالاس قد حاكتهـا لها بنفسها. أغرت الثياب ايريفيل، كما سبق لها أن أغريت بعقد هارمونيا، وأصرت على أن يشارك الكميون وأخوه أمفيلوخ في الحملة.

خرجت قوات الأبيغـونيـين من أرغـوس. صحيـح أن هذه القـوات لم تكن كبـيرة، لكن النصـر كان يجب أن يحالفهـا. اختـارت القـوات لقيادتها ديوميد ابن تيـديـوس، الـذي يعـادل أباه قوة وجرأة، انطلق الأبطال في الحملة سعداء، وهم يتشوقون للانتقام لآبائهم.

ولـدى وصـولهم بوطنيـا، قرب طيبـة، سألوا العراف أمفياروس عن نتيجة الحملة، فأجابهم العراف بأنه يرى الكميون، ووريث مجد أمفياروس، داخلاً بوابة طيبـة مظفـراً. لسـوف ينتصـر الأبيغـونيـون. وحده إيجياليوس، ابن أدراستوس،

الذي نجا في الحملة الأولى، سوف يلقى حتفه.

أخـيراً وصلت قوات الأبيغـونيـين طيبـة، ذات البـوابـات السبع. وبدأت حصار المدينة، بعد أن خربت كل الضواحي. خرج الطيبيون إلى السهل بقيادة ملكهم لاودامـانتـوس المتهور، ابن ايتوكليس، لكي يطردوا المحاصرين بعيداً عن الأسـوار. ودارت رحى معـركـة طاحنـة، سقـط فيهـا إيجيـاليـوس بطعنة من رمح لاودامانتوس، لكن الكميون قتل هذا الأخير.

مني الطيبيون بالهزيمة، واحتموا خلف أسوار طيبة المنيعة.

بدأ الطيبيـون التفـاوض مع المحـاصِرين. وتحت جنح الظلام غادروا طيبة مع زوجاتهم وأولادهم سراً، وذلك بناء على نصيحة ثير يسيوس، باتجاه الشمال، نحـو تسـاليـا. وفي الطريق عند جدول الحورية تيلبوزا مات العراف ثير يسيوس، الذي أمضى فترة طويلة وهو يساعد الطيبيين، والذي أنقذهم من الهلاك أكثر من مرة.

بعد رحلة طويلة وصل الطيبيون إلى هستيوتيد[20] في تساليا، واستقروا هناك.

أمـا طيبـة فقـد نهبت، بعد أن استولى عليها الأبيغونيون. وتقاسم الأبطال غنيمـة كبـيرة تليق بهم. وكـان الجـزء الأفضل من الغنيمة، بالإضافة إلى العرافة مانتو، ابنة ثير يسيوس، من نصيب عراف دلفي.

عاد الأبيغونيون إلى الوطن سعداء. اما فيرساندروس، ابن بولينيس، فقد بقي يحكم طيبة، بعد أن رممت.

الـكـمـيـون[21]:

بعـد عودتـه من الحملة على طيبـة، نفـذ الكميون مشيئة والده أمفياروس

فانتقم من أمه لموت أبيه. لقد قتل الكميون أمه بيديه. وقد لعنته أمه، وهي تحتضر، لعنت ابنها القاتل والبلد الذي سيؤويه.

غضبت الإيرينات ربات الانتقام من الكميون، ورحن يطاردنه في كل مكان.

راح الكميون المسكين يتنقل طويلاً بحثاً عن ملاذ ومكان يتطهر فيه من أدران الدم الذي أراق، إلى أن وصل أخيراً مدينة بسوفيدا في أركاديا[22]. وهناك طهره الملك فيجيوس من رجس مااقترفت يداه، تزوج الكميون أرسينووية ابنة فيجيوس، وقرر أن يعيش بهدوء في بسوفيدا. لكن القدر كان يخبيء له شيئاً آخر، فقد كانت لعنة أمه تلاحقه. تفشى الجوع الرهيب والطاعون في بسوفيدا. كان الموت يسود كل مكان، سأل الكميون عراف دلفي فردت عليه بيثيا العرافة أن عليه أن يغادر بسوفيدا ويقصد إله نهر أخيلووس[23]. وهناك فقط سوف يطهر من أدران جريمة القتل، ويجد الطمأنينة في ذلك البلد الذي لم يكن موجوداً حين لعنته أمه. غادر الكميون دار فيجيوس، وزوجته ارسينوويه وابنه كليتيوس قاصداً اخيلووس. وأثناء مروره بكالدونيا زار أونوس، الذي أكرم وفادته، كما زار الكميون ويسبورت[24]، لكنهم طردوه من بلادهم، خوفاً من غضب الآلهة. أخيراً وصل الكميون مجرى نهر أخيلووس، وهناك طهره الآله أخيلووس من رجس الدم المراق، وزوجة ابنته كالير ويه[25]. استقر الكميون في دلتا نهر أخيلووس في جزيرة تكونت من الطمي والرمل. فكانت تلك البلاد، التي لم تكن موجودة حين تلقى الكميون لعنات أمه.

وإلى هنا لاحق القدر الكميون. فقد عرفت كالير ويه بالعقد الثمين وبالثوب، المحاك بيدي أثينا بالاس، اللذين قدمهما بولينيس وابنه فيرساندروس هدية لإيريفيل، فطالبت زوجها بأن يحضر لها هاتين التحفتين. ولم تكن كالير ويه تعرف أن هاتين التحفتين جرتا الهلاك على من كان يمتلكهما. توجه الكميون إلى

بسوفيدا، وطالب فيجيوس بأن يعطيه العقد والثوب. وقال الكميون لفيجيوس أنه يريد نذرهما لعراف دلفي، لكي يحصل على مغفرة قاذف النبال الإله أبولون. صدق فيجيوس قول الكميون، وأعطاه التحفتين. لكن عبد الكميون أخبر فيجيوس بأن العقد والثوب سيذهبان إلى كالير ويه. غضب فيجيوس، ونادى ولديه برونوسيوس واجينور ودعاهما إلى نصب كمين لألكميون في طريق عودته إلى دلتا أخيلووس. وقد نفذا رغبة أبيهما، وقتلا الكميون.

عرفت أرسينوييه، زوجة الكميون الأولى، بموت زوجها، وكانت لاتزال تحبه، ومن فرط حزنها لعنت أخويها، أما أخواها فقد أخذاها إلى الملك أغابينوروس في أركاديا، وأعدماها بتهمة قتل الكميون.

وعرفت كالير ويه بموت الكميون، فقررت الانتقام له من ولدي فيجيوس ومنه هو نفسه. لكن من بوسعه أن ينتقم؟ فقد كان ولداها أكارنانوس وامفوتير وس لايزالان طفلين صغيرين في المهد، راحت كالير ويه تتضرع إلى زوس أن يجعل ولديها شابين جبارين في الحال، سمع زوس توسل كالير ويه، فجعل ولديها يشبان في ليلة واحدة. وقد قصدا الملك أغابينوروس في نيثيا، وهناك قتلا ولدي فيجيوس، وهكذا جرت الهبات، التي سبق لإيريفيل أن حصلت عليها من بولينيس وفيرساندروس، الهلاك على فيجيوس وكل أسرته.

أخذ ابنا كالير ويه العقد الثمين والثوب المصنوع بيدي أثينا بالاس، ونذراهما، بموافقة أمهما. لعراف دلفي، ثم غادرا بلادهما، وسكنا في أرض أصبحت تعرف باسم أكارثانيا[٢٦] نسبة إلى أكارثانوس، وهناك أسسا مملكة جديدة.

هــوامــش

١ ـ عن تراجيديا سوفوكليس «أوديب ملكاً».

٢ ـ اسم جبل في اليونان الأوسط بين أتيكا وبيوتيا.

٣ ـ ايشيدنا: نصف امرأة ـ نصف أفعى، ابنة التارتار وريا، وقد أنجبت من تيفون الكثير من الوحوش (هيدرا ليرن، سير بير، شيمر، أسد نيميه والسفينكس).

٤ ـ عن تراجيديا سوفوكليس «أوديب ملكاً». كان اليونانيون يعتقدون أن القدر يتحكم ليس بمصائر البشر فقط، بل وبالآلهة أيضاً. إن المصير دائماً محدد مسبقاً ولا راد له.

٥ ـ عن ملحمة سوفوكليس «أوديب في كولون».

٦ ـ كولون تقع على بعد سبعة كيلومترات تقريباً عن أثينا.

٧ ـ عن تراجيديا اسخيلوس «سبعة ضد طيبة» وتراجيديا يوربيدس «الضارعات».

٨ ـ اشترك في حملة الأرغونيين، عراف مشهور من سلالة الكهنة.

٩ ـ مدينة في شمالي البيلوبونيز، على ساحل خليج كورنيث.

١٠ ـ كان أونوس حاكم كاليدونيا ووالد ميلياغروس وديجانير.

١١ ـ مدينة وواد في الأرغوليد في شمالي ـ شرق البيلوبونيز.

١٢ ـ جبل بين بيوتيا، اتيكا وميغاريدا.

١٣ ـ إله الموت.

١٤ ـ بطل حرب طروادة، لم يكن يبزه قوة وجرأة سوى أخيل، قاتل بنجاح ضد افروديت وأريس، شارك في حملة الأبيغونيين.

١٥ - ايلوزينيا اشتهر كمركز للاحتفالات الزراعية على شرف دميترا وبرسفونة . وكانت هذه الاحتفالات تقترن بمختلف الطقوس الغامضة (مايعرف باسم مسرحيات ايلوزينيا الدينية) .

١٦ - عن تراجيديا سوفوكل «أنتيغون» .

١٧ - ذرية الابداكوس حفيد قدموس .

١٨ - نهر العالم السفلي، أي أن أنتيغون في طريقها إلى هادس، مملكة الموتى .

١٩ - أبيغون كلمة يونانية تعني «الذرية، النسل» . عن مؤلفات مختلفة .

٢٠ - الغرب الأقصى في تساليا .

٢١ - عن ملحمة هوميروس «الأوذيسة» .

٢٢ - منطقة في مركز البيلوبونيز .

٢٣ - أخيلووس أكبر أنهار اليونان، وكان يعتبر نهراً مقدساً، كان بوسع أخيلووس إله النهر الظهور بأية هيئة . وحين قاتل هرقل في هيئة ثور من أجل ديجانير كسر له هرقل أحد قرنيه فقامت النيادات (حوريات الماء) بملء هذا القرن بالأزهار وحولته إلى قرن الوفرة .

٢٤ - قوم سكنوا ايبيريا في جنوب غرب اليونان .

٢٥ - كاليرويه - (بديعة الجريان) - حورية النهر .

٢٦ - مقاطعة في غرب اليونان الأوسط .

الفهـــرس

ميزيا ـ اليونان في أوليس ـ السنوات التسع الأولى من حصار طروادة ـ نزاع آخيل مع أغاممنون ـ اجتماع محاربي آخيل. ثيرسيت ـ المبارزة بين مينيلاوس وباريس ـ بنداروس ينتهك القسم. المعركة ـ هكتور في طروادة. وداع هكتور لأندروماك ـ استمرار المعركة، المبارزة بين هكتور وأجاكس ـ انتصار الطرواديين ـ أغاممنون يحاول مصالحة آخيل ـ المعركة عند معسكر الأخيليين ـ المعركة عند السفن ـ مآثر بتر وكليس وموته ـ معركة من أجل جثمان بتر وكليس ـ ثيتيس عند هيبايستوس، سلاح آخيل ـ مصالحة آخيل مع أغاممنون ـ آخيل يخوض المعركة ضد الطرواديين ـ مبارزة آخيل وهكتور ـ جنازة بتر وكليس ـ بريام في خيمة آخيل، دفن هكتور ـ معركة مع الأمازونات، بانتيزيله ـ معركة مع الاثيوبيين، ممنون ـ موت آخيل ـ موت أجاكس ابن تيلامون ـ فيلوكتيت، أيام طروادة الأخيرة ـ سقوط طروادة ـ عودة اليونانيين إلى ديارهم.

أوديسيوس عند الحورية كاليبسو ـ في غياب أوديسيوس الخطاب يعيثون في إيثاكه فساداً، وينهبون أملاكه ـ تيليماخ عند نسطور ومينيلاوس ـ مؤامرة الخطاب ضد تيليماخ ـ أوديسيوس يغادر جزيرة الحورية كاليبسو ـ أوديسيوس ونوسيكا ـ أوديسيوس عند الملك الكينووس ـ أوديسيوس يروي مغامراته ـ عودة أوديسيوس إلى إيثاكه ـ أوديسيوس عند عموس ـ عودة تيليماخ إلى إيثاكه ـ تيليماخ يأتي إلى عموس، أوديسيوس وتيليماخ ـ

حاولت الميثولوجيا اليونانية والأسطورة الإغريقية، تفسير الكون والحياة، ومعرفة أسرارهما وأسرار الإنسان نفسه، وتطورت إلى ملاحم عن الأبطال والآلهة التي تحميهم.

يتحدث هذا الكتاب عن الأرغيون وطروادة والأوديسة وطيبة، عن هيلين وباريس وهيكتور وآخيل وأغاممنون وبتر وكليس وتيليماخ وأوذيس وأورست وأوديب، وأنتيغون وعشرات غيرهم.

إنه كتاب ضروري لكل من يهتم بتاريخ الثقافة والأدب والفن، ومنهل غني للمبدعين في كل مكان.

الناشر